
A S R



A S R

السلاجقة

تاريخهم وحضارتهم

تأليف

تامارا تالبوت رايس

ترجمة

لطفي الخوري وابراهيم الداقوقي

مراجعة

عبد الحميد العلوجي

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٩٦٨



السلاجقة تاريخهم وحضارتهم

المؤلفة

تامارا تالبوت رايس ـ ققفاسية المولد ، بريطانية النشأة ، شغفت منذ صباها بفن وتاريخ بلادها القديم وخاصة تلك الاقاليم التي سكنتها الاجناس التركية فكان ذلك بداية لهواية إستمرت العمر كله ٠

درست السيدة رايس في جامعتي اكسفورد والسوربون وعملت لفترة من الزمن مساعدة لبحوث البروفسور هايس في جامعة كولومبيا ٠

ثم تزوجت دافيد تالبوت رايس الآثارى المعروف والمؤرخ الفني والمختص بالاثار البيزنطية ، وقضت سنوات عديدة في الشرق الاوسط وخاصة في تركية تنقب وتدرس بقايا الفن والآثار في تلك البلاد ، وقامت خلال الحرب الثانية بادارة القسم التركي في وزارة الاستعلامات البريطانية ثم استأنفت بعد ذلك رحلاتها المتعددة الى المناطق المذكورة وساعدتها معرفتها باللغتين التركية والروسية بالاضافة الى اتصالها المباشر بالشعب التركي وآثاره للحصول على تفاصيل دقيقة وثمينة لماضيه وهذا ما لم يتوفر للعديد من الباحثين الغربيين ٠



حوادث هامة

★

٧٠ هـ-٦٨٩ م دخول الغز الى بلاد ما وراء النهر.

٩٤ هـ-٧١٢ م سيطر الغز على آسيا الوسطى وتسللوا الى سمرقند .

(٣٠٨هـ-٩٢٠) (٣٤٩هـ-٩٦٠م) اهتدى السلاجقة الى الاسلام

٤٢٦هـ-١٠٣٤م سيطر السلاجقة على خراسان واعتبروا انفسهم حماة للخلفاء العباسيين .

٤٣٢هـ-١٠٤٠م معركة داندرقان حيث دحر السلاجقة الغزنويين .

٤٣٥هـ-١٠٤٣م جعل طغرل مدينة مرو عاصمة له واعترف به حامياً للخليفة وقرن اسمه في خطبة الجمعة .

٤٣٧هـ-١٠٤٥م هاجم السلاجقة ارمنية لاول مرة .

٤٥٠-١٠٥٨م توج الخليفة العباسي في بغداد طغرلا سلطانا على العالمين الشرقي والغربي .

٤٦٤هـ-١٠٧١م معركة مانزكرت اذ دحر السلاجقة البيزنطيين .

(٤٧٠هـ-١٠٧٧م) (٤٧١هـ-١٠٧٨م) اصبح سليمان حاكما لسلاجقة الروم

٤٧١هـ-١٠٧٨م اعلن سليمان استقلاله واختار نيقية عاصمة له .

٤٧٩هـ-١٠٨٦م اعلن سليمان انفصاله عن السلاجقة العظام .

٥٢٩هـ-١١٣٤م اصبحت قونية عاصمة لسلاجقة الروم .

٦٤٠هـ-١٢٤٢م معركة كوزاداغ حيث دحر المغول السلاجقة .

★ كل مايرد من تاريخ هجري هو من وضع المترجمين .

السلاجقة السلجوقية

اسلاف السلاجقة

دقماق = تيموريالوق = بيغو ـ يبغو ٠
توفي ابنه سلجوق وعمره ١٠٧ سنوات ٠
اسرائيل = ابنه الاكبر بيغو ارسلان وابنه الاصغر ميكائيل ٠
طغرلبك ، جغـري بيك ، ابراهيم بن إنليل اولاد ميكـائيل ٠ توفي جغري بيك عام ٤٥٣هـ ـ ١٠٦١م ٠

سلاجقة الفرس العظام

(٤٢٩هـ ـ ١٠٣٧م)	(٤٥٥هـ ـ ١٠٦٣م)	ركن الدين ابو طالب طغرل
(٤٥٥هـ ـ ١٠٦٣م)	(٤٦٥هـ ـ ١٠٧٢م)	أياد الدين ابو ساجا الب ارسلان
(٤٦٥هـ ـ ١٠٧٢م)	(٤٨٥هـ ـ ١٠٩٢م)	جلال الدين ابو الفتح ملكشاه
(٤٨٥هـ ـ ١٠٩٢م)	(٤٨٧هـ ـ ١٠٩٤م)	ناصر الدين محمود بركياروق
(٤٨٧هـ ـ ١٠٩٤م)	(٤٩٨هـ ـ ١١٠٤م)	ملكشاه الثاني وغياث الدين ابو ساجا محمد ٠
(٥١١هـ ـ ١١١٧م)	(٥٥٢هـ ـ ١١٥٧م)	معز الدين ابو المارد سنجر ٠

سلاجقة سوريا

؟	(٤٨٩هـ ـ ١٠٩٥م)	تتش اخ ملكشاه الفارسي ٠
(٤٨٩هـ ـ ١٠٩٥م)	(٥٠٧هـ ـ ١١١٣م)	رضوان ابنه ، حكم حلب ٠
(٤٨٩هـ ـ ١٠٩٥م)	(٤٩٧هـ ـ ١١٠٣م)	طوقوق بن تتش حكم دمشق ٠ الب ارسلان وسلطان شاه ولـدا رضوان حكما لفترة قصـيرة ولاة للولوشاه ٠ اما وارثيهم فلا علاقة لهم بموضوع هذا الكتاب ٠

ســـلاجقة العراق

(٥٢٦هـ-١١٣١م)	(٥٢٩هـ-١١٣٤م)	جعل سنجر من محمود حاكما ٠
(٥٢٩هـ-١١٣٤م)	(٥٤٧هـ-١١٥٢م)	ملكشاه ومحمد ولدا محمود ٠
(٥٤٧هـ-١١٥٢م)	(٥٥٤هـ-١١٥٩م)	اخوهم سليمان
(٥٥٤هـ-١١٥٩م)	(٥٧١هـ-١١٧٥م)	طغرل بن ارسلان آخر ســلاطين العراق قتل بمؤامرة من شاه خوارزم

سلاجقة الروم من ٤٧٠هـ-١٠٧٧م الى حوالي ٧٠٨هـ-١٣٠٨م

؟	(٤٥٦هـ-١٠٦٤م)	قتلمش ولعله ابن اسرائيل ارسلان بيغو ، قتل وهو يحارب قرب مرو
(٤٧٠هـ-١٠٧٧م)	(٤٧٩هـ-١٠٨٦م)	ابنه ســليمان ، قتل أو انتحــر عندما دحره تتش السوري

فترة خلو العرش

(٤٨٥هـ-١٠٩٢م)	(٥٠١هـ-١١٠٧)	داود أو محمود قليج ارسلان الاول ابن سليمان مات غرقا ٠ وذكــر (سارّ) انه تزوج من ازابيلا اخت رايموند سنتاجيدير وتزوج كذلك من ابنة تزاكاس امير سميرنا ٠
(٥٠١هـ-١١٠٧م)	(٥١٠هـ-١١١٦م)	ملكشاه أخو قليج ارسلان الاول٠
(٥١٠هـ-١١١٦م)	(٥٥١هـ-١١٥٦م)	ركن الــدين مســعود الاول ابن قليج ارسلان الاول ٠
(٥٥١هـ-١١٥٦م)	(٥٨٤هـ-١١٨٨م)	عزالدين قليج ارسلان الثاني ابن مسعود الاول قسّــم سنة ١١٨٨ مملكته بين ابنائه الاحد عشر ولربما شملت القسمة ابنته ايضا ٠ مات عام ٥٨٨هـ-١١٩٢م في دار ابنـــه الصغير المفضل وخلفه الشرعي٠حكم

اخوه شاهنشاه انقرا خلال حياته لفترة من الزمن •

تقسيم المملكة بين ابناء قليج ارسلان الاحد عشر •

١ ـ قطب الدين ملك شاه ـ سيواس وآقسراي •

٢ ـ ركن الدين سليمان شاه والد عزالدين قليج ارسلان الثالث ـ طوقات والاراضي الممتدة نحو البحر الاسود •

٣ ـ محي‌الدين مسعود شاه ـ انقرا ، جغري واسكي شهر ، يعود تاريخ عملته في انقرة الى عام ٥٩٧هـ ـ ١٢٠٠ و ٥٩٩هـ ـ ١٢٠٢م •

٤ ـ نورالدين محمود سلطان شاه ـ قيصري ، ويبدو ان السلطان العجوز قد عهد بحكم عاصمته الى ابنته لفترة من الزمن •

٥ ـ مغيث‌الدين طغرل شاه والد ركن‌الدين جيهان شاه وعصمت خاتون ـ منطقة البستان •

٦ ـ معزالدين قيصر شاه ـ ملاطية •

٧ ـ نصرالدين بركياروق ـ نيكسار كويلوحصار

٨ ـ نظام‌الدين اركون شاه ـ آماسيا •

٩ ـ سنجر شاه ـ اريكلي •

١٠ـ ارسلان شاه ـ نغدة

١١ـ غياث‌الدين كيخسرو الاول والد كيكاووس الاول وكيقاباذ الاول وجلال‌الدين ـ كيفريدون واولوبرلو وقونيا وكوتاهيا •

(٥٨٨هـ ـ ١١٩٢م) (٥٩٣هـ ـ ١١٩٦م) غياث‌الدين كيخسرو الاول اصغر ابناء قليج ارسلان الثاني

(٥٩٣هـ ـ ١١٩٦م) (٦٠٠هـ ـ ١٢٠٣م) (٦٠١هـ ـ ١٢٠٤م) اخوه ركن‌الدين سليمان شاه، مات فجأة بعد خمسة ايام من مقتل اخيه محي‌الدين مسعود شاه امير انقرة •

(٦٠١هـ ـ ١٢٠٤) ؟ عزالدين قليج‌ارسلان الثالث ابن ركن الدين سليمان شاه

(٦٠١هـ-١٢٠٤م) (٦٠٧هـ-١٢١٠م) استعاد السلطة غياث الدين كيخسرو الاول .

(٦٠٧هـ-١٢١٠م) (٦٠٨هـ-١٢١١م) (٦١٦هـ-١٢١٩م) توفي عز الدين كيكاوس الاول ابن كيخسرو الاول مسلولا .

(٦١٦هـ-١٢١٩م) (٦٣٤هـ-١٢٣٦م) علاءالدين كيقباذ الاول اخ كيكاوس الاول ، مات مسموما وعلى الاكثر بتدبير ابنه كيخسرو الثاني .

(٦٣٤هـ-١٢٣٦م) (٦٤٤هـ-١٢٤٦م) غياث الدين كيخسرو الثاني تزوج اولا عام ٦٣٠هـ-١٢٣٢م من ابنة امير حلب الايوبي ثم تزوج من رسودانا ابنة ملكة تامارا الجورجية. ومن اولاده كيكاوس الثاني وفلك الدين وقليج ارسلان الرابع وكيقاباذ الثاني .

الحكم الثلاثي لاولاد كيخسرو الثاني

(٦٤٤هـ-١٢٤٦م) (٦٨٢هـ-١٢٨٣م) عزالدين كيكاوس الثاني ، حكم اولا مع اخوته ثم حكم منفردا الاقليم الواقع الى الغرب من نهر هاليس (قيزل ايرماق) . واولاده هم (ملك قسطنطين) الذى اصبح مسيحيا وقليج ارسلان ومسعود اللذان رافقا والدهما الى القرم .

(٦٤٤هـ-١٢٤٦م) (٦٦٣هـ-١٢٦٤م) ركن الدين قليج ارسلان الرابع والد كل من كيخسرو الثالث وهواند خاتون ، حكم اولا مع إخوته ثم حكم

منفردا الاقليم الواقع الى الشرق من نهر هاليس (قيزل ايرماق) مات مقتول في اقشهر .

(٦٦٣هـ-١٢٤٦م) (٦٥٥هـ-١٢٥٧م) علاءالدين كيقباذ الثاني مات اثناء مهمة ارسل فيها الى بلاط المغول.

(٦٦٣هـ-١٢٦٤م) (٦٨٢هـ-١٢٨٣م) غياث‌الدين كيخسرو الثالث ابن قليج ارسلان الرابع نصب على العرش من قبل الحاجب سليمان معين‌الدين وعمره ثلاث سنوات وقتل في ارزنجان بامر من الايلخان احمد المغولي .

مماليك قونية

دخل المماليك قونية عام ٦٧٦هـ-١٢٧٧م

(٦٨٢هـ-١٢٨٣م) (٦٩٨هـ-١٢٩٨م) غياث‌الدين مسعود الثاني ابن عز الدين كيكاوس الثاني حكم الاراضى الواقعة الى الشرق من هاليس وارثا ابن اخيه كيخسرو الثالث .

(٦٨٢هـ-١٢٨٣م) (٧٠٢هـ-١٣٠٢م) علاءالدين كيقاباذ الثالث ابن فارمرز وابن عم مسعود الثاني حكم الاراضي الواقعة الى الغرب من نهر هاليس (قيزيل ايرماق) ونازعه‌في الملك مسعود الثالث ابن مسعود الثاني وقاوم كل منهما الاخر حتى موت كيقاباذ .

؟ (٧٠٨هـ-١٣٠٨م) غيات الدين بن كيقاباذ الثالث ومسعود الثالث تنازعا على العرش

حتى مقتل مسعود على ايدي المغول •
اختفى غياث الدين دون ان يترك
اثرا وانتهت السلالة بموته على الرغم
من انه ابن مسعود الثاني الشهير •
غازي جلبي ولعله واصل الحكم
لبعض الوقت في كل من مدينتي
قسطموني وسينوب •

الاتابكية الذين ظهروا في آسيا الصغرى بعد سقوط سلطة سلاجقة الروم

حوالي (٧٠٠هـ-١٣٠٠م)	(٨٠٦هـ-١٤٠٣)	آيدين - حكم بيرج واياسلك وتايروازمير •
حوالي (٦٩٢هـ-١٢٩٢)	(٨٠٩هـ-١٤٠٦م)	شاندار - حكم قسطموني وسينوب وسافرانبولو •
حوالي ؟	(٧٧٥هـ-١٣٧٣م)	ذو الغدير - حكم مرعش وانتيب وانطالية •
حوالي (٧٣٦م-١٣٣٥م)	(٧٨٣هـ-١٣٨١م)	ايرتينا - حكم قيصري وطوقات وسيواس وزيله •
حوالي (٦٩٩هـ-١٢٩٩م)	؟	ايجرف - حكم بايشهر
حوالي (٧٠٣هـ-١٣٠٣م)	(٨٣٣هـ-١٤٢٩م)	جرميان - حكم كوتاهية ولادخ ومانيسا وباليكسر •
حوالي (٧٠٠هـ-١٣٠٠م)	(٨٣٠هـ-١٤٢٦م)	حامد - حكم ايجردير واسبرطة وانطاليا
حوالي (٧٨٤هـ-١٣٨٢م)	(٨٦٤هـ-١٤٥٩م)	اسفنديار حكم سينوب (؟) وجانكيرى •
حوالي ؟	(٨٨٣هـ-١٤٨٣م)	كارامان - حكم نغده ولادخ (؟) ولاراندا (كارامان) وايرمينك وموت واقسراى

وسرخصار وقونية .

خوالي (٧٨٢هـ-١٣٨٠م) (٨٢٩هـ-١٤٢٥م) منتشـه - حكم آيـدن وسلطانحصار .

؟ ؟ رمضان-حكم ادنه وطرسوس

حوالي (٧٠٠هـ-١٣٠٠م) (٨١٣هـ-١٤١٠م) صـاروخان - حـكم مابنسا وفـوجا وصاروخـان وگورديس ودميرجي .

وفي اواخر القرن الثالث عشر الميلادي وما بعده ، حكم العثمانيـون اسكيشهر وازنيك وبورصة ثم بعدها حكموا بلاد بيزنطية برمتها والبـلاد التي كونوا منها الامبراطورية العثمانية .



مقدمة المؤلفة

من المبهج حقا ان يقف المرء هنيهة على مفترق طرق الماضي ويتأمل قليلا تلك الوقائع المختلفة التي لو قدر للقرارات التي اتخذت بشأنها في اوقاتها المعينة بقرارات اخرى معاكسة لتغير وجه التاريخ • ويظهر ان الحوادث غير المهمة قد غيرت ـ احيانا ـ مجرى التاريخ ولربما كان تأثيرها واضحا في العصور التالية وفي اقاليم غير التي وقعت فيها تلك الحوادث وتظهر هذه الحقيقة اكثر جلاء في أثر الاتراك السلجوقيين • وعلى الرغم من ان امبراطوريتهم لم تستمر الا حوالي القرنين (٤٦٤هـ-١٠٧١م/٧٠٠هـ ١٣٠٠م) فان تأثيرهم لايزال واضحا في الحوادث السياسية الحاضرة • لان ثمة سببا للاعتقاد بأن ما عرف عن السلاجقة من منعة نتيجة لسلسلة الانتصارات العظيمة التي أحرزوها ضد البيزنطيين وقوات الصليبيين الآتية من اوربا الغربية وضد جيوش ملوك خوارزم الاقوياء هو الذى وجه المغول لمهاجمة مدينة (كييف) الروسية بدلا من تركيز هجومهم لاحتلال فارس والعراق • ولولا هذا الهجوم المغولي الذي اضحت بسببه روسيا تحت نيرهم لما اتجه الروس نحو اوربا الغربية وهو الذى ولد لديهم حافزا لمشاركة الاوروبيين في نهضتهم الاجتماعية والاقتصادية خلال فترة الانتعاش التي سادت اوربا في عصر النهضة • فياترى كم كان يكون التاريخ الحالي مختلفا عما هو عليه الان فيما لو وقعت الحوادث خلافا لما آلت اليه •

وليس هذا كل ما هناك • فاذا كان التاريخ مزيجا من فرص وشخصيات ـ كما يعتقد هرودوتس ـ فعلينا أن نعتبر السلاجقة مسؤولين عن حادثة اخرى ذات أهمية كبيرة لاوربا • فالرواية التي بلغتنا تقول ان قبيلة عثمان التركية كانت مدينة في استيلائها على أول مقاطعة في آسيا لسلطان من اواخر سلاطين سلاجقة الروم • ومن موطىء القدم الصغير ذاك في الاناضول تقدم العثمانيون ـ بعدئذ ـ نحو الغرب وزحفوا منتصرين على اوربا ، ليؤسسوا في القسطنطينية امبراطورية ذات شهرة عالمية واسعة • ورب سائل يقول : ماذا كان يكون الحال لو لم يهب السلاجقة تلك القطعة الصغيرة من الارض الى العثمانيين ؟!

ان الحوادث المهمة هذه لم تكن هي التي خلدت ذكرى السلاجقة في آسيا الصغرى ، لان مؤرخي القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين الذين كتبوا عن السلاجقة قللوا من شأنهم عن قصد وأنكروا عليهم اية انجازات فعليه سوى تلك التي لها صفة عسكرية ، اذ ان هؤلاء الكتاب اعتبروا السلاجقة جماعة بربرية شبه بدوية يكمن السبب الرئيسي لشهرتها في الخراب الذي زرعوه في آسيا الصغرى • لقد تعلمت اجيالنا ان الخراب هو النتيجة الحتمية لجميع انواع الحروب • فمما لاشك فيه ان السلاجقة قد خاضوا غمار حروب عدة وان آثار الدمار العديدة لتدل على توسعهم الاقليمي العظيم ، وعلى فتوحهم الرائعة وهزيمتهم بين الحين والحين ، كما تدل على التبدلات الفجائية في سياستهم • غير أنه من الثابت قيامهم في الوقت نفسه بانشاء شبكة واسعة من الطرق وسلسلة من مراكز القوافل التجارية والعديد من المستشفيات والمدارس والكثير من الجوامع والمباني الفخمة التي قاموا بانشائها نتيجة اهتمامهم بحاجات شعبهم الاقتصادية والروحية •

كان السلاجقة بناة امبراطورية بطبيعتهم • فخدمتهم الظروف وساعدهم القدر ، اذ ان مجيئهم الى الحكم يجب ان يربط بفترة تاريخية مثيرة وغير اعتيادية اذ ان ذلك العصر كان عصر تطور روحي وثقافي كبير حيث ان تطور النظام الديرى البندكتيني[1] والافكار التي حملها الصليبيون كانا يمثلان وجهي ذلك التطور الذي نتج عنه تداخل النظامين الاجتماعي والاقتصادي وارتقاء الفكر والتربية الى مرحلة جديدة • وبدا العالم مليئا بعظماء الرجال وكان للسلاجقة حصة الاسد من الاداريين اللامعين البارزين ومن الشعراء البلغاء والمتصوفة المشهورين والفلاسفة المفكرين والعلماء المعروفين •

فملكشاه[2] احد سلاطين سلاجقة الفرس كان اديبا معروفا يسنده مستشاره الحكيم وخادمه المخلص (نظام الملك)[3] احد دهاة السياسة

---

(١) نسبة الى القديس بندكتين الايطالي مؤسس الرهبنة البندكتية (٤٨٠-٥٤٣م) - المترجمان •

(٢) هو ابو الفتح جلال الدين ملكشاه الاول (٤٤٦هـ-١٠٥٤م / ٤٨٥هـ-١٠٩٢م) وهو ثالث سلاطين سلاجقة الفرس ويعد إعظمهم شأنا • ولد في اصفهان بايران وتوفي ببغداد ، وقد تربع على عرش السلاجقة بعد وفاة ابيه إلب ارسلان عام ٤٦٥هـ-١٠٧٢م وهو في الثانية عشرة من العمر • وقد اسس ملكشاه في بغداد أول مرصد فلكي يعتمد على النظام الشمسي ، كما وضع تقويما لا يزال يعرف باسم « التقويم الجلالي » كما كان شاعرا اشتهر برباعياته الفارسية • (ابراهيم علاءالدين / تورك مشهورلرى ص٢٥١) - المترجمان

(٣) هو الخواجه ابو علي حسن بن علي الملقب بنظام الملك (٤٠٨هـ-١٠١٧م / ٤٩٠هـ-١٠٩٦م) ولد بمدينة طوس بخراسان ، ويعد من دهاة رجال الدولة والسياسة في الشرق ، وقد اشتهر بتأسيس المدرسة النظامية في كل من بغداد وخراسان ، كما كان شاعرا واديبا ، ويعد كتابه (سياستنامه) الذى الفه بالفارسية والذى ترجم الى اللغات الاوربية اعظم كتاب سياسي يتضمن الاسس القويمة التي ترتكز عليها الدول الحديثة • وقد قيل بانه

في عصره اما ابن سينا[٤] وعمر الخيام[٥] والفردوسي[٦] وصلاح الدين[٧] فقد كانوا من العظماء الذين ملأوا الشرق بعظمتهم • وفي الغرب نبغ زعماء روحيون امثال القديس فرنسيس الاسيسي[٨] ورجال ثقافة امثال فردريك الثاني[٩] الذين عملوا في ارساء صرح الحضارة التي جنى ثمارها غيرهم •

قتل بتدبير من ملكشاه بعد ان اوغرت زوجة ملكشاه (تورهان خاتون) صدره عليه • ولكن الرواية التي تقول بانه قتل من قبل احد اتباع حسن الصباح الصوفي المعروف اكثر ثقة وقوة • (ابراهيم علاءالدين / تورك مشهورلرى ص٢٨٦) ـ المترجمان

(٤) هو أبو علي حسين بن عبدالله المعروف بابن سينا (٣٧٠هـ ـ ٩٨٠م/ ٤٢٩هـ ـ ١٠٣٧م) الطبيب والعالم والفيلسوف الاسلامي الكبير • ولد في قرية آفشين من اعمال بخارى وتوفي في همدان بعد مرض عضال في المعدة• (تورك مشهورلرى ص١٨٣) ـ المترجمان

(٥) هو العالم والشاعر الفارسي الشهير الذي توفي سنة ٥١٧هـ ـ ١١٢٣م ودفن في مدينة نيسابور (دكتور عبدالله جودت / رباعيات خيام ص٢٧) ـ المترجمان

(٦) الفردوسي (٣٢٣هـ ـ ٩٣٤م / ٤١١هـ ـ ١٠٢٠م) الشاعر الملحمي الفارسي الذى نظم ملحمة (الشاهنامة) سنة ٣٨٤هـ واهداها الى السلطان محمود الغزنوى (اسلام انسيكلوبه ديسي ٣٦ : ٦٤٣) ـ المترجمان

(٧) صلاح الدين الايوبي هو القائد الاسلامي الكبير الذي انقذ الشرق من شر الصليبيين ووحد بين بعض البلاد العربية • ولد في تكريت عام ٥٣٣هـ ـ ١١٣٨م وتوفي في دمشق شباط عام (٥٨٩هـ ـ ١١٩٣م) (اسلام انسيكلوبيه ديسي ١٠١ : ١٠٦) ـ المترجمان •

(٨) القديس فرنسيس الاسيسي (١١٨٢م ـ ١٢٢٦م) ونسب الى مدينة آسيسي (اسيسيوم) التي تقع في اقليم بيروجيه في ايطالية • (دائرة المعارف البريطانية / ص٥٦٠ ـ ج٢) ـ المترجمان

(٩) فردريك الثاني (١١٩٤ ـ ١٢٥٠) امبراطور روما المقدس ، وملك صقليه والقدس • وهو ابن الامبراطور هنرى السادس وحفيد الامبراطور فردريك الاول ، توج امبراطورا في روما يوم ٢٢ نوفمبر ١٢٢٠م (دائرة المعارف البريطانية / ٩ : ٧١١) ـ المترجمان

اذ ان فردريك على الرغم من شراسة طباعه لازال اعجوبة الدنيا . ولقد امتدت الامبراطورية البيزنطية بين الشرق والغرب بثروتها وقوتها التي لم تفن بعد وبثقافتها الواسعة الثابتة بحيث لم تستطع الفروسية المسيحية الرعناء ان تحطم الروح الخلاقة في شعبها حتى بعد كارثة احتلال القسطنطينية عام ٦٠١هـ - ١٢٠٤م ورغم ان الحروب لم تخمد أوارها وان السلاجقة - كغيرهم من الاتراك - كانوا محاربين بسليقتهم مع هذا فقد تمكنوا من استغلال فترات السلم استغلالا حسنا وان قصة انجازاتهم وتراثهم الذي تركوه للعثمانيين الذين جاؤوا بعدهم .. سيكون موضوع بحث هذا الكتاب.

تامارا تالبوت رايس

الفصل الأول

نظرة عامة

يحسن بنا ان نبدأ بقصة السلاجقة منذ نشوئهم في الشرق على الرغم من ان بحثنا سيكون عن سلاجقة الروم اى السلاجقة الذين سكنوا شرق روما والذين اطلق عليهم معاصروهم هذا الاسم عندما انشأوا دولتهم في آسيا الصغرى بعد انتصارهم على البيزنطيين عام (٤٦٤هـ-١٠٧١م) في معركة منزكيرد[١٠] • كان السلاجقة أحد بطون قبيلة الغز ذات الـ(٢٤) بطنا[١١] في القرن السابع الميلادي • حيث ذكر محمود الكشغري الجغرافي الفارسي[١٢] المعروف في القرن العاشر بأن الاتراك البدو الذين استوطنوا حدود الافغان قد انقسموا في ذلك التاريخ ويميل بعض المؤرخين الى ايجاد

---

(١٠) تقصد المؤلفة معركة ملازكرد الشهيرة بين السلاجقة والبيزنطيين ـ المترجمان •

(١١) انظر كتاب ديوان لغات الترك لمحمود الكشغري ج١ ص٨٧ ـ المترجمان

(١٢) محمود بن الحسين بن محمد الكشغرى هو العالم اللغوى التركي الذى ألف عام (٤٦٥هـ-١٠٧٢م / ٤٦٦هـ-١٠٧٣م) كتابه المشهور (ديوان لغات الترك) ببغداد باللغة العربية ، وهو اقدم كتاب عربي لتعليم اللغة التركية لابناء الضاد • وقد ولد في مدينة كشغر من اعمال تركستان وتوفي ببغداد ولايعرف شيء عن تاريخميلاده ووفاتهالا انه عاش ايامالسلطان ألب ارسلان السلجوقي • (ابراهيم علاءالدين / تورك مشهورلري : ٢٣٤) ـ المترجمان

علاقة بين هؤلاء الغز و (هوانك‌نو)[١٣] الذين اجتاحوا مقاطعات الصين الغربية حوالي عام (١٢٠٠ ق٠م) وبين خلطائهم (الهانويين) الذين دحرهم الصينيون عام (٢١٥) ميلادية اذ هربوا نحو الغرب واجتاحوا شمال اوربا حين عرفوا هناك باسم (الهون)[١٤] ٠ اما الغز الذين بقوا في آسـيا فقد تكاثروا وازدهروا وعرفوا باسم (الترك) زمن الفتح العربي في أوائل القرن الثامن الميلادي ٠

عبد الترك كالشامانيين الذين ظهروا في وقت متأخر عناصر الطبيعة اضافة للآله (أوماى) Umay الذي اعتبروه حاميا لاطفالهم ٠ اما نظرتهم الى القومية فكانت متعصبة جدا حتى اننا نجد الكتابة الارخونية[١٦] وهي اقدم نص مسجل للغة التركية التي نمت معهم تشير كثيرا الى ٠٠٠ السماء

---

(١٣) M. A. Czaplicha, The Turks of Central Asia (Oxford, 1918) p.p. 60—3.

(١٤) الهون : من الاقوام التركية التي هاجرت من آسيا الوسطى واجتازت نهرى الاورال والفولغا وانتشرت في روسيا الشرقية ، ثم بدأ الهون بالاستيلاء على اوربا الشرقية والبلقان حتى ان قائدهم آتيلا استولى على روما عام (٤٥٣م) (عارف مفيد مانسال / اورتاجاغ تاريخي ص٢) ـ المترجمان

(١٥) احد الآلهة الاتراك القدامى وكانوا يقدمون له القرابين وفروض الطاعة باعتباره حامي الاطفال والمواليد ٠ وقد اصبح بعد قبول الاتراك للدين الاسلامي رمزا لتخويف الاطفال لاجبارهم على السكوت والهدوء (حسين كاظم قدري / تورك لغتي ـ الجزء الاول ص ٤٥٥) ـ المترجمان

(١٦) كانت الكتابة الاورخونية منتشرة بين الاتراك في آسيا الوسطى حتى القرن الثامن الميلادي ، وقد كتبت المسلات الاورخونية التي نصبت تخليدا لذكرى الابطال الاتراك (١١٤هـ-٧٣٢م / ١١٧هـ-٧٣٥م) بالخط الاورخوني الذى كان يتألف (٣٨) حرفا وكان يكتب من فوق الى اسفل مبتدئا من اليمين (عارف مفيد مانسال/اورتا جاغ تاريخي ص٢٤) وابراهيم الداقوقي/فنون الادب الشعبي التركماني ص١٨ ـ المترجمان

التركية ••• الارض والماء التركين ••• الخ ولقد دخل السلاجقة بلاد ما وراء النهر مع غيرهم من القبائل الغزية سنة (٧٠هـ-٦٨٩م) ثم سيطروا تماما عام (٩٤هـ-٧١٢م) على غربي آسيا الوسطى وانسلوا من ثم نحو سمرقند وعلى الرغم من ان بعضهم استوطن المنطقة بصورة وقتية فقد عاشوا جميعا في الخيام • ثم طوروا عاداتهم وحياتهم في التمركز داخل وحوالي سمرقند اثناء فصول الصيف اما في الشتاء فقد كانوا يرحلون الى بخارى • وفي القرن العاشر الميلادي اصبح هؤلاء اكثر القبائل الغزية حيوية من التي سكنت حوض نهر سرداريا الاسفل •

سلجوق

يدّعي السلاجقة بانهم من سلالة ملكية يرجع نسبهم الى سلجوق(١٧) وحسبما جاء في تاريخ كزيده او التاريخ المستوفي يعود نسبهم الى عشيرة كباك Kabak (١٨) التي ينتمي اليها الامير افراسياب وثمة

---

(١٧) سلجوق بن دقماق هو احد امراء التركمان ورئيس قبيلة تركمانية من بطون احدى القبائل الاوغزية التركية القاطنة في صحراء قيرغيزيا ولد في قرية (جند) من أعمال تركستان وتوفى فيها بعد ان خلف ولديه اسرائيل وميكائيل وقد ذكر احمد رفيق في كتابه (بيوك تاريخ عمومي ج٦ ص٢٦٨) بانه كان له ثلاثة اولاد وهم ارسلان وميكائيل وموسى• بينما ذكرت دائرة المعارف الاسلامية - الطبعة التركية ج ١٠٤ ص ٣٨٤ بانه كان لسلجوق ابناء اربعة وهم : اصلان يبغو وميكائيل وموسى يبغو ويوسف يينال وهي أكثر المصادر ثقة في الموضوع • وقد تمكن حفيده طغرل سنة (٤٣٢هـ - ١٠٤٠م) بعد احتلال خراسان تأسيس الدولة السلجوقية لاول مرة في التاريخ (ابراهيم علاء الدين كوزه / تورك مشهور لرى ص ٣٤٨) - المترجمان •

(١٨) بطل اسطوري ذكره الفردوسي في شهنامته ، وقد ذكر في الكتابة الاورخونية باسم ايرتونغا (محمود الكشغري / ديوان لغات الترك ١:٤٤ ، ٩٤ ، ٢٢٨ ، ٤٠٣ ونفس المصدر ٢:١٨٤ ونفس المصدر ٣:٣١ ، ١١٠ ، ٢٧٢ ، ٣٠٨ وتورك انسيكلوبه ديسي ٣١:١٩٢) - المترجمان •

اساطير عن سلجوق تروى احداها قصة مبارزته الفردية مع سلطان يهود الخزر الاقوياء[١٩] ولكن المؤرخ العربي ابن الاثير وهو من مؤرخي القرن الحادي عشر نسب هذه المبارزة الى (دقماق) الذى عرف باسم Timuryalik (تومور يالوق) والتي تعني (القوس الحديدى) والذي عرفه ابن الاثير بانه والد سلجوق • اما المؤرخون المعاصرون فلم يعيروا هذه القصة اى اهتمام ولقد اعتبر ابن الاثير بان دقماق هو المؤسس الحقيقي لهذه السلالة لانه كان يلقب باسم(بيغو) وهو اسم عرفه(دنلوب)[٢٠] بانه تحريف للقب (يبغو)[٢١] Yabghu فقد بدأ دقماق حياته في جيش خان اليهود الخزريين حيث كانت تربط بين الشعبين علاقات تجارية لفترة طويلة وارتقى الى منصب قائد لكنه مات وهو لما يزل شابا وترك طفله سلجوق وهو رضيع فاشفق حاكم الخزر على الامير اليتيم ووضعه تحت حمايته الخاصة ووفر له حياة هانئة مثل بقية افراد العائلة وادخله مدرسة البلاط لكن الامير الصغير حسبما ظهر قد قابل هذا الاحسان بالاساءة اذ سمعته زوجة الخان يتلفظ بكلمات بذيئة ضد حاميه فغضبت الملكة من

---

(١٩) V. Barthold - Gibb Turkestan Down to the Mongol Invasion (E. J. W. Gibb Memorial Series, 1928) p. 287, and V. Barthold, Histoire des Turks d'Asia Central (1948) P. P. 42.

(٢٠) D. M. Dunlop, the History of the Jewish Khazars (Princeton, 1954) p.p. 258—26.

(٢١) يبغو Yabghu هو اللقب الذي كان يطلق على حكام القارلون التركمان خلال النصف الاول من القرن الثامن الميلادي • وقد كان أعظمهم صاغ يبغو الذي أطلق عليه في سنة (١٢٥هـ ـ ٧٤٢م) لقب صول يبغو بعد ان تبوأ أرفع المراكز في الدولة (اسلام انسيكلو به ديسي / ٢٥١:٥٨) ولم يكن يطلق لقب يبغو على سلجوق دقماق كما ذكرت المؤلفة ـ المترجمان •

كلمات سلجوق وشكته الى زوجها الذي عاقبه بنفيه من مملكته فعاد سلجوق الى شعبه فوجد النزاع ناشبا بين السادة السامانيين[٢٢] وبين عشيرة الترك القره خانيين[٢٣] فانتهز الامير هذا النزاع وقاد شعبه الى منطقة (جند) التي كانت ما تزال تحت سيطرة السامانيين ورفض الانسحاب منها الا بعد رفع الضرائب المفروضة على السلاجقة من قبل السامانيين والتي اعتبرها السلاجقة ضريبة غير عادلة فرضت عليهم فرضا . ومات سلجوق في جند وعمره (١٠٧) سنوات .

الديانة

قام ابناء سلجوق وخلفاؤه ميكائيل ويونس وموسى واسرائيل بتقوية مركزهم في بخارى وسمرقند وقد جاء اختيار الاسماء اليهودية لاثنين من

---

(٢٢) السلالة الفارسية الحاكمة المنحدرة من سامان خودات الذي كان مع أبنائه الاربعة في خدمة الخليفة العباسي المأمون الذي قلدهم الولاية في المقاطعات التركية الواقعة في آسيا الوسطى . ويعد والي ما وراء النهر نصر بن إسد بن سامان خودات مؤسس الدولة السامانية التي دامت من سنة (٢٦١هـ ـ ٨٧٤م) حتى سنة (٣٩٠هـ ـ ٩٩٩م) عندما سقطت تحت ضربات القراخانيين . (عارف مفيد مانسال واخوانه / اورتاچاغ تاريخي ص ٤٦) ـ المترجمان .

(٢٣) القرهخانيون قوم من بطون الترك ينتمون الى فرع القارلوق التركمانية التي انضمت الى الاويغور وعاشوا معهم خلال الفترة الكائنة (١٢٧هـ ـ ٧٤٤م) ـ (٢٢٦هـ ـ ٨٤٠م) وعرفوا بالتركمان فيما بعد . وقد اسسوا دولتهم بعد استيلائهم على مدينة بلاساغون سنة (٢٢٦هـ ـ ٨٤٠م) ولدى استيلائهم على مناطق كاشغر اتخذ يبغو القارلوق لنفسه لقب (قاراخاقان) وسميت الدولة باسمه (القاراخاقانيون) او القاراخانيون . وقد دامت هذه الدولة حتى أيام منكوخان .. خاقان المغول الاعظم (٦٥٨هـ ـ ١٢٥٩م) بعد قبول السيادة المغولية اعتبارا من سنة (٦٠٨هـ ـ ١٢١١م) .. (اسلام انسيكلو به ديسي / ٥٨:٢٥١ـ٧١) ـ المترجمان .

امراء السلاجقة تأكيدا لنظرية (دنلوب) بان سلجوق وبعض حاشيته قد اعتنقوا ديانة الخزريين الذين كانوا اصدقاء والده وبذلك اعتنقوا الديانة اليهودية • ولكن بعض المؤرخين الروس يميلون الى القول بان هذه الاسماء دلالة على اعتناق السلاجقة للديانة المسيحية • والمشكلة صعبة الحل اذ كانوا منذ فجر تاريخهم هدفا لمبشرى مختلف الاديان فقد كان البوذيون اول المبشرين الذين تسللوا الى آسيا الوسطى من الهند وذلك في القرن الثالث الميلادي فاستعمل الغز الالفباء الهندية في كتاباتهم لكنهم سرعان ما استعاضوا عنها بالابجدية الصغدية أو الفارسية الاولى[٢٤] ثم جاءهم المانويون وتبعهم المسيحيون ومما لاشك فيه ان كلاً من هؤلاء قد اجتذب نحوه بعضا من افراد هذا الشعب البدوي • ولم يكن للمسيحية تأثير كبير عليهم وحتى البوذية فان نفوذها قد استمر وقتا قليلا جدا • اذ سرعان ما فسحت المجال للساسانيين الذين حل محلهم التجار العرب وذلك بين القرنين السابع والثامن الميلادي وتمركزوا في آسيا الوسطى باعداد متزايدة لغرض الوصول الى الصين وعلى الرغم من ان وجودهم في آسيا الوسطى قد وضع حدا للسيطرة الفارسية الا انهم لم يستطيعوا في بادىء الامر التأثير دينيا على الغز الذين كانت اكثريتهم تدين بالشامانية[٢٥] وعلى أية حال فان تزايدهم

---

(٢٤) استعمل الاتراك في أول الامر الكتابة الاويغورية ثم الخط الاورخوني كما اصطنعوا أبجديات أخرى في كتاباتهم منها محاولة المبشرين المسيحيين ايجاد ابجدية جديدة لهم مشتقة من الابجدية اليونانية بعد ان تم ترجمة الانجيل الى التركية بغية تنصير اتاركة الخزر •• كما شوهدت هنا وهناك بعض القبائل التركية التي تستعمل الابجدية السلافية والعبرانية وغيرها (انظر تفصيل ذلك في كتاب فنون الادب الشعبي التركماني لابراهيم الداقوقي ص ١٨) ـ المترجمان •

(٢٥) كان الاتراك يدينون ـ في بادىء الامر ـ بالنظام الطوطمي سواء كان هذا الطوطم حيوانا أو نباتا ثم تطور هذا النظام الديني فيما بعد الى نظام الكهانة الذي كان يمارسه الشعراء الذين كان يطلق عليهم

المستمر بدأ يؤكد وجودهم وكيانهم • وفي اواسط القرن التاسع الميلادى انشأت الجالية العربية الجوامع في اغلب مدن اقليم آمودارِيا[٢٦] الكبرى وقد شعر الغز باهمية الدين الاسلامي فاعتنق السلاجقة الدين المحمدي في نهاية القرن العاشر أو علىالارجح بين عامي ٣٠٨هـ-٩٢٠م/٣٤٩هـ-٩٦٠م •

اسرائيل

اثبت اسرائيل بن سلجوق كونه زعيما وقائدا كبيرا اذ هرع عـام ٣٩٤هـ-١٠٠٣م لمساعدة السامانيين الذين اصطدموا مرة اخرى بالقراخانيين وخرج من هذا الصراع بحق استعمال مناطق الرعي حول خراسان اى في اقاليم السامانيين بالذات • وعندما بدأت مخاوف محمود الغزنوى[٢٧] من

(شامان) او (اويون) او (قام) او (باقصى) او (اوزان) • وكان هؤلاء الشعراء يقومون في نفس الوقت بالطبابة والسحر وعزف الآلات الموسيقية (الساز) في حفلاتهم التي يقيمونها فتأخذهم النشوة وتتملكهم حالة لا شعورية تجود قرائحهم اثناءها بقصائد شعرية • وكانوا يعدون أنفسهم وسطاء بين الآلهة والبشر يستوحون اعمالهم من الآلهة وينقذون البشر من شر المردة والجان بطرقهم السحرية • وقد سميت هذه الطريقة بالشامانية (نسبة الى الشعراء الشامان) وقد فقد هؤلاء تأثيرهم السحري بعد دخول الاتراك الى الاسلام واحتفظوا بمراكزهم كشعراء فقط (عارف مفيد مانسال واخوانه / اورتاچاغ تاريخي ص ٢٦) - المترجمان •

(٢٦) اوكسوس : هو الاسم الذي اطلقه الجغرافيون اليونان على حوض نهر جيحون المعروف ايضا باسم آمو داريا (ش • سامي / قاموس الاعلام ٢:١٠٩٢) - المترجمان •

(٢٧) السلطان محمود الغزنوى (٣٥٧هـ-٩٦٧م/٤٢١هـ-١٠٣٠م) هو مؤسس الدولة الغزنوية التركية • وكان والده (سبكتكين) من مماليك (البتكين) الساماني والي خراسان ثم زوجه الوالي ابنته ، وبعد وفاته اصبح سبكتكين والي خراسان واعلن استقلاله عن الدولة السامانية وبعد وفاته تولى السلطنة ابنه الاصغر اسماعيل الا ان محمود -الذي كان يكبره- ازاحه عن الحكم واستولى على السلطنة سنة ٣٨٧هـ-٩٩٧م ، وسعى الى توسيع رقعة مملكته حتى شملت المساحات الشاسعة الممتدة من آسيا

السلاجقة اهمل تلك الاتفاقية وقرر عام ٤١٦هـ-١٠٢٥م الدخول الى اراضى اسرائيل السلجوقي في محاولة لاستعراض عضلاته لكبح جماح المد الاستعماري السلجوقي • ومما زاد في مخاوف محمود الغزنوي قول السلجوقي متحديا : « ان باستطاعته جمع مئة الف محارب بمجرد ارسال سهم من سهامه الى بني قومه وباستطاعته مضاعفة ذلك العدد لو ارسل قوسه لهذه الغاية »(٢٨) •

وقد تقبل محمود هذا التحدى على علاته ولكنه رفض اتباع نصائح مستشاريه بتر ابهام جميع رجال السلاجقة كي لا يستطيعوا استعمال الاقواس • وبدلا من ذلك فقد اكتفى بتهديد السلاجقة بحجز احد اخوان اسرائيل وسجنه في قلعته العظيمة (كالانجار) في مدينة غزنة • وربما كان هذا العمل باعثا لاتخاذ اسرائيل قرارا بمهاجمة الغزنويين في عقر دارهم عبر نهر آموداريا • لم يكن هناك تكافؤ في القوى بين المتخاصمين وعلى الرغم من نجاح الغزنويين في ايقاف الزحف البدوى واسرهم اسرائيل واحد ابنائه فان السلام الذى ساد بين الطرفين لم يكن الا هدنة موقتة اذ ازداد عداء السلاجقة بالقرار الذى اتخذه شاه السامانيين بسحب امتياز الرعي الذي منحه سلفه للسلاجقة تلك الخطوة التي زادت من عزمهم على انتزاع السيادة بالقوة لانفسهم •

الوسطى شرقا حتى العراق غربا ومن بلاد فارس شمالا حتى الهند جنوبا • (ابراهيم علاءالدين / تورك مشهورلرى ص٢٣٤) ـ المترجمان •

(٢٨) كان من عادة الاتراك في آسيا الوسطى عند اعلان النفير ارسال القوس والسهم الى القبائل المؤيدة الاخرى لجمع المتطوعين • وهذا القول لاسرائيل بن سلجوق وليس لسلجوق كما اوردته المؤلفة (انظر احمد رفيق / بيرك عمومي تاريخ ٦ : ٢٧٠) ـ المترجمان •

ميكائيل

انتقلت زعامة القبيلة الى ميكائيل اخي اسرائيل الذي جعل من (بخارى) مركزا له وفي عام ٤٢٠هـ-١٠٢٩م اتخذ ميكائيل وابناؤه الثلاثة طغرلبك الذي يعني (الصقر) وداود بك الذي سمي فيما بعد (جغري بك) وابراهيم بن آينال من مقتل يوسف حفيد سلجوق وكان قائدا لوحدة تركية في الجيش الغزنوي حجة لمهاجمة الغزنويين • وقبل قيامهم بهذا الهجوم كتب طغرل الى الخليفة ليعرف موقفه من هذا الصراع وليعرض اخلاصه ويطلب مقابل ذلك من الخليفة موافقته وتأييده لهذه الخطوة • ويعتقد بان ميكائيل قد قتل في هذا الصراع اذ لم يبق في قيادة الجيش عام ٤٢١هـ-١٠٣٠م الا ابناؤه الذين تمكنوا من ايقاع خسائر فادحة بعدوهم ونتيجة للصلح الذي تم الاتفاق عليه عام ٤٢٦هـ-١٠٣٤م تمكن السلاجقة من بسط سيطرتهم بصورة كاملة على منطقة خراسان باجمعها • ثم اعلن طغرل وداوود من نفسيهما حاميين للخلافة العباسية وقاما بتعيين الولاة من قبلهم لمناطق دهستان ونازه ، وفراوه • وحسب التقاليد الفارسية والتركية المتبعة فقد استلم كل منهما خيولا مطهمة واحزمة ذهبية وعمائم وجبباً مطرزة دلالة على سلطتهما •

طغرل

وفي هذه الفترة عاد ابن اسرائيل الى الظهور ثانية في بخارى بعد هروبه من غزنه حيث بقي في الاسر سبع سنوات وقد بررت عودته واخبار موت اسرائيل هجوما سلجوقيا ثانيا على غزنة وهكذا قاد طغرل واخوانه جيوشهم ثانية بينما قاد مسعود وريث محمود الغزنويين وتم تصفية نزاعهم عام ٤٣٢هـ-١٠٤٠م بصورة نهائية في المعركة التي دارت في داندرقان قرب مرو حيث كان النصر بجانب السلاجقة وكان نصرا ساحقا كاسحا اضطر على اثره

الغزنويون للتخلي على اراضيهم الغربية والانسحاب الى داخل اسوار غزنة • اصبح السلاجقة الان آمنين في خراسان بينما ترك مسعود سيفه جانبا في غزنة وقد تحطمت معنويته بعد خسرانه الحرب وأغرق نفسه بالموسيقى والخمر • واستغلت زمر قوية من التركمان انهيار الغزنويين للزحف نحو الغرب وللقيام بانسلال تدريجي مستمر نحو اقاليم بيزنطية الشرقية واخذوا بالتجول هناك كما يحلو لهم وبث الرعب والخوف بين سكان المنطقة •

كان النصر في داندرقان هو الحلقة الاولى من سلسلة الانتصارات التي مهدت الطريق امام السلاجقة للاندفاع عبر ايران والعراق الى سوريا وآسيا الصغرى وعندما تحقق طغرل من انه قد وضع جميع بلاد فارس في قبضته قام في اوائل عام ٤٣٥هـ-١٠٤٣م بترك نقطة ارتكازه في خراسان ونقل عاصمته الى مرو ثم اتجه نحو الهند واقام مركز قيادته في نيسابور ليعلن من نفسه حاميا للخليفة العباسي(٢٩) ومقابل هذه الحماية كان على الخليفة ان يعترف بقوة سلطة طغرل وذلك بقراءة اسمه في الخطبة واثناء الصلاة التي تقام في الجامع الكبير في بغداد ايام الجمع وفي المناسبات الرسمية وله الاولوية على المالك قولى البويهي Buyids (٣٠) صاحب المدينة • رأى طغرل ان الوقت قد حان الآن ليفترق هو واخوانه عن بعضهم فبينما

---

(٢٩) دخل طغرل بغداد سنة ٤٤٧ للهجرة (١٠٥٥م) وانهى السيادة البويهية على هذه المدينة بحيث قضى اخير امرائهم المسمى الملك الرحيم بقية حياته في السجن (تورك انسيكلوبه ديسي ٢٠ : ٨٤٤) • والملك الرحيم هو ابو منصور بن ابي كاليجار الذي عينه والده اميرا على فارس فاتخذ بغداد مقرا له (قاموس الاعلام / ١ : ١٤١٠) ـ المترجمان •

(٣٠) البابيد Buyids تحريف لكلمة Buoyhids التي تعني البويهيين • ـ المترجمان

وجه جغري Gagri [٣١] لاحتلال اراضـي المسلمين الواقعة شـرقي دجلة ارسل ابراهيم نحو همدان والجبل وقد نجح كلاهما وكـان نجـاح ابراهيم ابعد من جغرى اذ تمكن من تثبيت مركزه في المنطقة الشمالية الغربية من فارس وفي عام **٤٣٧**هـ-**١٠٤٥**م تمكن بمساعدة قوات من الغز بالتقـدم نحو التخوم الارمنية وكان تقدمه على شكل اندفاعات ناجحة سريعة نحـو مانزكرد Manzigirt [٣٢] وارضروم وطرابزون[٣٣] .

وقد اثارت هذه الانتصارات الرائعة الحسد الذى لم يهدأ ابـدا في عقول البدو الحسودين المتشككين فاخذ طغرل يشك في اخلاص اخيه وقد ترك هذا انطباعا سيئا لدى ابراهيم فرأى الاسلم ان يتنـازل مجبـرا عن همدان لاخيه الاكبر صاحب السلطة خوفا على حياته ولكن الصفقة هـذه احنقته وأغضبته وهكذا طوى اباهيم في دخيلة نفسه هذه الكراهية بمرارة مؤلمـة .

---

(٣١) هو ابو سليمان جاغرى بان ميكائيل بن سلجوق الملقب بداود ملك خراسان وقد ولد سنة ٣٨٠هـ - ٩٩٠م وتوفي سنة ٤٥٢هـ-١٠٦٠م . وقد ورد اسمه في تاريخ البيهقي بكنية داود كما ذكره بهذا الاسم المستشرق غارديزي . اما في المصادر التركية فقد ورد اسمه مجردا من هذه الكنية ، كما ورد في بعض المصادر باسمجاقر وهي ترجمـة تركيـة لكلمـة جاغرى (اسلام انسيكلوبه ديسي / ٢٤ : ٣٢٤) - المترجمان .

(٣٢) هي مدينة ملازكرد التركية التي تقع شرقي الاناضول في ولاية موش الحالية وعلى نهر مراد صو (الفرات الشرقي) وكان يطلق عليها اسم منازجرد (اشار الى ذلك ياقوت في معجم البلدان / ٤ : ٦٤٨) وقد قيل بان اصل الكلمة هـو (مناوازاكرد) باللغـة الارمنيـة (اسـلام انسـيكلوبه ديسي / ٧١ : ٢٤٠) المترجمان .

(٣٣) هي مدينة طرابزون الحالية في تركيا وتقع على البحر الاسود . المترجمان

وقرر طغرل بعد ان وجد نفسه حاكما لشمال فارس واغلب تخوم اذربايجان نقل عاصمته ثانية فاتخذ من مدينة الري عاصمة له حيث اقام معه فيها ابن اخيه المحبوب جغري والمدعو ألب ارسلان اى الاسد وحسب تقاليد الغز القديمة قام طغرل بنصب عدد من اقربائه الذكور حكاما محليين[٣٤] مانحا لهم سلطات شبه مستقلة ولما كان يعتقد اعتقادا راسخا بكونه حامي حمى الخلافة فانه لم يسمح لهم بنسيان هذا الواجب تجاه رئيسهم الروحي • وهكذا فعندما سمح الخليفة القائم الضعيف والعديم التأثير لنفسه بان يكون العوبة بيد باساسيرى[٣٥] التركي ممثل مالك آخر بايبد فارسي ، وجد طغرل نفسه مضطرا للتدخل فقام عام ٤٤٧هـ ـ ١٠٥٥م على رأس جيشه متوجها الى بغداد عازما المحافظة على استقلال الخليفة وقد خدمه الحظ مرة ثانية فقد استسلمت بغداد سريعا وعلى الرغم من ان طغرل استغل انتصاره هذا لغرض ممارسة السلطة الدنيوية التي

---

(٣٤) كان من تقاليد الاتراك تنصيب اقربائهم حكاما محليين على الولايات التي يتم فتحها وذلك لتقوية مراكز الحاكمين في العاصمة ولايجاد نوع من المركزية (احمد رفيق / بيوك تاريخ عمومي ج٢ ص٢٧٤) • المترجمان

(٣٥) هو ابو الحارث ارسلان المظفر البساسيري (؟/٤٥٢هـ ـ ١٠٦٠م) قائد الجيش في اواخر ايام البويهيين ووزير الخليفة العباسي القائم بامر الله، ثم اختلف مع رئيس الرؤساء ابن المسلمة الذي طلب مساعدة السلاجقة •• فدخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ ـ ١٠٥٥م فانهزم البسايسري ، ثم جمع جيشا كبيرا وسار به نحو بغداد فدخلها عام ٤٥٠هـ ـ ١٠٥٨م بمساعدة من قريش بن بدران العقيلي فالتجأ الخليفة وابن المسلمة الى العقيلي ، ولكن بساسيري اصر على تسليم ابن المسلمة اليه ••• فقلته شر قتلة ولما علم طغرلبك بالامر عاد فدخل بغداد مرة اخرى عام ٤٥١هـ ـ ١٠٦٠م فانهزم البساسيري ولكن جنود طغرل لاحقته فقتل على ايديهم • (اسلام انسيكلوبه ديسي/١٨/٥٦٧) • ـ المترجمان •

كانت وقفا على العباسين والتي كان البايديون قد انتزعوها منهم فقد قام مخلصا باعادة هيبة الخليفة ليمكنه من ممارسة سلطاته الروحية باعتباره الحاكم الروحي الاعلى للمسلمين وسمح له هذا بدوره بالبقاء في السلطة بصفته وزيرا[٣٦] وقام الخليفة مقابل ذلك عام ٤٥٠هـ-١٠٥٨م بالانعام على صاحبه البطل بالتكريم والتقدير والبسه عباءة فاخرة واجلسه على عرش رائع مناديا به حاكما للشرق والغرب وقد تعززت هذه المكرمات بعد زواج الخليفة من ابنة اخ طغرل خديجة خاتون ارسلان اخت الب ارسلان واحتفل بهذا الزواج في بغداد احتفالا رائعا • وفي عام ٤٥٥هـ-١٠٦٣م مات طغرل في مدينة الري نتيجة نزيف دموي ليلة زواجه من ابنة الخليفة عن عمر يناهز السبعين عاما •

ألب ارسلان ٤٥٥هـ-١٠٦٣م/٤٦٥هـ-١٠٧٢م

خدم الب ارسلان طغرلا خدمة صادقة وقد كان من المحتمل ان يكون مستعدا لخدمة ابنه سليمان الوارث الشرعي لو لم يقم قتلمش Kutulmis احد ابناء اسرائيل بالمطالبة بالتاج ورفع الب ارسلان السلاح بوجه المدعي وتقابلت جيوشهما في دامغان Damgan [٣٧] فسقط قتلمش اثناء المعركة عن فرسه فتحطمت جمجمته ومات • فلم يتردد الب ارسلان في الاستيلاء على التاج اذ كان عليه ان يثبت جدارته بعرشه وكانت كل من هيئته وصفاته تؤهلانه لمنصب السلطة هذه اذ كان طويلا جدا واضاف الى هيبته الناجمة عن طوله الفارع قبعة مرتفعة واطال

(٣٦) اى اصبح طغرل وزيرا بعد مقتل البساسيري - المترجمان •

(٣٧) مدينة تقع شمال ايران على الطريق بين طهران وخراسان وكان يطلق عليها اسم (هيكا تومبيلوس) ايام الفرثيين (اسلام انسيكلوبه ديسي / ٢٦ : ٤٦٧) • - المترجمان •

شاربه الى حد انه كان مضطرا عند ذهابه للصيد ان يشد نهايتي شاربه خلف رأسه كيلا تعيقه عن اصابة الهدف • وكانت قوته عظيمة كحقيقة اصابته الهدف بينما فاقت جرأته كليهما • وحقا فقد كان نبيلا وشجاعا في تصرفاته كما كان عظيما في خلقته ، صارما في طراز معيشته مذواقا ومخلصا في عمله وكان بطبعه شريفا نبيلا وقد عامل اعداءه بصورة عامة معاملة طيبة وكان جوادا غالبا ما كان يوزع الكثير من المال على الفقراء مبديا استعداده لازالة الغم عن طريق الهدايا المالية او منح الهبات • ومن جهة اخرى كان لا يستطيع دائما السيطرة على مزاجه الضاري فعندما يستثار شعوره كان يتصرف تصرفا فظيعا كعمه طغرل •

كان ألب ارسلان خير من يحكم الناس فقد اختار مستشاريه بحكمة واحترم العلم بغريزته وقد اتته هذه النزعة عن طريق وزيره الشهير نظام الملك والعلماء وتحت ارشاد وزيره هذا كان يبتهج الب ارسلان بمجالسة الحكماء والعلماء وكانت مسرته الكبرى الاصغاء الى قصص الفروسية عن ابطال فارس القديمة • وقد وجهت هذه القصص تصرفاته وانمت في نفسه الاعمال الجريئة التي خلدها الشعراء الذين كانوا يجتمعون في بلاطه • وبمساعدتهم التي لا تقل عن تأثيره الشخصي اصبحت الانجازات التي قام بها كحاكم وكقائد عسكري وحام للفنون مثالا حاول حكام السلاجقة الذين جاؤا بعده ان يحتذوه ولم يستطع جميعهم الوصول الى النجاح الذي حازه في المجالات الثلاثة هذه ومن الحكام الذين قلدوه علاءالدين كيقاباذ الاول من سلاجقة الروم •

أرسخ ألب ارسلان سمعته كقائد عسكري وذلك باستيلائه على هراة Harat خلال سنة من استيلائه على السلطة وفي خلال اثني عشر شهرا

اخرى احتل مدينة جند حيث دفن جده الاكبر سلجوق هنـــاك وفرض النظام والطمأنينة على مقاطعتي فارس وكرمان المضطربتين واعاد الاستيلاء على مكة والمدينة منتزعا اياها من ايدى الفاطميين ثم احتل حلب • وآمن حدوده الشرقية والجنوبية بتزويج ابنـه مالك من اميرة غزنوية ومـع ان مملكته امتدت من حدود افغانستان الى حدود الفاطميين في مصر فان حدوده الغربية بقيت مهددة • اذ جاورت حدوده هذه الحدود الجنوبية الشـرقية للمنطقة العسكرية التي اقامها البيزنطيون والتي تمتد من انطاكية الى ملاطية لمنع العرب من التسلل داخل الامبراطورية البيزنطية •

بدأت مزاحمة المسلمين في هذه المنطقة تلوح بالخطر عندما قام طغرل بتنظيمه العسكرى لغرض السيطرة على التركمان ممـا ادى بهؤلاء البـدو المتهيجين الى الهروب من الامبراطورية السلجوقية باعداد كبيرة للبحث عن مراع في بيزنطية الشرقية • ولغرض منع تسلل هؤلاء البدو وللمحافظة على نفسه من السلاجقة رغب الامبراطور باسيل الثاني ٣٦٦هـ-٩٧٦م/٤١٦هـ ١٠٢٥م بالسيطرة على ارمنيا ليجعل منها منطقة دفاع لبيزنطية شبيهة بتلك المنطقة التي اوجدها في الجنوب الشرقي •

وعلى الرغم من التقيدات والاحتياطات التي اتخذت في الاقليم الجنوبي الشرقي فقد استمرت العناصر المسلمة داخل الحدود البيزنطية بتقوية نفسها وذلك عن طريق تدفق المجاهدين المسلمين والاتراك المتجولين في الاراضي المحمية وعملت جهودهما المشتركة على عرقلة حركة مواصلات اليونانيين لحماية المدن في تلك المنطقة وحماية سكانها الفلاحين للعيش برخاء وسلام• حتى ان بعضا من المسلمين قاموا بنصب انفسهم في بعض المناطق امـــراء حاكمين بأمرهم مما دعى اخيرا ان يقرر الامبراطور في حوالي عام ٣٩١هـ -

١٠٠٠م حث ملوك جورجيا وارمنيا على التنازل له عن حدودهم واخـــيرا وافق[٣٨] كيروبوليت ديفيـد الجيورجي بتســليم ايبريا Iberia [٣٩] وفي عام ٤١١هـ-١٠٢٠م اتصل الامبراطور بملك ارمنيا راجيا منـه نفس الطلب وبعد ان استمرت المفاوضات بينهما حوالي السنتين وبعـد ان تأكد الملك أخيرا من تهديد السلاجقة له وافق على التنازل عن مملكته مقـابل اقطاعية جديدة تقـع في طوروس على ان تكون عاصـمتها سياسـت[٤٠] [سيواس الحالية] ٠

لعل من المستحسن لو كان الامبراطور اكثر حكمة وترك أمر حماية ارمنيا لنفسها اذ ان جهاز اليونانيين العسكرى كان مهددا نتيجة للاســاليب الاقتصادية التعسفية التي سار عليها سـلفه اذ لم يكن في موقف يمكنه من المحافظة على حدود بيزنطية الحالية فكيف بالاراضي التي اضيفت اليها وقد اكتشـف طغرل نقطة الضعف البيزنطية هذه عام ٤٣٧هـ-١٠٤٥م اذ تمكنت حمــلة سـلجوقية من التغلغل حتى شــواطيء بحــيرة وان وقارص ولم يستطع البيزنطيون عام ٤٣٩هـ-١٠٤٧م سوى ايقاف هجوم سلجوقي ثان كان يهدف هذه المرة الاستيلاء على ارضروم وفي السنة التالية جـدد السلاجقة هجومهم وحطموا دفاع المدينة وسلبوا سكانها وفي عام ٤٤١هـ -

---

(٣٨) W. E. O. Allen, History of the Georgian People (London 1932), p. 87.

(٣٩) ايبر شهر هو الاسم الآخر لمدينة نيسابور ، وفي الحقيقة ان مدينة نيسابور كانت تعد عاصمة ايالة ايبرشهر - (اسلام انسـيكلوبه ديسي / ٩٣ : ٣٠٣) - المترجمان ٠

(٤٠) S. Runciman, History of the Crusades, Vol. 1 (Cambridge, 1951), p. 68.

١٠٤٩م نهبـوا مدينة آني[٤١] وفي عـام ٤٤٥هـ ـ ١٠٥٣م هاجمـوا قارص مرة ثانية وفي عام ٤٤٨هـ ـ ١٠٥٦م نهبوا ميلتين[٤٢] حتى انهم قاموا في عام ٤٥١هـ ـ ١٠٥٩م بغارة مفاجئة على سيباست نفسها ٠

وعلى الرغم من ان هذه الهجمات كانت تأخذ شكل غارات اكثر من كونها حربا فانها كانت منظمة تنظيما عسكريا ممتازا فكان يرسل الرجـال القائمون بها الى نقطة معينة سبق الاتفاق عليها حيث تقسم القوة المهاجمـة الى اربع جماعات ذات قوة متكافئة تسير على شكل مربع منظم لتواجه نقاط البوصلة الاربع ثم تتقدم كل جماعة الى نقطة اخرى متفق عليها ايضا حيث تقسم كل جماعة مرة اخرى الى ثلاث وحدات ذات حجوم متساوية وعندما تقوم القوة بكاملها بالهجوم متقدمة تقدما منظما تنتشر على شكل مروحـة فتسلب وتدمر كل ما يصادفها في طريقها الى ان يتم الوصول الى الهـدف المطلوب واخيرا تنسحب القوة باجمعها بصورة مفاجئة وسريعة حاملة معها الاسلاب والغنائم متبعة في انسحابها نفس الاسلوب الـذي سارت عليـه في هجومهـا ٠

---

(٤١) تقع اطلال هذه المدينة اليوم قرب القصبة الجديدة المسماة باسمها في ولاية قارص الحالية في تركيا وعلى مبعدة ٤٠ كيلو مترا من التقاء نهر آراس بنهير آربا جاى (قاموس الاعلام/١:١٦٣ واسـلام انسيكلوبه ديسي / ٦:٤٣٥) وكانت عاصمة ملوك ارمينيا عام ٩٦١م ثم عرفت باسم مدينة الالف كنيسة وكنيسة وقد دمرتها الزلازل عـام ١٣١٩ ولا يزال قسما من سورها المزدوج قائما ٠ وقد ذكر خطأ في دائرة المعارف البريطانية بانها تقع في ارمينيا السوفياتية (دائرة المعارف البريطانية ج١ ص٩٥٩) ـ المترجمان ٠

(٤٢) هي مدينة ملاطية الحالية التي تقع على بعد ٨٥ كيلو مـترا جنوب غربي خربوط وعلى فرع من فروع نهر الفرات ٠ (قاموس الاعلام / ٦ : ٤٤٠١ واسلام انسيكلوبه ديسي / ٧١ : ٢٢٥) ـ المترجمان ٠

ومع ان الب ارسلان كان يهدف بالدرجة الاولى احتلال هـراة ولكنه بدوره عبر آراكس[٤٣] Arax عام ١٠٦٤ لغرض مهاجمة آني عاصمة آخر امير مستقل من امراء قارص على امل منع البيزنطيين من عقد تحالف مع الفاطميين اعدائه الدائميين • وبعد ان انزل بالمدينة خسائر فادحة اندفع السلاجقة جنوبا لنهب انطاكية وايديسا (اورفة) قام في السنة التالية بمعاودة غزوه لآسيا الصغرى فاجتاح قيصـرية ودحر جيوش البيزنطيين في لافتـين[٤٤] Lavitane وسيواس وقد شجعته انتصاراته هذه فقرر عام ٤٦١هـ - ١٠٦٨م ان يدخل اراضي بيزانطية الاصلية بالقوة وعلى هذا حطم أسوار قونية (اكونيوم Iconium في السنة التالية ودخلها وفي خلال اثنى عشر شهرا اخرى هاجم جوناس على بحر ايجة •

كان يتبوأ على عرش بيزانطية في تلك الايام الامبراطور ذو التفكير الحر كونستانتين دوكاس (٤٥١هـ - ١٠٥٩م/٤٦٠هـ - ١٠٦٧م) يشاركه في ذوقه الادبي وآرائه الديمقراطية استاذه السابق ميخائيل بسيلوس الذي جعل منه وزيره الاول وارتكب كل منهما اخطاء ادارية عدة ولكن غلطتهم الكبرى كانت في القرار الذي اتخذاه بتخفيض المـال المخصص للقوات المحاربة • وقد ادى هذا الى تخفيض رواتب الضباط والاقلال من عـدد الجنود الاحتياط المأجورين وبالتالي الى عدم الكفاءة في القوات المحاربـة

---

(٤٣) اسم اطلقه الجغرافيون اليونان على نهرين من انهر بلاد فارس ، ويطلق اليوم على احدهما آراس وعلى الثاني - الذي يمر قرب اصطخر - نهر رندمير • (شمس‌الدين سامي / قاموس الاعلام / ١ : ٧٩) - المترجمان

(٤٤) مدينة تقع اطلالها الآن بين قيصري وسيواس (الخارطة الاثرية لتركية - انقرة ١٩٤٣) - المترجمان

بصورة عامة ولم يقاس الجيش وحده من هذا الاجراء بل انتشر فشمل المسؤولين عن العينة والمخزن وحتى الحاميات على الحدود كان يهددها الحرمان فهاجر اكثر الناس من الاقاليم الواقعة في المقاطعات الشرقية فزاد عدد البدو التركمان وصغار رؤوساء عشائر الاتراك في هذه المناطق على عدد المواطنين اليونانيين •

كانت الامبراطورية عند وفاة كونتسانتين تستطيع الدفاع عن نفسها واما وريثه ميخائيل السابع فكان لا يزال حدثا لا يستطيع السيطرة وفي هذه اللحظة الحرجة تقدمت ام الامبراطور الجديد الامبراطورة ايودوكسيا لتكون وصية على ابنها ولكن جماعة قوية من الاسياد عارضت في ذلك على اساس ان الحالة تتطلب يدا اكثر قوة من يدها للسيطرة على الوضع ولغرض تسوية الموضوع قررت ايودوكسيا الزواج مرة ثانية واختارت لها رومانوس ديوجينوس الرابع (٤٦٠هـ - ١٠٦٧م/٤٦٤هـ - ١٠٧١م) زوجا ثانيا وهو جندي وقائد محترف •

كان الامبراطور الجديد يعرف تماما المصاعب التي تواجهه اذ على الرغم من معرفته بان السلاجقة سوف لا يقومون باكثر من هجمات خاطفة على حدود بيزانطية لغرض السلب والنهب فان الحالة ستسير الى الاسوأ ان تركها على وضعها هذا وكسلفه باسيل الثاني فكر الامبراطور انه من الضروري السيطرة على ارمينا لغرض تحويلها الى درع يقي بيزانطية ولهذا قرر طرد السلاجقة من ذلك البلد ولكي يستطيع تنفيذ هذه الفكرة بدأ بتكوين جيش له واضطر في سبيل ذلك ان يستخدم مرتزقة من مختلف الجنسيات فضم جيشه الشماليين والفرنسيين والسلاف والاتراك المنحدرين

من اصول اخرى ـ مثل الكومانيين(٤٥) Comans والغز وحتى الاتراك من جنوبي الروسيا وكذلك البتشينغ(٤٦) Petchenegs الذين هرب معظمهم عند اول فرصة • وقد اضطر على الاعتماد على الصقلين ليكونوا ضباطا لجيشه وحتى على البعض من الصليبين كيفما اتفق • وقرر رومانوس قيادة هذه القوة المتنافرة شخصيا اذ كان على معرفة جيدة بضعف

---

(٤٥) فرع من الشعوب التركية ، استوطنوا السهول الواقعة الى الشمال من البحر الاسود وقد اطلق عليهم الصينيون اسم Kin—Cha وسماهم العرب القبجاق واليونانيون Kumans وكان حوالي نصفهم يدين بالاسلام والباقون وثنيين ، وهم شعب محارب غزوا هنغاريا بين عامي ١٠٧١ ـ ١٠٧٢م وهاجموا حدود الامبراطورية البيزنطية خلال الاعوام ١٠٨٦م و ١٠٩٤م ثم قضى عليهم المغول عام ١٢٣٩م في معركة قرب استرخان فمنهم من قتل ومنهم من أسر وبيع الاسرى عبيدا لسلطان مصر (الملك الصالح) وما يزال قسم منهم يعيش جنوب سيبريا في اقليم يعرف باسم (كومانوفو) (دائرة المعارف البريطانية / ٦ : ٨٥٨) ـ المترجمان

(٤٦) قوم من الاقوام التركية البدوية وقيل بانهم من الغز (محمود الكشغري/ديوان لغات الترك ١ : ٤٨٨) كما ذكر بانهم يمتون بصلة لغوية الى القبجاق (دائرة المعارف البريطانية / ٧:٦٣٤) وكان المجريون يطلقون عليهم اسم Bisseni وقد لعب (البتشينغ) دورا بارزا في تاريخ اوربا الشرقية في القرون الوسطى حيث ظهروا لاول مرة في التاريخ في منتصف القرن الثامن للميلاد (اسلام انسيكلوبه ديسي / ٩٦:٥٣٦) في منطقة بحيرة آرال حوالي عام ٧٥١م حيث اخذ العرب والترك (القارلوق) يضايقانهم مما اضطرتهم على الانسحاب الى حوض نهر سرداريا ، وانتشروا بعد القرن الثامن في منطقة حوض سرداريا السفلى الا ان اتحاد الخزر والغز عام ٨٦٠م اجبرهم على الانسحاب نحو الغرب فاتجهوا صوب المجر واستوطنوا قرب نهر الدون وفي عام ٨٨٩م دفعهم المجريون نحو الغرب ووصلوا نهر الدنيبر عام ٨٩٥م وبعد حروب ومنازعات طويلة مع الغز وغيرهم من الفاتحين من البلدان المجاورة تم القضاء عليهم عام ١٠٩١م ولم تبق منهم الا بقايا قليلة لا تزال تسكن منطقة البلقان هنا وهناك (دائرة المعارف البريطانية / ٧ : ٦٣٤) ـ المترجمان •

كفاءة الكثير من قطعاته وقد اختار وقت الحملة عندما كان الب ارسلان مشغولا بحملته على مصر فقاد مئتي الف رجل متجها نحو الشرق على امل احتلال ارمنية بصورة مفاجئة وحقا فان فاتحة الحملة وخاصة صفتها الدفاعية التي استغرقت اشهر صيف عام ٤٦٢هـ-١٠٦٩م لم تكن دون نجاح مما شجع الامبراطور ليقرر القيام بالهجوم الكبير عام ٤٦٣هـ-١٠٧٠م/٤٦٤هـ-١٠٧١م وعندما اقتربت قواته من حدود ارمنية قام رومانوس بتقسيمها الى مجموعتين وارسل احداها لاحتلال اخلاط بينما قام هو بقيادة المجموعة الثانية متجها الى مانزكيرد ووصلت انباء هذه التحركات الى الب ارسلان فقام السلطان باسناد أمور حملته في مصر الى تابعه آتزس بن اوق[٤٧] الذي قام باستغلال سلطته الجديدة هذه واحتل القدس عام ٤٦٤هـ-١٠٧١م وترك الب ارسلان مصر وراء ظهره واتجه مسرعا نحو الشمال على رأس جيش قوى مصمما على منازلة رومانوس • وقد خدمه الحظ اذ لم تصل اخبار هذه التطورات الى الامبراطور الا عندما اصبح الجيش السلجوقي قريبا جدا وعندما فاته الوقت لجمع قوته مع تلك التي ارسلها لاحتلال اخلاط وسيطرت على ذهنه فكرة الاتصال بقية قواته دون ان يرسل دوريات امام جيشه

---

(٤٧) آتسز بن أوق استولى سنة ٤٦٣ للهجرة (١٠٧١م) على فلسطين كلها ما عدا عسقلان والرملة والقدس ثم حاصر الشام واستولى عليها سنة ٤٦٨هـ-١٠٧٥م ثم جهز حملة وسار بها نحو مصر عام ٤٦٩هـ - ١٠٧٦م الا انه فشل في هذه المحاولة ، وبعد مدة قصيرة حاصره الفاطمنيون في الشام ولكنهم عندما علموا بورود (تتش) الذي عينه ملكشاه السلجوقي واليا على سوريا انسحبوا بعد ان فكوا الحصار عنه • الا ان تتش دخل الشام واعدم آتسز • وقد ورد ذكره في المصادر السورية معربا باسم الآقسز (اسلام انسيكلوبه ديسي / ١١:٦) وآقسز كلمة تركية تعني (بدون اسم ، اي الشخص الذى لا اسم له) ـ المترجمان •

لتكشف له طريق التقدم فكان على اليونانيين ان يدفعوا الثمن غاليا نتيجة ضعف استخباراتهم وتهاون امبراطورهم •

معركة مانزكرد

صباح يوم الجمعة المشؤوم المصادف ١٩ آب ٤٦٤هـ-١٠٧١م تظاهر الب ارسلان بالانسحاب قاصدا ايقاع القسم الاكبر من الجيش البيزنطي في الفخ في واد يقع على ضواحي مانزكيرد وتخلى اثناء الليل البتشينغ والغز والكومان المرتزقة والذين ينحدر جميعهم من اصل تركي والبعض منهم من موالي السلاجقة عن الجيش البيزنطي •

وفي الصباح وعلى الرغم من تناقص عدد قواته تناقصا خطيرا فان رومانوس لم يستطع تفادى المعركة المقبلة اذ ان قواته لا تزال تزيد على قوات الب ارسلان الذى يعتقد انه لم يكن لديه اكثر من مئة وخمسين الف رجل وعلى الرغم من ذلك فان الامور كانت ستسير لصالح اليونانيين لو لم تختار قوات الامبراطور من الفرنجة هذه اللحظة لرفض الاشتراك في المعركة •

كانت المعركة التي تلت هذه الاحداث والتي شاهدها الفرنجة عن بعد معركة ضارية قاسية الى اقصى حد ولقد اثبت البيزنطيون ان لا قبل لهم بالسلاجقة وهرب اليونانيون برعب قبل المذبحة الرهيبة وقد انقسموا الى جماعات صغيرة ونسوا نتيجة خوفهم ورعبهم المحافظة على شخص ملكهم وترك الامبراطور وحيدا ومجردا حتى من حرسه الخاص فأسره رجال الب ارسلان •

قاسى اليونانيون هزيمة مدمرة واثبتت نتائجها انها كانت فاجعة بالنسبة

لهم وقد عرف الجانبان ان مصير كل منهما متوقف على نتيجة هذه المعركة وعلى الرغم من ان الامبراطور قد حصل على حريته في وقتها بعد ان قام بدفع فدية بلغت مليون ونصف المليون من الدنانير فان البيزنطيين بعد تلك المعركة لا يشيرون اليها الا بعبارة « ذلك اليوم المفجع » وتم الاتفاق على شروط السلم عندما كان الامبراطور لا يزال اسيرا وكانت شروطا قاسية جدا فبالاضافة الى الفدية الثقيلة التي يجب دفعها للحصول على حريته فكان عليه ان يوافق على هدنة لمدة خمسين سنة وان يطلق سراح جميع الاسرى المسلمين الذين بحوزة البيزنطيين واشد الشروط خزيا كانت ان عليه ان يقدم للجيش السلجوقي فرقة من القطعات البيزنطية متى ما طلب منه ذلك •

بينما كان رومانوس يوافق على هذه الشروط في ارمنية ، اعلن ميشيل من نفسه امبراطورا في القسطنطينية كان الحاكم الجديد مخلوقا ضعيفا وغير ملائم لهذا المنصب وشبت الحرب الاهلية بعد عودة رومانوس الى العاصمة بين مؤيدي كل من الحاكمين ثم عقد الحاكمان فيما بينهما اتفاقية سرية ولما تأكد رومانوس من سلامته شخصيا سلم نفسه مختارا ليجد ان الحصانة التي وعد بها على الرغم من ضمانة اشراف الدولة لها لم يعد لها وجود فبناء على أوامر ميشيل فقئت عيناه وسجن في أحد الاديرة الموجودة في جزر البرنس فمات هناك كسير القلب متأثرا من جروحه وخلال سنة من سجنه •

لم يسيء رومانوس الحكم على الخطر الذى كان يهدد بيزانطيه من الشرق كما ان الب ارسلان كان على معرفة بان النصر الذى احرزه في مانزكرد قد فتح الطريق أمام السلاجقة للتوجه نحو الغرب ولما كان واثقا من المصير النهائي الذى ستؤول اليه هذه الجبهة فقد قرر التمسك

بشروط الاتفاقية وتأجيل القيام بأية عمليات اخرى في هذا القطاع الى وقت آخر • وبدلا من ذلك فقد حول وجهه نحو تركستان والسبب الرئيسي الذى جعله يقود الحملة على آسيا الوسطى عام ٤٦٥هـ-١٠٧٢م هو كبح جماح شاه خوارزم الذى لفتت تزايد قوته الانظار • وقد اثبت المستقبل صواب هذه المخاوف اذ بموت الب ارسلان ملكشاه قام حكام الخوارزم بالاستيلاء على الكثير من سلطات السلاجقة العظام وبصورة تدريجية وبانهيار حكمهم الذى تلى موت السلطان سنجر عام ٥٥٢هـ - ١١٥٧م اسس الخوارزميون امبراطورية شملت اغلب شمالي ايران بالاضافة الى اقاليمهم في آسيا الوسطى •

كانت هذه الحملة ايذانا بنهاية ألب ارسلان فقد جاءه الموت بطريقة غريبة اثناء جلوسه لمحاكمة حفنة من الاسرى ضمت قائدا خوارزميا يسمى يوسف • فقد جيء به امام السلطان مقيدا وعندما حكم الب ارسلان على الرجل المقيد بالموت اخذ هذا باهانة الفاتح فاستنفره هذا التقريع فأمر الب ارسلان الحراس بفك قيود يوسف والوقوف جانبا ثم تناول السلطان قوسه ورمى الاسير بسهم ولقد لعب الحظ لعبته الغادرة مع امهر رام في زمانه اذ انحرف سهم الملك ولم يصب الرجل وخلال لحظات الدهشة التي اعقبتها قفز يوسف على الب ارسلان وقتله بضربة من خنجر السلطان نفسه •

وبموت الب ارسلان انطوت صفحة سلاجقة فارس العظام ذلك الاسم الذي ميز هذه السلالة عن غيرها من ممالك السلاجقة ولم يبق لها اى تأثير على تلك التي سميت بسلاجقة الروم • اذ على الرغم من ان اثنين من اسلافه

وهما مالك شاه وباركياروق[٤٨] قد اثرا بعض التأثير بصفتهما اميرين لفرع صغير من العائلة فان حكمهما لم يكن ذا تأثير كبير اذ قد حان الوقت الآن ليلعب سلاجقة الروم دورهم في تكوين الحوادث التي مرت على آسيا الصغرى وليتراجع السلاجقة العظام من المسرح ثم ليختفوا منه نهائيا •



---

(٤٨) هو ابو المظفر ركن الدين بركياروق (٤٧٢هـ ـ ١٠٧٩ / ٤٩٨هـ ـ ١١٠٤م) اكبر ابناء ملكشاه السلجوقي (اسلام انسيكلوبه ديسي / ١٧ ـ ٥٥٦) ـ المترجمان

الفصل الثاني

تأريخ سلاجقة الروم

كان من عادة السلاجقة العظام نصب اقربائهم المقربين من الرجال امراء صغار أو حكاما على الاقاليم البعيدة وهي عادة انحدرت اليهم من أسلافهم ويسمح لكل من هؤلاء الحكام بنوع من الاستقلال طالما كان يعترف بالسلطان سيدا له ويخضع لقراراته فيما يخص السياسة الخارجية وعلى اساس النظرة هذه فقد سمح حكام السلاجقة العظام لبعض الملوك المغلوبين بالبقاء على عروشهم على شرط ان يقبلوا برابطة التبعية للسلاجقة . وقد توسعت هذه الامتيازات لتضم القادة الذين ابدوا بسالة وشجاعة فائقة في المعارك ثم حاول نظام الملك تشريع واعادة الحياة لنظام المنح المالية كجائزة للبطولة في ميدان الحرب بدلا من نظام منح الاقطاعيات وعندما فشل في تحقيق اقتراحه هذا ابدى وهو ممتعض ملاحظة على أن الاقطاعية الممنوحة لا تخول مالكها اعتبار السكان المحليين عبيدا له أو تسمح له بجمع المال منهم اكثر من الحد المقرر . وقد وضع هذا النظام لغرض اشغال المدعين الاقوياء بالعرش وفي قضايا الامور الادارية ولصرفهم عن التآمر ضد السلطة العليا وعلى كل فقد كان لهذا النظام بعض المساوىء . فقد كان رؤساء العشائر مطبوعين على الحسد والتآمر وساعدت السلطة الممنوحة لهم للحكم على تقوية هذه النزعة بينما

لم يؤثر الشعور بالمسؤولية المنحدر اليهم من السدة الملكية على وقف طموحهم عند حده • وعلى هذا فقد كانت تنبعث احيانا حركات العصيان بصورة مستمرة بين الامراء الذين كان عليهم ان يرضوا بالحكم الذى يمارسونه على اماراتهم التي عهدها اليهم سيدهم للمحافظة عليها •

فكان على السلاطين دائما ان يكونوا على حذر ومستعدين دائما للزحف من احدى المقاطعات النائية في امبراطوريتهم الواسعة الى مقاطعة اخرى لغرض فرض النظام والطاعة فيها • وعلى هذا فان قوة حكام السلاجقة الكبار بدأت تضعف كلما توسعت رقعة امبراطوريتهم وازداد عدد الامراء الصغار وامراء المقاطعات الذين ينحدر بعضهم من اصل تركي ، على عكس الموظفين المدنيين الذين كانوا غالبا من الفرس أو العرب ، فكانوا يسرعون باستغلال أية اشارة تدل على الضعف لغرض عدم تقديم اية خدمة لاسيادهم سوى التافه منها • وقد زاد بصورة تدريجية عدد اقطاعيات الامبراطورية المنفصلة عن الدولة الام •

سليمان ٤٧٠هـ - ١٠٧٧م / ٤٧٩هـ - ١٠٨٦

فتحت انتصارات الب ارسلان في مانزكرد الطريق أمام التسلل السلجوقي الى آسيا الصغرى ولكن عندما قرر السلطان السير بحملة ضد شاه خوارزم بدلا من استغلال انتصاره هذا اصبح أمر اختيار القائد الذي سيقوم بمسؤولية ادارة الجهة الغربية ذو أهمية بالغة وكان من المستحيل تقرير السبل التي استطاع بها سليمان وهو أمير صغير من العائلة المالكة الحصول على هذه الوظيفة ، اذ على الرغم من انه من اقرباء الب ارسلان

المقربين ، فقد كان ابنا (لقتلمش)[1] ذلك الرجل الذى - رغم اخلاصه لطغرل - حاول الاستيلاء على العرش الذي خلا بموت طغرل ومات في (الرّى) وهو يحارب للحصول عليه . وعلى كل حال فقد استلم سليمان[2] امور الاقليم الغربي بعد رحيل الب ارسلان . لم تكن المهمة سهلة فانها تتطلب قابليات متعددة من القائم بها ، اذ ان السلاجقة باتوا يعتقدون ان موت الامبراطور رومانوس قد انهى معاهدة الصلح التي تم الاتفاق عليها بعد معركة مانزكرد فكانت مهمة سليمان السيطرة على الاقليم المحتل سيطرة تامة ليكون واضحا بصورة جلية لرؤساء العشائر التركية والتركمان الذين تسللوا الى الاقليم بان السلاجقة هم سادتهم وفي نفس الوقت التحضير للعمليات التي لابد منها ضد البيزنطيين .

اما في القسطنطينية فقد ارعبت الاخطار التي تهدد بيزانطية من حدودها الشرقية الامبراطور الاديب والمسالم ميشيل[3] وقد دفعه قلقه هذا الى ان يرسل الدعوات متوسلا المساعدة من البابا غريغوري السابع[4] الذي قام

---

(١) هو قتلمش بن آرسلان يبغو بن سلجوق بن دقماق وقد عاش ايام السلطان الب ارسلان (١٠٢٩/١٠٣٢-١٠٧٢م) وقتلمش من سلاجقة الاناضول (اسلام انسيكلوبه‌ديسي/١٠٤ : ٣٨٤ - ٥) - المترجمان .

(٢) هو سليمان بن قتلمش من سلاجقة الاناضول والملقب بسليمان شاه الاول (نفس المصدر السابق) - المترجمان .

(٣) هو الامبراطور ميشيل بن قسطنطين دوكاش ، وقد توج امبراطورا عام ١٠٦٧م الا ان زوج والدته المدعو (روما ديوجين) استولى على السلطة فطلب ميشيل مساعدة السلاجقة فاعيد الى دست الحكم مرة أخرى عام ١٠٧١م . وفي سنة ١٠٧٨م خلعه الامير (نيكفور بوتونيات) نتيجة اهانة الامبراطور له وسجنه في احدى القلاع ثم عينه مطرانا على مدينة افسس (شمس‌الدين سامي/قاموس الاعلام ٦ : ٤٥٠٤) - المترجمان .

(٤) توج امبراطورا عام ١٠٧٣م (قاموس الاعلام ٢/١٤٤٩) - المترجمان .

بدوره على الرغم من عدم قلقه بتحريض البلدان المسيحية لمساعدة الكنيسة الشرقية وفي نفس الوقت قام ميشيل ، وقد حيره اهمال العالم الغربي في استجابة دعواته ، مضطرا بجمع جيش بصورة مرتجلة ضم كل متطوع جاء في طريقه ومن بين هؤلاء الضباط الضابط النورمندي روسيل البيليولي ولربما كان هذا الضابط اجشع واقل النبلاء ثقة من بين جموع النبلاء الذين تقاطروا على القسطنطينية على أمل الحصول على غايتين لانفسهم وهما جمع المال من المشرق من جهة وتأمين خلاص ارواحهم عن طريق جهادهم الصليبي من جهة اخرى .

عمل روسيل على كسب ثقة ميشيل ، ثم قام النورمندي الخائن بالتخلي عن الجيش اليوناني في لحظة حرجة تاركا اياه لمصيره المحتوم ، وعمل على اقتطاع اقطاعية لنفسه في الاناضول متجاهلا بصورة مشينة قسم الاخلاص الذي اداه ولكن هذه الاعمال لم تعكس سفالته باجمعها فقد قام دون تردد وهو واثق من عدم امكانية النجاح في مشروعه الغادر هذا بمفرده بالطلب من سليمان عدو الامبراطور اليوناني الالد القدوم لمساعدته . فانتهز سليمان هذه الفرصة التي جاءت من مثل حليف كهذا فوافق حالا وضم قواته الى قوات المتمرد المسيحي فلم يجد الزعيمان صعوبة تذكر في دحر الجيش الامبراطورى في آرموريوم (حوالي ٢٤ ميلا الى الغرب من سيورى حصار الحالية)[٥] واسر قائدها المدعو قيصر جونددو كاس ثم قام النورمندي بتويجه امبراطورا في نيقوميدية (ازميت)[٦] .

---

(٥) سيورس حصار : مدينة تقع على بعد ١٣٥ كيلومتر جنوب غربي انقرا (قاموس الاعلام/٤:٢٥٨٢) ـ المترجمان .

(٦) مدينة اثرية بنيت عام ٢٦٤ق.م وكان يطلق عليها تسمية

نتجت عن تتويج جوندو كاس اضطرابات واسعة شملت بيزانطية كلها واستمرت حوالي عشرين سنة واتخذت هذه الاضطرابات احيانا شكل حرب اهلية وراقب ملكشاه الذي جلس عــلى عرش الســلاجقة العظام هذه الاحداث عن كثب ولاحظ في نفس الوقت مهــارة سليمان في الحقل الدبلوماسي التي لا تقل عن براعته في الميدان العسكري فشعر في حوالــي ٤٧٠هـ-١٠٧٧م/٤٧١هـ-١٠٧٨م ان من المستحسن تعيين سليمان حاكمـا على الروم • وقد شجعت ترقية سليمان هذه ميشيل الذي كـان ما يزال يعاني من صدمة خيانة حليفه النورمندي ان يقرر اتباع نفس الاسلوب الخطر الذي سار عليه روسيل وذلك بالالتجاء الى سليمان لمساعدته ضـد العصاة وقام سليمان باستشارة مولاه وسيده ملكشاه قبل ارسال جوابـه ولم يتردد ملكشاه بالاقتناع اذ انه كان على ثقة من الفوائد التي قد يجتنيها من هذا التحالف •

وعن هذا الطريق استطاع سليمان الدخول الى بيزانطية الاصلية كحليف مرغوب فيه لملكها على رأس جش كبير سائرا فوق الارض الطامع فيها • وخدم الحظ هذا السلجوقي مرة اخرى اذ سرعان ما أسر روسـيل ورفض تسليمه الى الامبراطور ما لم يدفع عن النورمندى فدية مناسـبة وبعد ان دفع البيزانطيون الفدية احتفظوا بروسيل اسيرا لديهم لمدة قصيرة اذ اضطر الامبراطور نتيجة لظهور مدعين اخرين بالعرش الامبراطوري

نيقوميديا ، ثم استبدل هذا الاسم بـ (آزميت) ويطلق عليها الآن اسـم « قوجه ايلي » وهي تقع قرب رأس خليج (آزميت) على بحر مرمرة في تركيا (دائرة المعارف التركية) ـ المترجمان •

للاعتماد على كل من يحيط به فاطلق سراح روسيل على شرط ان يدافع عن الامبراطور الشرعي .

ظهر المدعيان اللذان انبعثا في وقت واحد تقريبا في مكانين مختلفين من الامبراطورية . فقد زحف احدهما والمدعو نسيفورس بوتانيتس من الغرب معلنا من نفسه امبراطورا عند وصوله ادريانبول[٧] ثم واصل زحفه نحو القسطنطينية واما المتمرد الثاني المدعو نيسيفورس برينيوس فقد كان نشطا في آسيا الصغرى مجندا اليونانيين المهاجرين من مانزكرد في جيشه ولكن دعوته لم تقابل بالتأييد الحار وبقيت قواته قليلة مما دعاه الى الاستنجاد بسليمان لمساعدته ! وكم كان السلجوقي سعيدا لان يضيف الى الملابسات والمشاكل المتعددة مشكلة اخرى وذلك بان يهرع لمساعدة مسيحي آخر .

وهكذا تقدمت قوات اليونانيين المتمردين والسلاجقة الفاتحين المتحدة نحو الغرب سوية محتلين قيسيقوس[٨] Cysicus اولا ثم نيقية Nicaea [٩] حيث قام المدعي بالاعلان نفسه امبراطورا، ثم دخل الجيشان سوية نيقوميدية Nicomedia ثم اتجهوا نحو خلقيدونية[١٠]

---

(٧) مدينة قديمة على شكل شبه جزيرة تقع في الساحل الجنوبي لبحر مرمرة (دائرة المعارف البريطانية) .

(٨) مدينة اثرية من مدن بيثينيا القديمة وتقع قرب بحر مرمرة وتعرف حاليا في تركيا باسم (اسنيك) (دائرة المعارف البريطانية ج١٦ ص٤١٠) ـ المترجمان .

(٩) مدينة قديمة من مدن بيثينيا في آسيا الصغرى تقع قبالة مدينة بيزنطية (استانبول الحالية) الى الجنوب من مدينة اسكودار الحالية وقد سميت مجازا (مدينة العميان) وكانت مسرحا للحروب واستعمل الاتراك أحجارها لاعادة بناء مدينة استانبول الحالية (دائرة المعارف البريطانية ج٥ ص١٩٣) ـ المترجمان .

(١٠) اقليم تاريخي كان يقع الى الشمال الغربي لآسيا الصغرى على

Chalcedone لیندفعوا نحو كريسوبولوس Chrysopolis (كاديكوى الحالية) وهي مدينة واقعة على ساحل مرمرة الاسيوى • وهنا افترق الجيشان وبينما كان القائد اليوناني يعبر الماء الى القسطنطينية لخلع الامبراطور والاستيلاء على السلطة تحصن السلجوقي على الساحل الآسيوي ليتطلع عبر البحر اللامع الى قلب المملكة المسيحية والعصب الحساس لقوة الامبراطورية وهو يحلم بامتلاكها • وقد أدت محاولة نيسفورس برينيوس للاستيلاء على السلطة عام (٤٧١هـ - ١٠٧٨م) الى قيام ثورة جديدة بين يوناني آسيا الصغرى ، قادها الجنرال نيفوروس ميليسينوس الذي اتبع التقليد الذى سبقه اليه الثوار المسيحيون في هذه المنطقة في الاستعانة بسليمان لمساعدته •

واثبت السلاجقة مرة اخرى انهم على استعداد للاستجابة ، وهكذا سارت الجيوش المسيحية والمسلمة سوية الى بثنيا (Bithynia)[(١١)] جنبا الى جنب • فاستسلمت الحاميات البيزنطية التي يكون المرتزقة الاتراك اغلبيتها الى القوات السلجوقية التي اعتبرتهم مواطنين لها • ونتيجة لذلك وجد ميليسينوس ان قواته منهكة ومتعبة فاضطر الى التخلي عن فكرة

البسفور من جهة البحر الاسود وتغطي الجبال والغابات أغلب أراضيه عدا السواحل التي تتكون من أراضي خصبة وعلى الساحل الغربي للاقليم يوجد خليج ازميت واشهر انهاره نهر سقاريا (دائرة المعارف البريطانية ج٣ ص٦٧٢) - المترجمان •

(١١) اقليم تاريخي قديم كان يقع غربي آسيا الصغرى وكانت عاصمته مدينة ساردیس (دائرة المعارف البريطانية ج١٤ ص٥١٥) تحيطه اقاليم ميسيا من الشمال وفريجيا من الشرق وقاريا من الجنوب ويونيه من الغرب وقد كان مملكة مستقلة طيلة ١٠٣١ عاما من سنة ١٥٧٩ ق•م حتى سنة ٥٤٨ الميلادية (قاموس الاعلام/٦ : ٤٠٥٤) - المترجمان •

الزحف على القسطنطينية وقرر بدلا من ذلك الاقامة في بثينيا وطلب من حليفه الانسحاب من المنطقة • وعلى كل حال لم يستجب سليمان هذه المرة لاقتراح حليفه اليوناني كما لو يكن القائد في موقف يمكنه من تنفيذ رغبته • وهكذا اصبح بامكان سليمان استغلال الفرصة فضم ليديا (Lydia)(١٢) و (ايونيا (Ionia) اليـه • وكوّن هناك أول امارة سلجوقية في تربـة الاناضول • وفي عام (٤٧١هـ ـ ١٠٧٨م) اعلن من نيقية عاصمة له ومن نفسه سلطانا •

العاصمة نقية :

اصبح سليمان الآن في وضع يمكنه من التفكير واستجلاء الموقف وكان موقفه يبعث على الحسد اذ على الرغم من انه كان سيدا لعدد من الامـراء الاتراك التابعين له فان البعض منهم قد اعلن من نفسه حاكما مستقلا لمقاطعات شاسعة كما لم يقم السلاجقة بامتلاك مسـاحات كبيرة من الارض والتي يسيطرون فيها على المدن الكبيرة المهمة وفي الحقيقية كانت المنطقة المحتلـة تكوّن في حد ذاتها مملكة ذات كيان • اذ كانت تشمل كثيرا من اراضـي ارمينـيا وتمتد عبـر اغلب منـاطق آسـيا الصـغرى حتى هليسـبونت(١٣) (Hellespont) الشرقية والتي كانت تعود فيما مضى الى امير حلب •

---

(١٢) اطلقت هذه التسمية عموما على الاقاليم الي كان يقطنها اليونان ثم اقتصرت التسمية على الاقليم الواقع وسط ساحل آسيا الصغرى الغربي والممتد من مدينة ازمير الحالية الى ساحل منتشا • وكان اليـونان يقطنون هذه الاقاليم منذ عام ١١٤٠ق٠م (قاموس الاعلام/٦ : ٤٨٢٩) ـالمترجمان •

(١٣) تسمية اطلقها اليونان على مضـيق دردنيل من جهة البحـر الابيض المتوسط (قاموس الاعلام/٦ : ٤٧٤٤) •

اما في الغرب فتقع قطعة من الارض على ضواحي سميرنة (ازمير) والتي كانت تكوّن اقطاعية غنية تعود الى الامير التركي القوى تزاكاس (Tzakas)[١٤] اذ لم تكن تعود لاحد الفريقين المتنازعين فاليونانيون تجنبوها لضعفهم كما لم يقدّر السلاجقة الفوائد التي كانوا يجنونها من استيلائهم على هذا الميناء البحري • وكان انصراف سليمان عن المقاطعات الغربية لآسيا الصغرى وعن محاولته ايجاد منفذ بحرى له هو اهتمامه بامر سوريا ومصر حيث الدين والثقافة الاسلامية الحبيبة الى نفسه فاتجه الى فتح سوريا ومصر دون تلك المقاطعات وعلى الرغم من طبيعة انتصاراته اللامعة فانه لم يفكر جديا في تحدى ومواجهة قوة البيزنطيين كما ان اختياره لنيقيا عاصمة له كان بسبب موقعها الجغرافي وليس رغبة منه في القضاء على الامبراطور اليوناني • اذ كان موقع المدينة يشرف على الطريق الموصل بين القسطنطينية والقدس مما جعلها مركزا مهما للسيطرة منها على آسيا الصغرى وسوريا •

---

(١٤) اصبح جاكا صاحب ازمير بعد وفاة سليمان بن قتلمش سنة (١٠٨٦م) ثم ضم اليها ولايات ماقز وميدللي وبعض جزر بحر ايجه بحيث أسس ولاية ازمير الكبرى ولم يكتف بذلك بل قام سنة (١٠٩٢م) باحتلال ادرميت وحاصر جناقلعه مما أثار مخاوف الامبراطور اليكسيوس كومنينوس فاشار هذا الى قليج ارسلان الاول سلطان (أزنيك) بقتله ، فقتله قليج ارسلان غيلة (اسلام انسيكلوبه ديسي/٥٤ : ١٢٤٤) ـ المترجمان •



خارطة الامبراطورية السلجوقية توضح مناطق حكم سلاجقة الروم

ادى اتخاذ سليمان نيقية عاصمة له الى انتشار الهلع بين سكان آسيا الصغرى • فتصادم التركمان المهاجرون مع المسيحيين الخائفين الذين ارادوا الهرب من سيطرة السلطة السلجوقية فهرب الكثيرون من الارمن الى المقاطعات الارمنية في طوروس وانتي طوروس التي كانت تعرف لديهم باسم « ارمنيا الصغيرة » ويمكننا معرفة مدى تأثير هذه الحوادث في البلاد المسيحية بصورة عامة خلال الاقاصيص الشعبية(١٥) التي كانت منتشرة في اوربا الغربية في تلك الفترة والتي ورد فيها ذكر سليمان كثيرا •

وفي عام (٤٧٤هـ-١٠٨١م) اعتلى عرش القسطنطينية امبراطور جديد يدعى « اليكسيوس » الذي واجهته مواقف حرجة في آسيا والذي لا يمكنه

---

(١٥) تصور هذه الحكايات السلطان سليمان رجلا قويا مقداما يبطش باعدائه ويساعد المساكين والفقراء (اذربيجان ناغيللرى ج١ ص٣) — الترجمان •

التغلب عليها قبل اعادة النظام في عاصمته نفسها وفي ممتلكاته الغربية •

وعلى الرغم من ان هذا الامر قد استغرق منه خمس سنوات فقد كان باستطاعته في اوائل عام (٤٧٦هـ-١٠٨٣م) ان يوجه اهتمامه نحو الشرق • وكان قد قرر في قرارة نفسه استعادة الاراضي الآسيوية ، فعبر بحر مرمرة وحمل على سليمان فانسحب السلاجقة بعد ان احرقوا جميع المحاصيل على طريقتهم البدوية لاجبار الروم على التوقف خوفا من المجاعة التي قد تجابههم ان استمروا في التقدم ، لذا تردد اليكسيوس بين مهاجمة ايكونيوم (قونيه) او فيلومليوم (اقشهر) فأشارت عليه ابنته ان يكتب اسم كل مدينة على قطعة من الورق وبعد ان يقض ليلة في الصلاة ، يسحب احد القساوسة احدى الوريقات عند الفجر وبحضور الجميع ليعرف اسم المدينة التي سوف يهاجمها وفعل الامبراطور ذلك وكانت المدينة (فيلومليوم) فهاجمها فاضطر العدو الى دخول المعركة معه • ودارت رحى المعركة طويلا قتل اثناءها (اندرينيكوس بورفرويجينوتس) ابن الامبراطور ولما لم يستطع سليمان منع البيزنطيين من استعادة نيقوميديا فقد تم الصلح بينهما ونصت المعاهدة المعقودة على ان يوافق سليمان على تشكيل امارة فيها • ويقوم الامبراطور من جانبه بالتنازل عن بعض الاقاليم للسلاجقة ، ولكي ينقذ ماء وجهه تظاهر الامبراطور بوضعها بعهدة سليمان للاشراف عليها • أدت الظروف الراهنة بسليمان ان يوجه اهتمامه مرة اخرى نحو الشرق • فترك زوجته واطفاله في نيقية عام (٤٧٩هـ-١٠٨٦م) واتجه نحو انطاكية على امل الاستيلاء عليها بهجوم خاطف ولكن دفاع المدينة القوى اضطره على ضرب خيامه حول المدينة • وكان حاكم انطاكية ارمنيا يدعى (فيلاريتوس) فانقلب هو أو ابنه خلال الحصار خائنا وساعد السلاجقة بدخول المدينة سرا واحتلالها •

وقد مكن سقوط انطاكية سليمان لأعلان استقلاله عن السلاجقة العظام • ذلك الاعلان الذي بعث الخوف في نفوس الامراء المسلمين الذين يحكمون سوريا اذ وجدوا انفسهم جيرانا له • فكونوا من انفسهم اتحادا وارسلوا لسليمان تحذيرا مشتركا وكان جواب السلجوقي على هذا التهديد الزحف على حلب • فاضطرب حاكم حلب والتمس من تتش حاكم سوريا وأخي السلطان السلجوقي العظيم ملكشاه المساعدة • ولما كان تهديد سليمان يمس تتش بصورة غير مباشرة فقد سارع الى نجدة المدينة المهددة • وتقابل الغريمان في معركة عند منتصف الطريق بين حلب وانطاكية وذلك عام (٤٧٩هـ-١٠٨٦م) ، وكانت المعركة عنيفة وقاسية بحيث لم يكتب النصر لاحد الطرفين ، أو كما قالت (أناكومنينا)(١٦) انها قد انقلبت الى اشتباك بالايدي اذ هرب فجأة رجال سليمان وولوا الادبار ، وعندما وجد السلطان نفسه غير قادر على السيطرة على الموقف هرب هو الآخر • ثم كما قال احد الامراء اليونان(١٧) « عندما ظن انه وصل منطقة آمنة وضع درعه على الارض وجلس فوقه ويتبعه احدهم مخبرا اياه بان تتش يود رؤيته » • فسحب سليمان سيفه من غمده بسرعة ودفنه في احشائه ، وهكذا مات الرجل اليائس ميتة بائسة •

أدت وفاة سليمان غير المنتظرة الى عدم استقرار الاوضاع في منطقة الاناضول ، اذ بدأت المنازعات والاضطرابات بين مختلف الأمراء الاتراك

---

(١٦) Anna Comnena, The Alexid, translated by E. Dawes (London, 1926).

(١٧) Rene' Grousset, Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem (Paris, 1954) , Vol., I.P. 29 .

للاستيلاء على العرش الخاوى • فانتهز ملكشاه حاكم السلاجقة العظام هذه المنازعات للتدخل في الامر ، اذ كـــان يراقب ـ عن كثب ـ تبوأ سليمان السـريع لهذه المكانـــة ، فانتهز وفاته وقـــام بتعيين قائدين حاكمـين لمقاطعة الروم ، محتجزا ثاني ابناء سليمان كرهينة لديه في اصفهان بدلا من الابن الاكبر الذي كان اسيرا في العراق •

وبوفاة ملكشاه عام (٤٨٥هـ-١٠٩٢م) ورث بعده العرش ابنه (بركياروق) وكان الحاكم الجديد ضعيفا ورحيما اكثر من أبيه ، وأول عمل قام به بعد تسنمه لسلطاته اطلاق سراح ابن سليمان ، فتمكن الاخير خلال تلك السنة من اعلان نفسه سلطانا لسلاجقة الروم واتخذ له لقب (قليج ارســلان الاول)[١٨] •

قليج ارسلان الاول ١٠٩٢ ـ ١١٠٧م

واجه قليج ارسلان عند عودته الى نيقية مصاعب جمة في محاولتـــه السيطرة على المنطقة ، اذ كان قد استولى عليها بعد وفاة سليمان احد العصاة الاتراك الملقب بـ (ابي القاسم) الذي اتخذ من العاصمة مركزا له واحال المملكة الى بؤرة للفوضى والاضطرابات • وعمل الامبراطور البيزنطـي على زيادة الفوضى وعدم الاستقرار بكل الطرق المتوفرة لديه للحط من قيمـة السلاجقة ، وبدأ عام (٤٩٠هـ-١٠٩٦م) ان الحملة الدعائية هذه ستنجح بحد ذاتها للقضاء على الحكم السلجوقي في آسيا الصغرى وحقا فان الحالة كانت في صالح اليونانيين حتى قام الصليبيون بتحريض الامبراطور للمساهمة معه في محاولة لطرد المسلمين من آسيا الصغرى ولغرض اعادة فتح طريق

---

(١٨) قليج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن ارســلان يبغو بن سلجوق ثالث سلاطين سلاجقة الاناضول والمتوفي سنة (١١٠٧م) وقد جاء الى الحكم بعد اخيه داود (تورك مشهورلرى ص٢١٧) ـ المترجمان •

الحج الى الأراضي المقدسة تحت قيادة وولتر المفلس لاجبار السلاجقة على النزوح من نيقيـــة • ولما كانت الحملة غير منظمة وذات قيادة ضـــعيفة تمكن قليج ارسلان الذي لم يكن قد استعد للمعركة بصورة كافية الانتصار عليهم بكل سهولة •

الدانشمنديون

أدى انتصاره السريع ـ لسوء حظه ـ الى عدم تقديره كفاية الجيوش المسيحية تقديرا صحيحا وكان التقدير الخاطيء للموقف من جانب قليج ارسلان سببا في تركه حامية صغيرة في العاصمة (نيقية) واتجاهه شـــرقا لمحـــاربة الدانيشمنديين القاطنين في منطقة سيواس ـ القيصرية الـــذين استغلوا فرصة انشغال قليج ارسلان للاستيلاء على ملاطية ، والدانيشمنديون مثل بقية السلاجقة ينتمون الى اصل تركي وكان (تيلو) اول مـــن أسس هذه الامارة وقد كان يتقن الكتابة العربية والفارسية مما مكنته من امتهان التعليم تلك المهنة التي خالف بها اسلافه • وخلال العشرين سنة التي مضت على ظهورهم في الاناضول في اعقاب السلاجقة نصب الدانيشمنديون من أنفســـهم أمـــرا لمقاطعـــة شـــملت (طوقـــات)[١٩] ونيكســـار[٢٠] وألبستان[٢١] وملاطية ، وامتدت الى الشمال الغربي حتى قسطموني التي

---

(١٩) مدينة تقع في أواسط تركيا أو في الاقليم الذي كان يطلق عليه الاناضول الشمالي وعلى بعد (٥٥٠) كيلومتر من البحر الاسود ـ المترجمان•

(٢٠) كان يطلق على هـذه المـدينة قـديما (Neocaesarea نيقوساريا) وتعني قيصرى الجديد وتقع الآن في ولايـة طوقات التركيـة (اسلام انسيكلوبهديسي/٢٧٣:٩٣) ـ المترجمان •

(٢١) دون المؤرخون العرب (ياقوت الحموي وابن اياس) هـذا الاقليم في تواريخهم باسم (ابولستين) أو (ابلوستين) وقد لعب هـذا الاقليم دورا مهما في تاريخ السـلاجقة في هـذه الفترة ، فقد احتلها طغرل ارسلان بن قليج ارسلان ملك ملاطية سنة ١١١٩م وفي سنة ١١٢٤م تمكن

كانت مهدا لعائلة (كومنين) البيزنطية • وفي نهاية ذلك القرن ، وتحت زعامة رئيسهم كمشتكين ملك غازي وصلوا الى اوج عظمتهم حتى انهم تمكنوا من التسلل الى سيليسية (قيليقية) • وتقديرا لهذه الانتصارات انعم السلاجقة على كمشتكين بالراية السوداء شعار السلطة، الذي كان يمنحه العباسيون لرؤساء القبائل المؤيدة لهم مما جعل الدانشمين ارفع مقاما من قليج ارسلان ، تلك المكانة التي قرر قليج ارسلان عدم احترامها والانتقام من اصحابها •

حصار نيقية

وهكذا زحف قليج ارسلان شرقا ليحارب الدانيشمنديين غير مهتم بما خلفه وراءه ، اذ ترك عائلته وكنوزه في نيقية ظنا من انها في مأمن هناك • وما كاد قليج ارسلان يترك عاصمته ، حتى قام الصليبيون تحت قيادة ريموند بن روبرت گيسكارد Guiscard وجود فرى البولوني ودوق لورين وبوهيموند وتانكرد بتجهيز جيش صليبي والزحف على المدينة المذكورة • وفي ٦ أيار عام (٤٩١هـ-١٠٩٧م) وصل الصليبيون نيقية ولم يتمكنوا مبدئيا من اجتياحها نظرا لاسوارها المنيعة التي يبلغ طولها اربعة اميال بالاضافة الى ابراجها البالغة (٢٥٠) برجا ضخما • فخيم الجيش خارج

غازي بن دانيشمند امير ملاطية من احتلال مدينة البستان وما جاورها وهكذا أصبح هذا الاقليم تحت سيطرة الدانيشمنديين الذين دب الخلاف بينهم بحيث قام الملك محمد الدانيشمندي باحتلال المدينة عام ١١٣٧م وطرد منها ومن حوض نهر جيجان شقيقه وحاكم اقليم البستان المدعو (عين الدولة) • وقد حاول فرنجة انطاكية عام ١١٣٩م الانتقام من الملك محمد وذلك بالهجوم على البستان لاحتلالها ، الا انهم باءوا بالفشل • وبعد وفاة الملك محمد تمكن شقيقه عين الدولة احتلال ملاطية ، ثم سيطر على اقليم البستان عام ١١٤٣م (اسلام انسيكلوبهديسي/٣١/٢٢٣-٣٠) - المترجمان •

المدينة في انتظار العون من روبرت النورمندي ، احد ابناء وليم الفاتح ، وأخي ملك انكلترا ، ومن استيفن البلوائي فعسكر امبراطور بيزنطية في منطقة بيليكانوم Pelecanum قرب ساحل خليج نيقوميديا على رأس جيش يوناني • وصلت اخبار الحصار الى قليج ارسلان بينما كان لا يزال سائرا لمقابلة الدنيشمنديين ، فترك الحملة واسرع بالعودة للدفاع عن عاصمته ، فوصلها في ٢١ آيار سنة ٤٩١هـ-١٠٩٧م ليجدها وقد احاط بها الاعداء من كل جانب ، ولم يضيع الوقت بل قام بهجوم معاكس على الصليبيين ، وعلى الرغم من البسالة التي ابداها رجاله لم يستطع رفع الحصار عن المدينة • وكادت الحالة تنقلب لصالحه لو لم يقرر الامبراطور اليوناني الموافقة على فكرة سحب القوارب المائية من نيقوميديا الى بحيرة نيقية[٢٢] عبر الارض • وقد شاهد السلاجقة هذه العملية من التلال المجاورة دون ان يكون في مقدورهم التدخل لايقافها ، بينما دخل العدو المدينة من الجهة الاخرى • فتم احتلال نيقية في ٢٦ حزيران سنة ٤٩١هـ-١٠٩٧م وجاء الامبراطور اليكسيوس قادما من بيليكانوم للاشراف على المدينة واظهر شهامة في تصرفاته اذ سمح للنبلاء المسلمين بالجلاء عن المدينة لقاء فدية يدفعونها له • وارسل السلطانة واولادها وحاشيتها الى القسطنطينية باجلال واحترام يليقان بمقامها •

الامير تزاكاس

كانت السلطانة الابنة الكبرى للامير تزاكاس المسيطر على اغلب مناطق ساحل بحر ايجه بالاضافة الى سيمرنا وجزر ليسبوس وجيوس وساموس

(٢٢) بحيرة ازنيك الحالية في تركيا (الخارطة الاثرية لتركيا/٩٥٢) ـ المترجمان •

وحتى بعض اقسام جزيرة رودس •

قرر الكسيوس بعد تحريره لمدينة نيقية طرد تزاكاس وابنه من سيمرنا وعلى الرغم من تعلقه بآسيا الصغرى فقد أمر قائده العام جون دوكاس باعلان اخبار تحرير نيقية وان اضطر الامر فيعرض السلطانة واطفالها امام الناس للدلالة على هذا الانتصار • وفي نفس الوقت قام الامبراطور على رأس جيش ليعبر به الدردنيل من(ابيدوس) الى اترامايتوريون (Atramytrion) لم تصادف دوكاس صعوبات تذكر في احتلال سميرنا (ازمير الحالية)وعند دخوله المدينة كان حاقدا على المدافعين الذين احدثوا التخريب فيها ، فتعقب رجال تزاكاس الى لاباديون (اولوباد) حيث قضى عليهم بوحشية ، وهكذا كان عدد القتلى كبيرا بين الاتراك حتى لم يبق من الاحياء منهم من لم يرتد السواد حزنا على موتاه (ذلك الحداد الذي اتخذ شعارا للانتقام)[٢٣] ولما انتفت الحاجة من بقاء السلطانة اسيرة ، اعادها اليكسيوس مع اطفالها الى قليج ارسلان دون المطالبة بفدية لهم •

عندما كان اليونانيون ينزلون العقاب بتزاكاس واتباعه ، واصل الصليبيون زحفهم نحو انطاكية والارض المقدسة فاتجهوا من نيقية على امتداد الطريق العسكرى الموصل الى كوك صو (كاليكادنوس) في طريقهم الى دوروليوم (اسكي شهر) حيث مفرق طريقين تؤديان بهم الى آسيا الصغرى فانقسموا الى فرقتين ، قاد الصغرى منهما بوهيمونت[٢٤] الذي سبق الجيش

---

(٢٣) راجع هامش (١٧) اعلاه •

(٢٤) أحد الرؤساء الصليبيين وأمير تارنتا الذي التحق بالصليبيين عام ١٠٩٨م فحاصر انطاكية وتمكن من احتلالها نتيجة حيلة مدبرة فأسس دويلة صغيرة دامت (١٩٠) سنة (قاموس الاعلام/١:١٤٠٦) — المترجمان •

الرئيسي الذى كـان يقوده جودفرى البولوني وريموند ســانت جيلس وهيو الكليرمونتي • بينما اسرع قليج ارسلان شـرفا ليعقد الصـلح مـع الدانيشمنديين وليحثهم على ترك النزاع جانبا والانضمام اليه لمقاومة الغزاة المسيحيين • وقد ساعدت الروابط القبلية في استثارة الدانيشمنديين لاستجابة هذا الطلب • كما ان اقتراح قليج ارسلان التفرغ لمحاربة الصليبين دون البيزنطيين الذين يعتبرهم الدانيشمنديون حماة لهم ساعد على تقريب وجهات النظـر •

لم يكن السلاجقة وحدهم قد وجدوا حلفاء لهم ، اذ وجد الصليبيون ايضا حليفا لهم على غير انتظار في شخص الفاطميين ، الاعـداء التقليديين للسلاجقة ، اولئك الذين كانوا يساعدون الارتوكيديين[٢٥] حكام اقاليم ماردين ـ حصن كيفا (Hisn Kaifa) في مجابهتهم لقليج ارسلان •

كان الارتوكيديون اتراكا من قبيلة الغز ، وهم مدينون بسلطتهم الى تتش الدمشقي الذي قام عند استيلائه على القدس عام ٤٧٩هـ-١٠٨٦م بتعيين آرتق بن اقساب[٢٦] حاكما للمدينة مكافأة له على شجاعته التي ابداهـا

---

(٢٥) دويلة بني آرتق تأسست عام ٤٧٧هـ ودامت حتى سنة ٨١١هـ بعد ان شملت اقاليم ماردين وديار بكر وحلب (قاموس الاعلام/١:٨٢٢) أما مؤسس هذه الدويلة فهو آرتق بن اكسوك وليس ارتق بن أقساب كما ذكرته المؤلفة ـ المترجمان •

(٢٦) كان آرتق من المماليك التركمان الذين كانوا في خـدمة ملكشاه السلجوقي ، وقد أمره ملكشاه بالتوجه مع فخر الدولة ابن جهير لاحتـلال الموصل سنة ٤٧٧هـ فحاصرا عدوهم شرف الدولة مسـلم بن قريش فاخذ فخر الدولة يفاوض آرتق سرا لفتح الحصار عنه لقاء مبلغ كبير •• فوافق آرتق على ذلك ، وبعد ان تمكن فخر الدولة من فك الحصار ، التجأ آرتق الى تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق ودخل في خدمته وساعده كثيرا في فتوحاته فاقطعه تتش فلسطين فأسس فيها دويلته • توفي آرتق

خلال السنتين الماضيتين عندما قام سلطان السلاجقة العظام بحصار آمد (ديار بكر الحالية) ولما توفي آرتق عام (٤٨٧هـ-١٠٩٤م) خلفه ولداه سقمان وأيلغازي ولكن الابن الاكبر سقمان قام بين عامي ٤٩٨هـ-١١٠٤م/ ٤٩٩هـ-١٠١٥م بالاستئثار بالسلطة ضاما ماردين الى مقاطعته •

معركة دورليوم

قام السلاجقة والدانيشمنديون حالا بعد تحالفهم بملاحقة الصليبين ، فتعقبوهم وتمكنوا من الالتقاء بقات بوهيمونت ذات مساء من شهر حزيران عام (٤٩١هـ - ١٠٩٧م) بينما كان هؤلاء معسكرين في ضاحي دورليوم •

ظن المسلمون ان الجماعة المحيطة بالنار هي القوة الرئيسية للجيش المسيحي ، فهاجموها فجرا واستمر القتال طيلة النهار ، وكان من عادة الترك التقدم على شكل ثلاث جماعات مستقلة ، فعندما تقوم احداها بالقتال ، تعمل الجماعتان الباقيتان « عمل الدوامة في الاحاطة بالعدو وارباكه » ، كما عبرت عن ذلك أناكومنينا[٢٧] ونادرا ما كانوا يستعملون الرماح بل كانوا يعتمدون على الحركة السريعة لتطويق العدو وامطاره وابلا من السهام على مبعدة منه اذ كان القواسون يتناوبون رمي العدو بالسهام على شكل موجات متعاقبة فعندما هاجم الترك ، قاوم الامير البيزنطي الهجوم بضراوة ، فكان يقضي على عدوه بضربه عندما يهاجمه وعندما يهاجم هو يستعمل النبال ، فكانت النبلة الطائرة تصيب الحصان او راكبه فتجرحه •

رجحت كفة السلاجقة في بداية المعركة ، ولما انتصف النهار انضمت قوات

سنة ٤٨٤ للهجرة بعد ان خلف ولديه ايلغازى وسقمان • (قاموس الاعلام/ ١ : ٨٢٢ واسلام انسيكلوبه ديسي/٨ : ٦١٧-٢٥) - المترجمان •

(٢٧) راجع هامش (١٧) أعلاه •

مسيحية جديدة واخذت تهاجم المسلمين من الخلف • وبحلول المساء ضعفت مقاومة المسلمين وهرب محاربوهم فجأة على غير انتظام تاركين وراءهم مؤونتهم وخيامهم وعدتهم •وقد عملت هذه الهزيمة النكراء على انتزاع المبادرة من ايدى السلاجقة ، تلك المبادرة التي حصلوا عليها منذ عشرين عاما في معركة ملازكرد ، ولكن جنودهم ابدوا شجاعة فائقة خلال المعركة التي خاضوها • حتى ان جستي فرانكوروم Geste Francorum اثنى عليهم لبسالتهم الفائقة •

تكبد المسيحيون خسائر فادحة في هذه المعركة ، وقرروا الاستمرار برحلتهم الى الاراضي المقدسة على شكل وحدات منفردة• واختاروا الطريق الاقصر ـ دون الالتفات الى المشاق ـ خلال فيلومليوم الى ايكونيوم • وكان عبورهم لسلطان داغخير مثل على الصعوبات القاسية التي لاقاها رجالهم المتعبون • اذ كانوا يئؤون بجرحاهم وبالاسلاب الكثيرة التي غنموها في هذه المعركة • ففقت اغلب خيلهم ومات الكثير من مشاتهم في هذه المسيرة ، واضطر الصليبيون للاستعانة باصناف متعددة من الحيوانات لحمل معداتهم ، فاستعملوا المعز والكلاب وحتى الخنازير لهذه الغاية • وعلى أية حال وصلت بقايا هذا الجيش المنتصر ••• !! الى اكونيوم ، وبعد استراحة قصيرة تمكنت البقية من مواصلة رحلتها •

كانت معركة دوروليوم نقطة تحول في تاريخ السلاجقة ، اذ قضت الخسارة الكبيرة التي اصيب بها الترك ماديا ومعنويا على احلامهم في السيطرة على بقاع اخرى • كما انها حرمتهم من الاحتفاظ بمناطق ايكونيوم واريكلي وقيصرية • بينما وضعت مملكة بالدوين التي اسسها في ايديسا ومملكة

گودفری التي انشأها في فلسطين ، حدا لتوسعهم نحو الشرق ، بالاضافة الى القطعات النورمندية على ساحل البحر الابيض المتوسط تلك القطعات التي عزلتهم عن الجنوب الغربي •

واذا كان لابد للسلاجقة من الحياة ، كان عليهم ان يكونوا سادة الاناضول وتلك فكرة استحوذت على عقولهم نتيجة تفكيرهم السياسي الناضج • غير انهم لم يتمكنوا من تحقيق هذه الفكرة اذ ان حلفاءهم الدانشمنديين اشتدت شوكتهم في عاصمتهم سيواس واستطاع السلاجقة زيادة عدد افراد جيشهم عن طريق تجنيد التركمان الذين لا زالوا يدخلون آسيا الصغرى باعداد كبيرة الى المساعدة القيمة التي قدمها بوهيموند وقريبه ريتشارد السالرني اللذين اسرتهما قواتهم عام (٤٩٤هـ - ١١٠٠م) أثناء معركة التلال قرب ملاطية خير عون على ذلك • مما دعى الصليبيين للاسراع في فتح باب المفاوضات لاخلاء سبيل بوهيموند الذي بقي اسيرا الى عام (٤٩٥هـ-١١٠١م) نتيجة عدم رغبة الصليبيين لدفع الفدية المطلوبة •

وبينما كانت المفاوضات لا تزال مستمرة لدفع الفدية ، رجع ريموند سانت جيل الى القسطنطينية ليواجه موجة جديدة من الصليبيين تصل من اوربا تحت قيادة الكونت بياندريت ، ولما كان ريموند اكبر واكثر خبرة من بقية القادة الصليبيين فقد استلم قيادة هذه القوى المشتركة والتي بلغ تعدادها حوالي (١٥٠) الف رجل وبدلا من ان تتجه هذه القوة الجديدة الى الاراضى المقدسة أصر رجالها على الزحف نحو نيكسار حيث كان بوهيموند اسيرا فيها وذلك لضمان اطلاق سراحه • فسار القائدان سوية واحتلا في طريقهما (انقرا) عابرين قيزيل ايرمق ، متجهين شرقا نحو نيكسار • وبدأت متاعبهم منذ تلك اللحظة • اذ قام السلاجقة باتلاف وحرق المزروعات والمخازن في

الاقاليم التي سيمر منها الصليبيون • وفي عز حرارة الصيف قاس الغزاة الآمرّين نتيجة لتلك الحالة ، وارتأى القادة الصليبيون ترك فكرة انقاذ بوهيموند جانبا خوفا من ازدياد الضحايا فقرروا الاتجاه شمالا الى قسطموني • حيث وضعوا خطة للعودة الى بيزنطية ، ولكنهم سرعان ما اضطروا الى الاقلاع عن هذه الفكرة اذ ان وعورة الطريق والحر وقلة الطعام والماء قد انهكت رجالهم وفوق ذلك كله الهجمات السريعة الخاطفة التي كان تقوم بها فرق السلاجقة من الانصار • كان الانصار يهاجمون الوحدات اللومباردية بوحشية ، فيذبحون المشاة فيضطر الفرسان للهرب خوفا من المصير نفسه • وعلى الرغم من نصائح وتحذيرات رايموند اصر الناجون منهم من خائري العزيمة بالتوجه شرقا مرة ثانية نحو اماسية على أمل الالتجاء الى الدانيشمنديين • وعندما اقتربوا من هدفهم وقع كونراد ووحداته الجرمانية في كمين نصب لهم وقضي عليهم جميعا • فاضطر ريموند السيطرة على بقية الناجين لمواجهة القوى المسلحة المهاجمة التي بدأت بالهجوم في (٥) آب من السنة نفسها ، وقد حارب الجيشان بعناد طيلة النهار ، وعند حلول المساء حيث يتوقف القتال عادة ، بدت كفة السلاجقة هي الراجحة ، اذ اسرعوا بالنهوض فجر اليوم التالي مبكرين ، تاركين اسلوبهم الاعتيادي في القتال مهاجمين عدوهم وجها لوجه مستلي السيوف فكان رجال ريموند اول المنهارين ، فاحاط نفسه بحرسه الخاص وتمكن من شق طريقه هاربا الى بافرة وهي ميناء صغير على البحر الاسود قرب سينوب ، حيث أبحر من هناك الى بيزنطية تاركا النورمنديين للفناء ، وقد تمكن بعض النورمنديين من الذين نجو من المذبحة الوصول الى سيليسيا بصعوبة بالغة • حيث انضموا الى (بلدوين) و (تانكرد) اللذين سبق

ان التجأ الى اغنياء الارمن في تلك المنطقة • وفي خلال هذه الحوادث اعاد اللاتينيون فتح باب المفاوضات لاطلاق سراح بوهيموند ، فتوصلوا الى عقد اتفاق سنة ٤٩٧هـ-١١٠٣م والذي تم بموجبه دفع الفدية الضخمة بمساعدة الجالية الارمنية الغنية الى الدانيشمنديين فاطلق سراح الاسير •

ورغم ذلك ، فان هذه الفدية الضخمة لم تضع حدا لهذه المشكلة اذ اغرت ملكغازي الدانيشمندى فلم يشارك بها حلفاءه السلاجقة • وخلال النزاع المر الذي نتج عن ذلك لم يتردد ملكغازي بدعوة الامبراطور البيزنطي لمساعدته ، وبدأ أمر وقوع الحرب بين الحليفين المتنازعين لا مفر منه • ولكن موت ملكغازي سنة ٤٩٩ - ١١٠٥م / ٥٠٠هـ - ١١٠٦م أبعد شبح الحرب عنهما• ومع ذلك فلم يغفر السلاجقة للدانيشمنديين طمعهم وخيانتهم لهم ، حيث استمرت تلك الكراهية الى عام ٥٧١هـ - ١١٧٥م عندما نجح السلاجقة في القضاء على هذه الاسرة الحاكمة الصغيرة • ولم يمنع نزاع السلاجقة مع الدانيشمنديين حول الفدية من مواصلتهم القتال ضد الصليبيين، فاستمرت الحرب فكانا يتنازعان النصر بينهما • ومع ذلك فقد تمكن السلاجقة من تثبيت مركزهم وتقويته في آسيا الصغرى • وفي اوائل خريف ٤٩٨هـ - ١١٠٤م تمكنوا من احراز نصر كبير في معركة (اريكلي) حيث حطموا القوات الاحتياطية التي اتي بها وليم النافارى ووليم البواتيني من فرنسا • وسرعان ما تمكنوا من مهاجمة قوة كبيرة مكونة من الفرنسيين والالمان ومن بقية الاقوام الاوربية التي جاءت من اوربا لمجابهة هذا الهجوم وتمكن السلاجقة من القضاء عليهم ايضا •

وأدت هذه الانتصارات الى استتباب الامن في الدولة السلجوقية ومكنت حكامها من توجيه انظارهم نحو تنظيم الادارة التي تعتبر عاملا مهما لترسيخ

اركان الدولة • ولم يتخذ السلاجقة من انتصاراتهم مدعاة للهو وجني ثمارها ، بل اتجهوا نحو ايجاد نظام اقتصادي سوى وخدمات اجتماعية منتظمة لبلادهم • فانهمكوا في ايجاد الطرق الكفيلة لانعاش آسيا الصغرى وجعلها تعيش عيشة مرفهة خلال هذه الفترة والتي استمرت الى القرن الثالث عشر حينما جاءت الموجة المغولية جالبة معها الفوضى والخراب لهذا البلد • وعلى كل لم يكن قليج ارسلان في وضع يمكنه من ان يوجه جل اهتمامه الى هذه الاصلاحات ، بل كان مجبرا ان يوجه عنايته الشخصية الى الاقاليم المحيطة بدولته الجديدة وعلى هذا قام في أوائل عام ٥٠٠هـ ـ ١١٠٦م باحتلال (ملاطية) و (ميافارقين)[٢٨] ثم دخل الموصل عام ٥٠١هـ ـ ١١٠٧م واصر على أن يقرأ اسمه في خطبة الجمعة بدلا من اسم السلجوقي العظيم[٢٩] •

وخلال هذه الحوادث كان مضطرا لمساعدة الاتراك في حربهم مع الجورجيين ، ولكنه عاد ووجه اهتمامه نحو الامراء الارتوكيديين الذين تمكنوا بسياستهم الماكرة من احلال انفسهم في مركز ممتاز في الزاوية الجنوبية الشرقية لآسيا الصغرى بحيث اصبحوا خطرا عليه • لذلك ترك قليج ارسلان ملك جورجيا حرا في مملكته وانصرف لمواجهة التحدى

---

(٢٨) مدينة كانت تقع شمال شرقي آمد (أي ديار بكر الحالية) ويطلق عليها الآن اسم (سلوان) (اسلام انسيكلوبەديسي/٨١ : ١٩٥) وتقع على فرع من فروع نهر دجلة التابع الى نهر بطمان صو (قاموس الاعلام/٦:٢٠٤٥٠) ـ المترجمان •

(٢٩) السلطان محمد تابار سلطان اذربيجان وديار بكر وسوريا أخ بركياروق وابن السلطان ملكشاه بن ألب ارسلان من سلالة السلاجقة العظام (اسلام انسيكلوبەديسي/١٠٤ : ٣٧٤) ـ المترجمان •

الارتوكيدي بحكمة وروية، فاستفز حاكمهم سقمان[٣٠] لمواجهته في المعركة في الوقت الذي يختاره • وهكذا تقابل جيشا القائدين الغزيين عام ٥٠١هـ ـ ١١٠٧م على مقربة من الموصل ، فخان الحظ هذه المرة قليج ارسلان ومات في المعركة غرقا عند عبوره نهر الخابور •

نزل خبر موت قليج ارسلان بردا وسلاما على كل من امبراطور بيزنطية وسلطان السلاجقة العظام • اذ لم يشعر كلا الحاكمين ابدا بالطمأنينة عندما كان القائد الالمعي حرا يتصرف على هواه على مقربة من أقاليمهم الشاسعة • ولقد ذهب استيفن روندسيمان • بعيدا حيث قال : « ان موته رفع الخطر الجاثم على البيزنطيين في تلك اللحظة الحرجة ومكن سلاجقة الفرس البقاء قرنا آخر تقريبا » أما تأثير موته على شعبه فكان اشد ايلاما اذ نتج عنه اسر ولديه الكبيرين (آراب)[٣١] في فارس و (ركن الدين مسعود) في البلاط الدانيشمنديين ، ومع ذلك تمكنت ارملته (ايزابيلا) اخت رايموندسانت ايجيدير من العمل بسرعة لنصب ابنه الاصغر (طغرل) حاكما على ملاطية والاقاليم الشرقية •

---

(٣٠) سقمان بن ارتق حكم من سنة ٤٨٤هـ الى سنة ٤٩٨ للهجرة (قاموس الاعلام/١ : ٨٢٣) ـ المترجمان •

(٣١) هو ملك آراب بن قليج ارسلان حاكم ولايات انقرة وقسطموني وكان على خلاف منذ زمن بعيد مع اخيه مسعود ، فجهز جيشا وسار به لمحاربة مسعود فتغلب عليه واستولى على قونية ، فالتجأ مسعود الى حميه غازى الدانيشمندى فجهزا حملة عليه وتمكنا من دحر جيشه سنة ١١٢٦م ففر آراب الى قيليقية • وتمكن من جمع جيش كبير سنة ١١٢٧م سار به لمحاربة مسعود وغازى الا انهما تغلبا عليه هذه المرة ايضا ولكن غازى الدانيشمندي تعقب فلول جيشه ودخل قيصرى وانقرة فاحتلهما وضمهما الى ممتلكاته • فالتجأ آراب هذه المرة الى الامبراطور البيزنطي يطلب مساعدته فاستجاب له الامبراطور وجهزه بجيش جرار الا انه مات وهو في الطريق لمحاربة خصميه • (تورك انسيكلوبهديسي/٦/٤٧٠) ـ المترجمان •

مالك ٥٠١هـ-١١٠٧م / ٥١٠هـ-١١١٦م

مسعود الاول ٥١٠هـ-١١١٦م / ٥٥١هـ-١١٥٦م

وخلال هذه الفترة الحرجة استولى مالك اخو السلطان قليج ارسلان على السلطة في قونية واعلن نفسه سلطانا باسم ملكشاه الاول • وفي عام ٥١٠هـ - ١١١٦م قام مسعود الذي تزوج من أميرة دانيشمندية[٣٢] باقناع حميه وسجانه باطلاق سراحه لمساعدته في استرجاع عرشه ، فنجحت محاولتهما المشتركة وتمكن مسعود من السيطرة على مملكة تمتد من سنكاريوس Sangarius الى طوروس • ومع ان اخاه الاصغر بقى حاكما على ملاطية الا ان حماه دانيشمند غازي الثاني استولى على المقاطعات الممتدة من نهر هاليس Halyis قيزيل ارماق[٣٣] الى نهر الفرات • أما مسعود فقد عمل بحكمة وركز اهتمامه بتقوية مركزه وذلك بتوسيع رقعة اقاليمه على حساب جيرانه المماليك الاتراك وساعده في ذلك عمه[٣٤] الذي يتمنى ان يرى مسعود حاكما اوحدا لآسيا الصغرى • وقام العم مقابل ذلك بانتهاز فرصة موت حاكم الاورتوكيديين عام ٥١٨هـ-١١٢٤م بالاستيلاء على اراضيهم ، ولما اعجبته هذه المقاطعات رفض تسليمها الى صهره • وفي هذه الاثناء بدأ مسعود نزاعه مع اخيه آراب الذي اطلق السلاجقة العظام سراحه عام ٥١٩هـ-١١٢٥م فعاد مسرعا الى الاناضول ليطالب بعرشه وتمكن بسهولة

---

(٣٢) هي ابنة غازى الثاني بن دانيشمند تايلو مؤسس سلطنة الدانيشمنديين • (اسلام انسيكلوبه‌ديسي/٢٦/٤٧٥) •

(٣٣) حوض نهر قيزيل ايرماق الحالي (قاموس الاعلام ٦:٤٧٢٤)- المترجمان •

(٣٤) أي السلطان غازى الدانيشمندى الذي توفي عام ١١٣٤م (اسلام انسيكلوبه ديسي/٢٦ : ٤٧٠) - المترجمان •

من اسقاط مسعود والاستيلاء على العرش فالتجأ الحاكم المخلوع الى القسطنطينية ، فاستقبله الامبراطور احسن استقبال وبدأ بالمشاورات الدبلوماسية ، ثم قام من هناك باتصالات دبلوماسية مع حميه فتم التوصل الى ان يقوم حموه الدانيشمندى بمساعدة مسعود لاسترجاع عرشه ثانية ، ولم يطل به الامر اذ تمكن من خلع آراب الذى التجأ هو الآخر بدوره الى القسطنطينية فاستقبله الامبراطور واكرم وفادته ويبدو ان الحياة قد اعجبته في العاصمة البيزنطية اذ بقي فيها عدة سنوات حتى توفى هناك .

اقام مسعود بدوره في قونية حيث ورث جانقيري وانقرة بعد وفاة دانيشمند غازي الثاني فاستبدل عاصمته وارتحل الى نيقية جاعلا منها عاصمة لسلاجقة الروم .

لم ينس مسعود العطف الذي اسبغته علية القسطنطينية ، فقام عام ٥٤٢هـ-١١٤٧م بمعرفة من الامبراطور وربما بموافقته ايضا بالالتحام مع جيش كونراد الثاني في المعركة التي وقعت قرب (دوريليوم) وتكبد فيها حَمَلة الرماح في جيش مسعود خسارة فادحة ، ولكنه في هذه المرة تمكن من تحطيم القوة المسيحية ، ثم قام مسعود في السنة الثانية بانزال ضربة قاصمة شبيهة بالاولى بجيوش لويس السابع الفرنسي مما اضطر الملك وحاشيته على ترك رجاله والهرب الى اداليا (انطاكية) ، ثم ابحروا من هناك الى بر السلامة . وقد نصت معاهدة الصلح التي اعقبت الحرب هذه على اضافة (مرعش) الى ممتلكات مسعود . وعلى الرغم من قضاء مسعود اغلب فترات حكمه في المعارك والحملات فانه ترك مملكته عند موته عام ٥٥١هـ-١١٥٦م في مركز اقوى كثيرا مما كانت عليه في السابق . فقد استتب الامن فيها وانتعش وازدهر شعبها . وامتدت حدودها شرقا بضم

بعض الامارات والمقاطعات التي اخذت تتساقط من جسم امبراطورية السلاجقة العظام وكذلك بضم قسم كبير من اراضي الدانيشمنديين بعد موت غازي الثاني •

قليج ارسلان الثاني ٥٥١هـ-١١٥٦م / ٥٨٤هـ-١١٨٨م

خلف مسعود في العرش ابنه عزالدين قليج ارسلان الثاني وهو امير ذو قابلية فائقة ، وعلى الرغم من منازعة اخاه شاهنشاه اياه على السلطة ، الذي قام بنصب نفسه مدعيا بالعرش في مدينة انقرة بتأييد من ياگي سيان[٣٥] Yagi Siyan الدانيشمندى الذي كان بدوره تحت حماية نورالدين[٣٦] ذلك الاتابكي القوى حاكم حلب فقد تمكن قليج ارسلان الثاني من الحصول على تأييد اميرين دانيشمنديين صغار ، هما الامير ذو النون حاكم قيصرى وذو القرنين حاكم ملاطية• فقد بدأ بحل نزاعه مع شاهنشاه وحلفائه الاقوياء الذين قاموا بالاستيلاء بسرعة على المقاطعات الفراتية ،فعندما تقابلا وجها لوجه تمكن قليج ارسلان الثاني من دحر شاهنشاه ،وبعد ذلك في **٥٥٣هـ - ١١٥٨م** وجد قليج ارسلان المنتصر نفسه مهددا تهديدا شديدا من جبهتين :

---

(٣٥) هو ياغيسيان بن تايلو الدانيشمندى واخا غازى الثاني الدانيشمندى • وقد ذكر أيضا بصيغة (ياغين) ايضا (اسلام انسيكلوبه ديسي/٢٦ : ٤٧١) - المترجمان •

(٣٦) هو الملك العادل ابو القاسم نورالدين محمود بن عمادالدين الزنكي بن آقسنقر وهو الابن الثاني لعمادالدين الزنكي مؤسس الدولة الاتابكية في جهات الموصل والجزيرة • ولد نورالدين سنة ٥١١ للهجرة ، وفي سنة ٥٤١ هـ - أى بعد وفاة ابيه - تمكن من احتلال حلب التي كانت تحت سيطرة الآرتقيين واتخذها مركزا له انطلق منه لاحتلال حما وحمص وبعلبك ودمشق ومرعش ورقة وبانياس حيث أسس دولته العظيمة • وكان معروفا بحبه للعدل والحق ورعايته للعلماء والادباء والشعراء وقد توفي عام ٥٦٩ للهجرة • (قاموس الاعلام/٦ : ٤٦٠٦) - المترجمان •

جبهة الامبراطور البيزنطي مانويل الذي أخذ يعمل بسرعة للاستيلاء على بعض المقاطعات تمهيدا للقيام بحملة مقبلة واسعة النطاق وكنتيجة لذلك اضطر السلطان أن يوجه جهوده نحو الغرب ضد قوتين متحالفتين هما نورالدين (الزنكي) الحلبي والدانيشمندين ، الذين وضعوا انفسهم تحت حماية بيزنطة ، والجبهة الثانية في الشمال الشرقي ضد يعقوب ارسلان وهو أمير دانيشمندي آخر ونتيجة لذلك خسر بعض المواقع في ضواحي البستان في منطقة انتي طوروس ، واضطره البيزنطيون الى التقهقر في وادي ميناندار فلم يكن له بد في طلب الصلح • فاضطرته الشروط التي تم الاتفاق عليها للتخلي عن بعض الاقاليم الآسيوية الى اليونانيين مع الوعد لهم باحترام حدودهم ، بالاضافة الى تعهده بتجهيز الجيش البيزنطي ببعض القطعات من الجند السلجوقي الحسن التدريب كلما يطلب منه ذلك •

قام قليج ارسلان الثاني في عام ٥٥٧هـ - ١١٦١م / ٥٥٨هـ - ١١٦٢م بزيارة للقسطنطينية كنتيجة لعقد هذه الاتفاقيات ، وكان الامبراطور يتوقع مجيئه كتابع له ليقدم له الطاعة لمولاه ، ولكن السلجوقي تعمد المجيء الى القسطنطينية بابهة الملوك وان يجعل مناسبة رسمية • وقضى في العاصمة البيزنطية بضعة اشهر متمتعا بالشرف الذي اسبغ عليه ثم وقع معاهدة الصلح وعندما حان موعد عودته تملكه غضب شديد عندما وجد انهم قد حجزوا ابنه الاصغر الذي كان يحبه كثيرا كرهينة في القسطنطينية وحاول في قونية ان ينفس كربته بالزواج من ابنة أمير ارضروم • ولكن الدانيشمندي يعقوب ارسلان اختطف العروس وهي في طريقها الى قونية حيث ارادها زوجة لابن أخيه • فلم يحتمل قليج ارسلان هذه الاهانة ، وبالرغم من المعاهدة التي جددها في القسطنطينية فقد خرقها قليج ارسلان واعلن الحرب على

الدانيشمنديين ، فاسترجع البستان ولاراندا (كرامان) عام ٥٦٠هـ - ١١٦٤م ثم احتل كابادوقيا ومدينتي قيصري وملاطيـة عام ٥٦٤هـ - ١١٦٨م بينما سقطت انقرا بعد سنة من ذلك التاريخ ، واستطاع الدانيشمنديون بعد موت يعقوب ارسلان وبمساعدة نورالدين أميرحلب استرجاع مرعش (مركسي) وسيواس ومع ان قليج ارسلان قد استطاع ان يجر الدانيشمنديين الى حافة الهاوية فان السلاجقة لم يستطيعوا القضاء على هذه السلالة الا عام ٥٧١هـ - ١١٧٥م حيث ضمت هذه الامارة الى ممتلكاتهم • كانت كفاءة قليج ارسلان الثاني في الوقوف بوجه البيزنطيين عاملا مهما في ذيوع صيته عبر آسيا الصغرى وقد قدّره كل من مانويل امبراطور بيزنطة ونورالدين الاتابكي أمير سوريا حق قدره ، بينما كان صلاح الدين الكبير يرتاب منه عندما أصبح سلطانا لمصر عام ٥٧١هـ - ١١٧٥م • حاول الامبراطور البيزنطي الوقوف بوجه تعاظم قوة السلاجقة وذلك بالطرق الدبلوماسية مطالبا بحصته من ممتلكات الدانيشمنديين باعتباره حاميا للاسرة المنقرضة وكان محقا في ذلك ، ومما لاشك فيه ان السلطان قد رفض هذا الطلب فقام مانويل عام ٥٧٢هـ - ١١٧٦م بارسال جيش لاحتلال قونية ظنا منه ان حركة سريعة من هذا القبيل ستأتي بنتائج مثمرة وعندما وصلت اخبار عدد القوة الزاحفة الى قليج ارسلان ، استحسن فكرة ارسال سفيره لمفاوضة الامبراطور على الصلح ، ولكن مانويل لم يعد يثق بالرجل الذي سبق وان نقض معاهدة مماثلة ، فرفض التفاوض وقسّم جيشه الى قسمين جعل أحدهما تحت قيادة صهره اندرينكوس فاتاس ووجهه نحو يافلاغونيا[٣٧] والتحم السلاجقة

(٣٧) اقليم من اقاليم الاناضول القديمة وكان يضم ولايتي بولود قسطموني الحالية وكانت عاصمته مدينة آمسترى (امصره) ومن أشهر حكام هذا الاقليم (مورزس) الذي حكمه سنة ١٧٩-١٣١ ق•م ، وكانت تسكنه اقوام آرية (قاموس الاعلام/١ : ١٤٧١) - المترجمان •

مع هذه القوة في معركة قرب نيقسار ، ويبدو لنا ان كلا من الطرفين كان مصمما على النصر ، لذلك حارب بضراوة وعندما اقترب المساء ، رجحت كفة السلاجقة وبحلول الليل احرزوا نصرا كاملا ، وخلال هذه المعركة سقط (فتاتس) اسيرابيد السلاجقة الذين قاموا بجز رأسه وارسلوه للسلطان رمزا لانتصارهم في هذه المعركة .

معركة ماريوكيفالون

ولم يكن حظ جيش مانويل الثاني بأحسن من الجيش الاول فقد سقط في شرك قرب ماريوكيفالون Myriokephalon في ممر سلطان داغ فوق اغريدير Agridir [٣٨] وقضي عليه عن بكرة أبيه . وقد قارن الامبراطور اندحاره هذا باندحار اسلافه قبل مئة عام في ملازكرد وقد كانت غنائم الحرب التي استولى عليها السلاجقة هائلة جدا ، مما دعى قليج ارسلان الى ارسال البعض منها هدية للخليفة وخصص القسم الاعظم مما بقي لاعادة تقوية وبناء حصون قونية .

ظن قليج ارسلان انه لم يعد هناك ما يخشاه من صلاح الدين (الايوبي) ، فقرر عام ٥٧٥هـ - ١١٧٨م الاستيلاء على قلعة رعبان Ra'ban التي تحرس منافذ الفرات على الطريق المؤدي من حلب الى سميساط وفي السنة الثانية حدث ما وتّر العلاقات توترا شديدا بين الحاكمين ، وكان الدافع لذلك قضية شخصية نتجت عن زواج ابنة قليج ارسلان المحبوبة سلجوقة خاتون وكانت تعرف ايضا باسم (كوهر نصيبي خاتون) من نورالدين محمد ابن أمير حصن كيفا الذي قام بعد بضعة اشهر من زواجه بهجر الاميرة من أجل فتاة راقصة رائعة الجمال ، فالتجأت سلجوقة خاتون

---

(٣٨) جبال آرارات الحالية (قاموس الاعلام/١ : ٩٩٨) - المترجمان .

وقد اغضبتها هذه الاهانة الى والدها لينتقم لها ، فسار الملك على رأس جيشه ليثأر لكرامتها ، فهرب نورالدين والتجأ الى بلاط صلاح‌الدين ورفض قليج ارسلان ايقاف زحف جيشه الا بعد اعادة المدن التي اهداها الى ابنته بمناسبة زواجها والتي أصبحت في حوزة صهره ، وقد حاول صلاح الدين تسوية الخلاف بالطرق السلمية ، ولكنه اخفق في ذلك فقرر ايقاف حملته ضد الصليبيين من الفرنج لغرض تأدية واجبه تجاه ضيفه ، وذلك بمواجهة قليج ارسلان على ارض المعركة ، فاضطرب السلاجقة من هذا الاتجاه وعاتبوا صلاح‌الدين لقيامه بعقد صلح مع المسيحيين لغرض محاربة المسلمين فاجابهم صلاح‌الدين انه من العار ايضا ان يتخلى عن ضيفه ، وعلى كل فقد تدخل نورالدين في الامر ، اذ وعد ان يترك تلك الراقصة الحسناء والعودة الى زوجته اذا تصالح الطرفان .

تنازل قليج ارسلان الثاني

أخذ قليج ارسلان يشعر بالتعب والشيخوخة ورأى عام **٥٨٢**هـ ـ **١١٨٦**م ان حياته قد اشرفت على النهاية ، وبدأ يفكر في التنازل عن العرش لابنائه ، ولكنه لم يبح بهذه الفكرة لاحد . وفي هذه الانناء بدأ صلاح‌الدين والامبراطور اندريتيكوس الذي يخلف مانويل على عرش بيزنطية بمحاولة لعقد حلف بينهما لمقاومة أي توسع سلجوقي آخر . ولكن بعد عامين ، وعندما قام السلطان بتنفيذ فكرته قسم مملكته سرا حتى ان فردريك الاول كتب رسالة الى قليج ارسلان يستأذن منه المرور عبر اقاليم السلاجقة بسلام ليصل الى الاراضي المقدسة فكتب له قليج ارسلان رسالة يرحب به ، وفي ربيع **٥٨٥**هـ ـ **١١٨٩**م عندما حط فردريك الرحال شتاء في اوريان بول (ادرنة) واستعد للسير برجاله عبر هلسبونت والدخول في أراضي السلطنة

كان السلطان قد تنازل عن العرش ، ولما لم يكن فردريك يعلم شيئا من هذه التطورات الجديدة ، فقد هوجم جيشه عند عبوره الحدود السلجوقية ووجد نفسه وجها لوجه في سلسلة من المعارك مع الترك • وادت به الطرق عبر ماريوكيفالون الى حيث وقعت تلك المعركة الكبيرة بين المسيحيين والمسلمين التي كانت لا تزام عظام المسيحيين تملأ المكان • وقد اعطى هذا المنظر انطباعا سيئا لدى رجاله ، وازداد تذمرهم يوما بعد يوم نتيجة لهجمات القناصة والانصار الاتراك الذين لم يتوقفوا عن متابعتهم وقد ازدادوا حقدا وغضبا لاسيما بعد ان ظنوا ان هذه التصرفات نتيجة لخيانة السلاجقة لهم • فقام فردريك باستخدام احدالاسرى الاتراك كدليل لغرض عبور سلطان داغ المشؤوم والوصول الى آق شهر وقونية، وكانت الطريق وعرة صعبة الاجتياز، وربما تعمد الدليل اختيار هذه الطريق بالذات اذ قاسى الصليبيون خسائر فادحة في الرجال والحيوانات عند عبورهم ، وازدادت متاعبهم عندما رفض السكان المحليون الاتراك ان يبيعوا لهم الطعام أو الحيوانات ، وعند وصولهم قونية كانوا منهمكين تماما ولم يتوقف فردريك للاستيلاء على المدينة بل عزز مؤونته واستولى على كل ما استطاع الحصول عليه من الخيل والماشية ، ثم انسحب الى البساتين التي تحيط بالمدينة ليريح جيشه لمدة يومين فقط قبل العبور الى سليسيا ولكن لم يقدر له رؤية الاراضي المقدسة ، اذ عندما كان يهم بعبور كوك صو بعد بضعة ايام من وصوله الى قونية اذ كبا به حصانه قاذفا اياه الى مياه النهر الهائجة حيث غرق قبل ان يتمكن اتباعه المشدوهين من انقاذه • لم يجلب تنازل قليج ارسلان عن العرش الهدوء والطمأنينة التي كان يتطلع اليها بلهفة ، بل على العكس من ذلك اذ حفلت سنواته الاخيرة بمشاحنات مرة بين ابنائه • وعلى الرغم من انه قدم لهم كل ما أرادوه ، مقسما مملكته الى امارات تقسيما عادلا بينهم ، الا ان ذلك لم

يرضي أي واحد منهم .

وبقلب كسير رغب السلطان العجوز في الهجرة والعيش وحيدا مع ابنه الاصغر الذي أطلق البيزنطيون سراحه قبل بضع سنوات . وعندما كان على فراش الموت عام ٥٨٨هـ - ١١٩٢م وصلته اخبار الامير الصغير حاكم قونية الذي نازعه أخوه ركن‌الدين سليمان حاكم طوقات على امارته. وقد خرج الاخير من هذا النزاع منتصرا ونذر نفسه لاعادة توحيد السلطنة ، وعمل بحكمة حينما عين أخاه مغيث‌الدين طغرل حاكما على مدينة ارضروم التي استولى عليها حديثا . ولم يبق سوى اخاه مسعود الذي قاومه بشدة في مدينة انقرة ولكن في عام ٥٩٩هـ - ١٢٠٤م تمكن ركن الدين اخيرا من انتزاع المدينة منه صارعا اخاه اثناء الاشتباكات ليموت هو نفسه بعده باربعة أيام .

قليج ارسلان الثالث ٥٩٩هـ-١٢٠٤م

وبعد وفاة ركن‌الدين قام اتباعه من الامراء بانتخاب ابنه عمادالدين قليج ارسلان الثالث خليفة على العرش ، على الرغم من انه لم يكن قد تجاوز الثالثة من عمره ، ومع ان نزاع عمه قد حرم السلاجقة من الفوائد التي كانوا يتمنونها ، فان العرش الذي ارتقاه الصبي ، لم يكن يخلو من الشهرة والمجد ، اذ قبل وفاة ركن‌الدين بفترة وجيزة قام بعمليات عسكرية ضد جورجيا وتوغل حتى دخل أبخازيا Abkhazia وخلال حكم ركن‌الدين كان أخاه الاصغر غياث الدين كيخسرو الاول يعيش في القسطنطينية منفيا حيث جمع حوله الكثير من الاصدقاء في العاصمة البيزنطيه ووقع في حب فتاة يونانية من اصل نبيل وتزوجها وهي ابنة مانويل مافروزموس وعندما رأى ان ابن اخيه الصغير قد ارتقى العرش تطلع غياث الدين الى التاج الذي كان يعتقد بانه الاولى به وقد شجعه حموه على استعادة عرشه فنجح في ذلك

خلال سنة واحدة وبقي سلطانا حتى وفاته عام ٦٠٧هـ - ١٢١٠م •
كيخسرو الاول ٥٨٨هـ-١١٩٢م / ٥٩٣هـ-١١٩٦م و ٥٩٩هـ-١٢٠٤م / ٦٠٧هـ-١٢١٠م

وافقت عودة كيخسرو للسلطة ، سيطرة اللاتينيون على القسطنطينية وتأسيس الامبراطورية النيقية الكومينينية في طرابزون ، ولم ينس السلطان الجديد وهو في مأمنه بقونية الالتزامات التي ارتبط بها تجاه اصدقائه القسطنطينيين ومضيفيه السابقين • وقد انتهز كل فرصة ممكنة ليعبر عن امتنانه تعبيرا عمليا ، فلم يتردد باقتطاع مقاطعة كبيرة لحميه المسيحي في منطقة ميناندر في لوديقيا(٣٩) • وقد ادت محبته نحو اليونانيين الى ان يلتزم جانب ثيودور لاسكاليس بينما بقيت كراهيته على شدتها نحو اللاتينيين والارمن • وعلى كل حال فقد قام كيخسرو بهجوم على ميناء انطاكية وكان ذلك على الاغلب بموافقة ضمنية من امبراطور القسطنطينية اللاتيني هنري الفلاندري ، واستولى عليها منتزعا اياها من يدي الدوبرنديني عام ١٢٠٧م • وقد كان لحيازة السلاجقة لمنفذ الى البحر الابيض المتوسط فائدة كبيرة للاقتصاد السلجوقي • اذ ان التوسع السريع في تجارة البلد ، اثبت ضرورة حصولهم على مثل هذا الميناء • بينما أخذ العالم الغربي يراقب هذا التطور الجديد المتنامي عن كثب ، لاسيما مركز السلطان وهو على رأس قوة تجارية ضخمة في هذه المنطقة • وقد اشاروا الى سلف كيخسرو بقولهم « الاتينوس العظيم ، سلطان الايقونيين(٤٠) وحاكم جميع الامم في المشرق والمغرب ، كابوس الاحياء وسيد مدينة قدوقية » •

---

(٣٩) P. Wittek 'L'Epitophe d'un Comnene a Konye, Byzantian, X, p. 508.

(٤٠) W. Heyd, Historie du Commerce du Levant au Moyen Age (Leipzig, 1936) Vol. I,p. 303.

وعلى كل فلم يرض هذا التطور ثيودور لاسكاليس فتوترت علاقته مع كيخسرو وقد اشتد هذا التوتر عندما رفض لاسكاليس التنازل عن امبراطورية نيقية وحدها الى حميه اليكسيوس الثالث الذي كان فيما مضى امبراطورا لبيزنطية واصبح الآن لاجئا مفلسا • فغضب اليكسيوس لهذا الرفض والتجأ الى كيخسرو ـ ضيفه السابق ـ طالبا مساعدته لاجبار لاسكاليس بالتنازل عن نيقية ، فتذكر كيخسرو ذلك العطف الذي اسبغه عليه الامبراطور عندما كان في المنفى ، فرحب السلجوقي بالامبراطور المعزول واستجاب لمطاليه ، وقد كان مستعدا لهذه المطاليب مبدئيا لأن لاسكاليس قد أوغر صدره عندما تحالف مع ليو الثاني الارمني فانفجرت الحرب بينهما عام ٦٠٧هـ ـ ١٢١٠م •

كانت قوات لاسكاليس اليونانية قد تم تقويتها وتطعيمها بفرق فرنسية وبلغارية وهنغارية • وتؤكد اسطورة شعبية ان كيخسرو تحدى لاسكاليس لفض النزاع عن طريق مبارزة فردية بينهما حقنا للدماء ، وان السلطان قتل في هذه المبارزة ، بينما يقول المؤرخ ابن بيبي(٤١) خلاف ذلك ، وقوله أقرب للمنطق والواقع ، فقد ذكر ان المعركة وقعت قرب فيلادلفيا (آلآشهر) حيث وقع لاسكاليس من على حصانه فهجم خدم السلطان عليه لقتله وهو ممدد على الارض ، فتدخل كيخسرو ومنعهم من ذلك ، ثم ساعد لاسكاليس على امتطاء جواده واخلى سبيله ، وعندما رأت الجيوش المسيحية سقوط لاسكاليس ولت الادبار بينما اخذ السلاجقة بتعقبهم ومقاتلتهم ، ظنا منهم انهم قد ربحوا المعركة ، تاركين السلطان وحده

---

(٤١) C. Huart, Konya, ville des Derviches Tourneurs (Paris, 1897), p. 144.

في الميدان ، وكان قد تملكتهم شهوة السطو واغتنام الاسلاب ، ناسين واجباتهم في المحافظة على السلطان واتخاذ الحيطة والحذر ضد العدو • وحدث اثناء ذلك ان مر فارس بالقرب من كيخسرو فلم يستطع السلطان ان يتبين هوية الفارس ، فلم يحتاط للامر بينما عرف الفارس هوية السلطان فهجم عليه بسرعة وعاجله بطعنة من رمحه ، فوقع السلطان وترجل الفارس لنهب سلاحه وما يحمله ، فشاهده أحدهم ، فاسرع واخبر لاسكاليس بالحادثة ، فأمر لاسكاليس بجلب الفرنسي وجثمان القتيل ، وعندما تبين شخصية المقتول اخذ يبكي ، وامر بقتل الفارس الفرنسي ، واصدر أوامره بتشييع السلطان على الطريقة الاسلامية مستعينا باحد المسلمين من مدينة (آلآشهر) ثم دفن بتشييع مهيب حسب التقاليد الاسلامية في المقبرة الاسلامية بالمدينة • اثناء ذلك وصلت اخبار موت السلطا نالى المعسكر التركي ، وتمكن لاسكاليس في خضم الحوادث انتزاع الانتصار من ايدي السلاجقة• كما ان اليكسيوس الي كان سبا لهذه الحرب لم يستطع الفرار ، فوقع أسيرا في يد صهره لاسكاليس الذي لم يتردد في انزال العقاب به ، فحكم عليه بالسجن مدى الحياة في احد اديرة نيقية • ثم اتجه بعد ذلك نحو الشمال على رأس جيشه باتجاه البحر الاسود •

كيكاوس الاول ٦٠٧هـ-١٢١٠م / ٦٠٨هـ-١٢١١م / ٦١٦هـ-١٢١٩م

خلف عزالدين اباه في ارتقاء العرش متخذا لقب كيكاوس الاول وقد روى ابن بيبي ان الحاكم الجديد كان صالحا وأديبا ، كما كان شجاعا ومع انه كان محبا للسلم بطبيعته وشغوفا بالشعر فقد اضطر ان يقضى اغلب وقته في الحرب ، كان دؤبا على العمل وبارا بوالده ، اذ كان أول عمل قام به بعد تسلمه الحكم اعادة دفن جثمان والده في قونية • وقد جابه في أوائل

سني حكمه الكثير من الصعوبات اذ على الرغم من ان ارتقائه العرش كان نتيجة انتخابه من قبل مجموعة من الامراء الاقوياء ، فقد نازعه في هذا الحق كل من عمه طغرل حاكم ارضروم واخيه الاصغر الذي لقب فيما بعد بـ « كيقباد الاول » وعلى كل حال فقد تمكن عام ٦١٠هـ - ١٢١٣م من معالجة أمرهما ، اذ شنق عمه وسجن أخاه .

وصرف بعد ذلك اهتمامه نحو معالجة المشاكل التجارية الآخذة بالتعقد ، اذ ان الطرق التجارية اخذت الآن تمول الدولة بجزء كبير من وارادتها ، كما ان سيطرة السلاجقة على ميناء انطاكية لفترة طويلة مما جعلتهم يقدرون الفوائد التي يجنونها منه ، ولكن الفرنج اعادوا احتلال الميناء في الوقت الي بدأت تظهر في الشرق بعض المشاكل السياسية ، اذ ان موت كيخسرو سمح لليو الثاني الارمني باعادة احتلال (اريكلي) و (كارامان) بينما قام لاسكاليس في الشمال بالاستيلاء على القسم الجنوبي الشرقي من ساحل البحر الاسود . قام كيكاوس باحتلال انطاليا مجددا (٦١١هـ - ١٢١٤م / ٦١٢هـ - ١٢١٥م) وانزل العقاب بليو الثاني ، ثم وجه عنايته نحو تأمين منافذ له على البحر الاسود ، اذ ان طرق القوافل التجارية بين الصين والهند وفارس من جهة والعالم الغربي من جهة اخرى كانت تمر من تلك المناطق ، فيجب تأمين طرقها وتطويرها والمحافظة عليها . وفي نفس الوقت القيام بحملة تأديبية ضد لاسكاليس . قام كيكاوس شخصيا بقيادة جيشه فاحتل سينوب أواخر عام ٦١١هـ-١٢١٤م وتمكن من أسر اليكسيوس كومنينوس امبراطور طرابزون ، بينما كان في رحلة صيد ولكن كيكاوس عمل بحكمة حين اطلق سراح اسيره الملكي بعد ان اجبره على الموافقة ليكون من اتباعه وقام في نفس الوقت تقريبا بالاحتفال بزواجه من

ابنة امير (ارزنجان) وفي عام (٦١٣هـ - ١٢١٦م) اتجه شرقا مرة أخرى ليطرد (ليو) من آسيا الصغرى وبعد ان اجبره على الانسحاب الى ارمينيا الصغرى زحف جنوبا على امل انتزاع حلب من يدي نائب صلاح الدين هناك ، لكنه مات عام (٦١٦هـ - ١٢١٩م) بداء السل • وعلى الرغم من الفترة القصيرة التي حكم بها كيكاوس فقد ترك مملكته في حالة من الرخاء الملحوظ مجددا بناء مدينة قونية تجديدا شاملا جاعلا منها عاصمة لمملكة مستتبة ، ثابتة ، مبنية على أسس سليمة ومجهزة بجيش قوي ، مطيع ، منظم ، ومدرب ، وبادارة بارعة مخلصة وتجارة مزدهرة • ففي الاناضول اخذ الكثيرون من السلاجقة يمتهنون الكثير من الحرف المهنية ، كما ازدهرت الزراعة ، وانصبت الثروة على مدن المقاطعات الرئيسية المتناثرة على امتداد طرق المواصلات العظيمة التي جعلها السلاجقة مأمونة وصالحة •

وبدا عهد وارث هذا العرش عهدا مليئا بالاستقرار والهدوء والرخاء اذ كان البيزنطيون منشغلين بنهب ما يستطيعون الاستيلاء عليه من الصليبيين ، بينما كان امبراطور نيقية في حرب مع الفرنج ، كما لم يكن ثمة أمير تركي لينافس السلطان المقبل على العرش •

كيقباد الاول ٦١٦هـ-١٢١٩م / ٦٣٤هـ-١٢٣٦م

قرر امراء كيكاوس تقديم التاج الى علاءالدين بعد ان اطلقوا سراحه من السجن فخلف اخاه باسم (كيقباد الاول) وقد اثبت الحاكم الجديد بانه كان اعظم افراد اسرته ، لان كفاآته متعددة وممتازة • اذ تعلم خلال مدة سجنه الشيء الكثير فاصبح خطاطا ورساما بارعا كما كان نجارا جيدا وصانعا ماهرا للاقواس كما اظهر حكمة ومقدرة ادارية بحيث ازدهرت في عهده تلك الاقاليم التي دمرتها الحرب الطاحنة التي قام بها أسلافه • وجعل

من قونية مدينة جميلة الى أبعد الحدود كما قام بتعمير سيواس جاعلا منهـا أهم مدينة تجارية في المشرق ، في الوقت الذي كان فيه قائـدا عسـكريا محنكا • فاستطاع خلال السنة الاولى من حكمه الاستيلاء على كالوفوروس (علائية) بانتزاعها من الارمن ، جاعلا منها قاعدة بحرية لا مثيل لهـا في منطقة البحر الابيض المتوسط • ولم يكتف بذلك بل حـول اغلب مناطق الاناضول الى اسواق تجارية كما شجع التطور الصناعي باقامة مصانع للسكر وخاصة في منطقة (علائية) السالفة الذكر •

خـراب خوارزم

خلال الخمسة عشر عاما من حكم كيقباد استطاعت جيوشه ان تغمر نفسها باكاليل الغار ، وكان أهالي جنوى قد حاولوا حرمان السـلاجقة من فوائد استيلائهم على سينوب غير ان كيقباد نزل البحر في السـنة الاولى من حكمه على أرس حملة تأديبية عبر البحر الاسود الى Sudak سوداق • وفي عام ٦١٩هـ ـ ١٢٢٢م قام ابن اخيه حـاكم سينوب بـدفع السلطنة الى حرب غير مجدية ضد امبراطور طرابزون ، بينما قام كيقباد في نفس الوقت بتنظيف غربي طوروس حتى سيليفكه من الارمن وتمت له السيطرة عـلى جميع أرمينيا السفلى ، التي ادى انهيارها الى وضع السلطان وجها لوجـه امام جلال‌الدين الخوارزمي الذي كان قد وسع حدود مملكته حتى شملت (اخلاط) • وفي عام ٦٢٨هـ ـ ١٢٣٠م قـام بمساعدة من الامير الايوبي الاشرف[٤٢] بمهاجمة جلال‌الدين الخوارزمي ذلك المنافس القوي لـه ،

(٤٢) هو الملك أشرف بن الملك عادل سيف‌الدين أبو بكر بن ايوب منحه ابوه مدينة (رها) سنة ٥٩٨هـ ثم اضاف اليها (حران) وقام سـنة ٦٠٣هـ باحتلال ماردين وبعد وفاة شقيقه الـوحيد نجم‌الدين ورث ولايات اخلاط وميافارقين • وتمكن بعد ذلك من احتلال ولايات سنجار ونصيبين

فانزل بالشاه الخوارزمي ضربة قاصمة في ارزنجان فكان انتصارا باهرا ، لكن هذا الانتصار حمل في طياته رد فعل خفي ظهرت نتائجه فيما بعد •
وعلى الرغم من ان انتصاره زاد من شهرته ، فانه من جهة اخرى أثار الحسد والرعب في قلب حليفه ، مما دعاه الى التحالف مع (١٦) أمير ايوبي من مصر والعراق والاتفاق على الزحف نحو آسيا الصغرى بقيادة الملك الكامل[٤٣] المصري • بينما كان كيقباد ما يزال منشغلا في حربه في خوارزم• فوجه كيقباد بعض قطعاته لمواجهة التهديد الجديد ، واثبت رجاله مرة ثانية كفاءة ومقدرة باعادة احتلال خربوط وحران والرقة ـ ولو بصورة موقتة ـ مما جعل ملكهم في وضع يمكنه من التقدم في مملكة خوارزم حتى خضعت له نهائيا •

كانت خوارزم لعدة قرون خلت حاجزا بين أقوام متمدنة ورثت الحضارات الشرقية القديمة وبين اقوام بدائية تتجول في سهول أوراسيا • ومع ان ازالة هذه الامارة قد جلبت المجد لكيقباد فان انهيارها قد أدى ـ فيما

والجزيرة فتوسعت بذلك مملكته فاتخذ (الرقة) عاصمة له وعرف بالعدل والاستقامة • وعندما قام عزالدين كيكاوس السلجوقي بمحاولة احتلال حلب بعد وفاة صاحبها الملك ظاهر (وهو عم اشرف الايوبي) قاومه اشرف وجرت بينهما معارك كبيرة وكان صاحب سيماط الملك الافضل حليف كيكاوس في هذه المعارك وفي سنة ٦٢٦هـ قام جلال الدين خوارزمشاه باحتلال اخلاط فاتفق مع علاء الدين كيقباذ السلجوقي وتمكنا من استخلاص اخلاط من خوارزمشاه • توفي الملك الاشرف في دمشق سنة ٦٣٥ للهجرة (قاموس الاعلام/١ : ٩٧٣) ـ المترجمان •

(٤٣) الملك الكامل ابو المعالي ناصرالدين محمد اخا صلاح الدين الايوبي وخامس ملوك السلالة الايوبية التي حكمت مصر وسورية وهو ابن الملك العادل سيف الدين ابو بكر وقد توفي في دمشق سنة (٦٣٥هـ) عن عمر ناهز الستين (قاموس الاعلام/٥ : ٣٨١٥) ـ المترجمان •

بعد – الى انزال الفواجع لا لسلطنة الـــروم فحسب بل لفـارس والعراق ايضا • ولم يكن أحد يتوقع بان يكون ذلك الانتصار انتصارا عقيما في ذلك الحين ، وربما كان من حسن حظ كيقباد ان توفى في ذلك الوقت وعـلى الرغم من انه مات مسموما اذ قيل بان ابنه قد دس له السم وارتقى العرش بعد هذه الفعلة الشنيعة عام ٦٣٣هـ-١٢٣٥م – ٦٣٤هـ-١٢٣٦م فورث مملكة شملت جميع آسيا الصغرى عدا مملـــكة كومنين في طـرابزون وأراضي فتاس في أرمينيا السفلى رغم اعتبار السلاجقة لهما من ضـمن ممتلـكاتهم • ثم عادت السيطرة السلجوقية على مملكة طـرابزون بعد سقوط خـوارزم وذلك عقابا لها على ايوائها عددا من جنود خوارزم •

كيخسرو الثاني ٦٣٤هـ-١٢٣٦م/٦٤٤هـ-١٢٤٦م

خلع الحاكم الجديد (غياث الدين) على نفسه لقب كيخسرو الثاني• وكان خفيف الروح مثل معاصريه أمراء الفرس ، تبهجـه كأس خمر وما يصاحبها من اغان ولهو ورقص • وقد قام بتزويج اخته من الامير الايوبي (الملك عزيز) ابن محمد حاكم حلب ، وتـزوج هو نفسه ابنة الحـــاكم المذكور • ثم ما لبث ان وقع بغرام الاميرة (راسودانا) ابنة (تامارا) ملكة جورجيا ، فاصبحت زوجته الثانية واسبغ عليها مظاهر الابهة باعتبارهـــا الزوجة المفضلة •

التهديد المغولـي

وعلى الرغم من ان كيخسرو الثاني ورث امبراطورية غنية شاسعة الا ان قبائل آسيا الوسطى كانت قد بدأت لبضع سنين خلت تستيقظ من سباتها، وكان المغول الذين بدأوا التسلل غربا هم مركز الثقل في هذه الحركة ، وقد بدأوا زحفهم بسلسلة من الهجمات الوحشية البربرية • فانتشر الذعر

بين السكان الآمنين في المناطق المجاورة ، وكانت انباء الانتصارات التي يحرزها المغول تثير الرعب والفزع في نفوس هؤلاء السكان مما كان سببا في قيام هجرة غير منظمة من هذه المناطق تاركين بيوتهم وحقولهم طعاما سائغا للغزاة . ومما زاد في فزع هؤلاء المهاجرين ظهور جماعات كبيرة من قطاع الطرق والسراق الذين اخذوا بالاعتداء على الفلاحين بقساوة وضراوة وزاد في حالة الهياج هذه وصول قطاع الطرق مع هؤلاء المهاجرين لغرض النهب والسلب أيضا . كما قام قسم من الدراويش بترك واجباتهم الدينية وانصرفوا الى اثارة الفتن السياسية . وذلك بادعائهم ان السلطان قد منح لبعض التجار الاجانب من المسيحيين امتيازات تجارية ... مفضلا اياهم على سكان البلد . وقد أدت هذه الادعاءات الى ازدياد عدم الثقة بين الناس ، فاتسع نطاقه ... مما اجبر السلطان الاعتماد على المرتزقة المسيحيين في جيشه بدلا من اعتماده على رعاياه المسلمين فأدى ذلك الى اطعام هذه الاشاعات بوقود جديدة بالاضافة الى ما سبقها .

لم تقم الجيوش المغولية الرئيسية بمهاجمة السلاجقة في باديء الامر نظرا لاتحادهم وقوتهم العسكرية بل قاموا بغزو واحتلال جنوب روسيا ، حيث استقر بعضهم في حوض نهري الفولكا والدون السفلى ، وأسسوا هناك مملكة عرفت باسم مملكةالقبيلة الذهبية (Altun Ordu) [٤٤] وقام آخرون منهم بفرض انفسهم حماة لامارة كييف . وفي نفس الوقت بدا لهم ان

(٤٤) تأسست مملكة آلتون اوردو بعد حروب ومنازعات عنيفة ابتدأت عام ١٢٢٣م ويعد باتو بن جوجي بن جنكيز خان مؤسس هذه الامبراطورية التي دامت حتى عام ١٤٨١م حين تفككت هذه الدولة نهائيا وكان آخر ملوكها أحمد خان المغولي (آ٠ ى٠ يعقوبوفسكي/آلتون أوردو ـ وانحطاطي ـ استنبول ١٩٥٥) ـ المترجمان ٠

زوال مملكة خوارزم قد مهد لهم الطريق لدخول بلاد فارس ، فجاءت موجة مغولية اخرى اجتاحت ذلك القطر ومن ثم جعلوا من انفسهم سادة لبغداد وحماة لها • حتى ان البعض منهم في زمن كيقباد بدأوا يتلمسون طريقهم داخل آسيا الصغرى ، وبعد موته قاموا بتثبيت مراكزهم هناك واجبروا بعض العشائر التركية على الهجرة من مناطق بلاد الروم الشرقية ، ومن بين بقايا الغز نشأ شعب قايي (٤٥) (Kayi) الذين عرفوا في التاريخ باسم العثمانيين ، فقد قادهم زعيمهم سليمان نحو آسيا الصغرى • وتقول الاساطير ان طغرل ابن ووريث سليمان رأى كوكبتين من الفرسان متلاحمتين في نزال عنيف • وانه كان يقف متفرجا ليرى الضعيف في تلك الكوكبتين ، ثم حمل طغرل على رأس رجاله واندفع لمساعدة الضعيفة ، وعند وصوله رجحت كفة تلك الكوكبة الضعيفة والتي تبين فيما بعد انها السلطان السلجوقي كيخسرو وحرسه مشتبكا مع عصابة من المغول • وقد

---

(٤٥) شعب قايي : بطن من بطون القبائل الاوغوزية ، ويعتقد بعض المؤرخين الاتراك بنسبة السلالة العثمانية الحاكمة الى هذه القبيلة • وقد أورد محمود الكشغري في كتابه (ديوان لغات الترك ١ : ٥٦ و ٣ : ١٢٤) اسم هذه القبيلة بصيغة (قايق) أما فخرالدين مبارك شاه الذي فرغ من تأليف كتابه (تاريخ فخرالدين مبارك شاه) أوائل القرن الثامن الميلادي والذي أورد فيه جدولا باسماء القبائل الاوغوزية ، فقد سجل فيه بان قبيلة الـ (قايق) شعبة من شعب هذه القبائل ، وان ال (قايق) يختلف عن ال (غاي) وال (قاي) لانهما اسمان لقبيلتين اوغوزيتين أخريتين • أما رشيدالدين (في كتابه جامع التواريخ ص٣٢) وعلي يازيجي اوغلو (في كتابه سلجوق نامه ص٢١) وابو الغازي (في كتابه شجرة تراكمه ص٢٤ب) فقد أجمعوا جميعا بان اسم هذه القبيلة هو (قايي) وانها تعني المحكم • أما البيروني فقد ذكر بان هذه القبيلة من القبائل المغولية (للتفصيل انظر دائرة المعارف الاسلامية ـ الطبعة التركية ـ ج٦٠ : ٤٥٩ ـ ٤٦٢) ـ المترجمان •

ابدى كيخسرو شكره وامتنانه لطغرل وذلك باهدائه قطعة من الارض في « قرهجهداغ » وقد امتدت هذه المقاطعة من اسكي شهر الى قونية تقريبا • واحتوت على مدينتي « سوكوت » و « دومانيج » وقد ولد في « سوكوت » فيما بعد ابنه عثمان ، وفي عام (٧٢٥هـ - ١٣٢٤م) دفن فيها •

معركة كوزه داغ

قام المغول عام (٦٣٩هـ-١٤٢١م/٦٤٠هـ-١٢٤٢م) بحصار واحتلال ارضروم وقد حفز هذا التقدم كيخسرو على التفكير بان الوقت قد حان ليواجه الغزاة في المعركة المقبلة • فبدأ بتنظيم جيوشه ، فجمع سبعين الف مقاتل وعهد بقيادتهم الى قائد جورجي هو الامير شرواشيتز (Shervashidze)[٤٦] وكان الجيش المغولي أقل عددا من الجيش السلجوقي وكان تحت قيادة (بيغو)[٤٧] ، ويضم كذلك عددا من المرتزقة الجورجيين والارمن • والتقى الجيشان في معركة صباح يوم ٢٦ حزيران سنة (٦٤٠هـ - ١٢٤٢م) في منطقة تقع على طريق (سيواس/ارزنجان) قرب (كوزهداغ) • وقد قتل شرواشيتز في هذه المعركة وعندما سمع جنود السلاجقة بمقتله ، اولئك الجنود الذين تنقلوا من نصر الى نصر في معارك كبرى ضارية وضد جيوش ضخمة للدفاع عن اوطانهم ، انهاروا امام قوة وضراوة المغول الوحشية • فانهزم السلاجقة تاركين معسكرهم مع خيام نبلائهم الملونة وحتى خيمة السلطان التي تحمل شعاره الشخصي الذي يرمز الى أسد غاضب ليقع بأيدي غزاتهم • واندفع المغول فاستولوا على (طوقات) و (قيصرى) فهرب كيخسرو الى (قونية) تاركا شخصين من اتباعه المخلصين هما الامير

(٤٦) V. Gordlevsky, Gosudarstvo Seldjukidov Maloi Azii (USSR Academy of Science, 1941) , PP. 30—7 .

(٤٧) انظر هامش رقم (٤١) في الفصل الاول •

(مذهب‌الدين) وقاضي اماسية للمفاوضة على شروط الصلح • وتمنى السلطان المساعدة من (بلدوين) الثاني ليتحالف معه ضد المغول ولكنه باء بالفشل ، فكان عليه ان يقبل بالتبعية مقابل احتفاظه بسلطته الاسمية •

فترة الفوضى

عمّ الاضطراب الاناضول جميعا بعد انتشار اخبار انتصار المغول ، وتركت حقول آسيا الصغرى نهبا لتقدم العدو ، وزادت البلبلة في اطراف البلاد نتيجة قيام اغنياء السلاجقة بمحاولة ابدال جواهرهم ومقتنياتهم الثمينة بالطعام • بينما التجأ قسم من زعماء الاتراك لغرض المحافظة على اراضيهم بتزويج بناتهم من نبلاء المغول ، وهرب البعض الآخر الى (بافلاكونيا) و (ابامفيليا) طلبا للنجاة والسلامة ••• وقد بدأ البدو التركمان باحتلال مدن السلاجقة ، واشتدت الفوضى وبلغت ذروتها عام (٦٣٤هـ - ١٢٣٦م) حتى شملت دوائر البلاط ، فقامت جماعة من النبلاء بالثورة متخلين عن ملكهم الذي لا حول له ولا قوة وظهر مدعٍ بالعرش الخاوي في هذه الفترة ، وحاول اثبات نفسه ابنا لكيقباد ، ونجح في جمع ما يقارب من عشرين الف رجل حوله ، والقي القبض عليه أخيرا وتم شنقه في(علايي) •

لاحظ هولاكو الحاكم المغولي ان تمرد التركمان سيولد خطرا جديدا يهدد سلامة سلطانه ، فامر عزالدين كيكاووس الثاني ، الابن البكر للسلطان السابق والذي ورث عرش ابيه ان يعيد الامور الى نصابها ، ويلقي القبض على زعماء المتمردين ويعاقبهم • واستطاع عزالدين هذا الى حد ما ان ينجح في هذه المهمة ولكن سرعان ما ظهر غيره من رؤساء الاتراك والتركمان في مناطق بعيدة عن حكم السلاجقة المباشر مطالبين بامارات ذات استقلال

ذاتي ، كما ثار ضده اخوه ركن الدين في منطقة سيواس • وقد ازعجت هذه التطورات الجديدة هولاكو فقرر ان يشارك الاخوة الثلاثة بالعرش •

الحكم الثلاثي ٦٤٤هـ-١٢٤٦م/٦٥٥هـ-١٢٥٧م

وقد اوحى له بهذه الفكرة وزيره الكبير ذو الكفاءة والقابلية شمس الدين الجويني الاصفهاني • فاستمر الحكم الثلاثي مدة احد عشرة سنة ، وقد اتسمت هذه السنين بمؤامرات ودسائس مستمرة وتقلب الجند المرتزقة في خدمة المعسكرات الثلاثة ، ومما زاد في الطين بلة قيام الامبراطور البيزنطي (ميخائيل)[٤٨] ذات مرة بالاتجاه الى عزالدين حاكم قونية خوفا من حسد (ثيودور الثاني) ملك نيقية ، فقام السلطان بتعيينه قائدا لمرتزقة السلطان من المسيحيين[٤٩] • ولم يلق هذا القرار عطفا شعبيا ، اذ اخذ الناس يشكون من اخلاص عزالدين للدين الاسلامي ، وذكرتهم هذه الحادثة بحقيقة كون امه مسيحية • وقد عززت هذه الحركة الاشاعات القائلة بأن السلطان قد اعتنق معتقد أمه ••• هذه الاشاعة التي وجدت لها مرتكزا اثناء محاكمة البطريرك اليوناني (انطونيوس) حيث قام الامبراطور ميخائيل باتهام هذا الكاهن بمحاباة السلاجقة ومساعدتهم • فاستغل ركن الدين الاخ الثاني من بين الاخوة الثلاثة هذه الاشاعات لينازع اخاه على السلطان ، مما اضطر الاخير الى سجنه •

---

(٤٨) كان يلقب ب (باليولوك) وكان وصيا لـ (لاسكاريس) حاكم نيقية الا انه اغتصب الحكم منه عام ١٢٦٠م وسمل عينيه ، ثم تمكن من استرداد القسطنطينية من الفرنجة ونقل عرشه الى هناك واجرى مصالحة مع السلاجقة وتوفي عام ١٢٨٢م في تراقية (قاموس الاعلام/ ٦ : ٤٥٠٤) ـ المترجمان •

(٤٩) P. Wittek 'yasijioglu, Alion the Christian Turk of the Dobruja', BSOAS (1952).

اغضب هذا الاجراء (باتو)[٥٠] العظيم ، فاسرع عزالدين باطلاق سراح اخيه ركن الدين ، وقرر الاخوان ارسال علاءالدين اخاهم الاصغر الى البلاط المغولي لمصالحة باتو • حيث شاهده هناك الراهب (رابراكيوس) وان كان من المحتمل ان السلطان الصغير مات اثناء عودته ، اذ لم يسمع عنه اى شيء بعد عام (١٢٥٧م) وفي نفس الوقت اصدر (منكو)[٥١] أمرا بان يحكم عزالدين الاراضي السلجوقية التي تمتد شرق (هاليس) ويحكم ركن الدين تلك التي تقع غربها • فاعتبر عزالدين هذا القرار في صالح ركن الدين وانه جاء تهديدا لسلامته ، فتآمر مع مماليك مصر للاطاحة بحكم سادته المغول •

فعلم نائب السلطان المغولي في آسيا الصغرى بالمؤامرة ، فزحف لمعاقبة عزالدين ولكن أحد اصدقاء عزالدين انبأه بقرار نائب السلطان فجمع أهل بيته واتجه نحو انطالية ومن هناك الى ساردیس (Sardis) على أمل الحصول على مساعدة (ثيودور الثاني لاسكاريس) ولما فشل في مهمته هذه ، قبل عزالدين بامتنان عظيم دعوة الامبراطور البيزنطي اللجوء الى بلاطه • تلك الدعوة التي جاءت ردا على حسن الضيافة التي لقيها الامبراطور اليوناني هذا في بلاط السلاجقة سابقا •

---

(٥٠) هو باتو بن جوجي بن جنكيز خان مؤسس امبراطورية القبيلة الذهبية التي امتدت من آسيا الوسطى حتى امارة كييف في روسيا • وقد ولد باتو في النصف الاول من القرن الثالث عشر وتوفي سنة (١٢٤٨م) (اسلام انسيكلوبه‌ديسي/١٥:٣٥١) ـ المترجمان •

(٥١) منكوخان بن تولوى بن جنكيز خان رابع سلاطين المغول الذي حكم بين عامي (١٢٤٨ ـ ١٢٥٧) وابن سرقويتي بنت اخي آخر ملوك قبيلة الكرايت (فؤاد عبدالمعطي الصياد/المغول في التاريخ ص١٢٨ وما بعدها) ـ المترجمان •

عزالدين ٦٤٤هـ-١٢٤٦م/٦٨٢هـ-١٢٨٣م

وصل عزالدين القسطنطينية عام (٦٦٠هـ - ١٢٦١م) تاركا أخاه ركن الدين منفردا بالسلطة لما بقي من امبراطورية السلاجقة، ويعتقد انه دخل المدينة في الوقت الذي تمكن فيه الامبراطور من تحريرها من السيطرة اللاتينية . فاستقبل استقبالا رائعا، وسمح له بانتعال الاحذية الارجوانية التي كان يستخدمها البيزنطيون والتي كانت عنوان السيادة . ولكن الامبراطور نفسه كان شديد الخوف من المغول، وبعد بضعة اشهر نسي واجباته تجاه الضيف ومن أجل أن يؤمن سلامة نفسه قام بسجن عزالدين واثنين من أولاده في قلعة (ايروس)[٥٢] (Eros) ثم طلب من المغول مكافأته بعدم الاعتداء لقاء عمله هذا . وقد اثارت هذه التطورات الجديدة الخوف في قلب عزالدين فقام بالتامر مع (قسطنطين تيش) الملك البلغاري ضد مضيفه الامبراطور[٥٣] .

وحدثت بعض المضاعفات لهذه القضية، وظهر فيما بعد ان (بارقاي Barkay)[٥٤] خان عشيرة (جوجي Djuci) وهو من تتار

---

(٥٢) كان الجغرافيون اليونان يطلقون هذه التسمية على نهر يشيل ايرماق الحالي (قاموس الاعلام/١ : ١١٤٦) ويظهر ان هذه القلعة كانت تقع على هذا النهر فسميت باسمه - المترجمان .

(٥٣) Deno J. Geanokoplos, The Emperor Michael Paleologos and the west (Harvard, 1959), pp. 29, 181.

(٥٤) بركة بن جوجي (؟ -١٢٦٦م) هو حفيد جنكيز خان والابن الثالث لجوجي وقد قرأ القرآن الكريم على يد احد علماء مدينة خوقند في شبابه (اسلام انسيكلوبه‌ديسي/١٧ : ٥٥٣) واعتلى عرش امبراطورية القبيلة الذهبية سنة (١٢٥٧م) وبقي خانا اعظم لهذه الامبراطورية حتى وفاته عام (١٢٦٦م) (يعقوبوفسكي/آلتون اوردو وانحطاطي ص٥٧ وما بعدها) - المترجمان .

القرم زحف نحو القسطنطينية فكان من نتائج ذلك انقاذ عزالدين مع ابنه الاكبر وعلى الاغلب ابنه الآخر ايضا من السجن • وكان بارقاي يرتبط واياه بعلاقات المصاهرة •

ظهر السلطان السابق وابنه مسعود في مدينة (سراي) عاصمة (بارقاي) في القرم عام ٦٦٢هـ - ١٢٦٣م ، ٦٦٣هـ - ١٢٦٤م وتقول بعض المصادر ان عزالدين حاول اقناع رجاله بمصاحبته عبر البحر الاسود • ولكنهم رفضوا ذلك مفضلين الانخراط في الجيش البيزنطي بعد ان اخذوا وعدا بعدم حمل السلاح ضد مواطنيهم • فشكلوا وحدات سميت (توركوبول Turcopoles) على الرغم من عدم موافقة جميعهم على خدمة الامبراطور • اذ شق بعض السلاجقة طريقهم نحو (دوبروجه)[٥٥] حيث بقوا حتى عصرنا الحاضر كمجتمع صغير عرفوا باسم (كوكاز Gagaug) ذلك الاسم الذي اعتبره (وتيك Wittek)[٥٦] تحريفا لكلمة كيكاوس ، واستعاره عزالدين لقبا ملكيا له • وهرب البعض الآخر من السلاجقة الى صربيا حيث قام الملك (ميلوتين) عام (٧٠٨هـ - ١٣٠٨م) بمنحهم قطعة من الارض ليستقروا فيها • وثار بعض هؤلاء ، ثم هربوا واصبحوا مرتزقة فرنجة (موريا **Morea**) وعمل البعض الآخر مع الصرب والبلغار ومع يوناني ابيروس ومع البيزنطيين ايضا ، واستنصر البعض منهم • ومن بينهم عزالدين الاصغر الذي صار مسيحيا وبقي في

---

(٥٥) مدينة ساحلية تقع الآن في جمهورية رومانيا الشعبية يحدها من الشرق البحر الاسود ومن الشمال والغرب انهار الطونا ولوم ووادي برافادى ومن الجنوب وادي باتوفا (اسلام انسيكلوبه‌ديسي ٢٨ : ٦٢٨) - المترجمان •

(٥٦) انظر P. Wittek في هامش (٤٩) اعلاه •

القسطنطينية بعد هرب ابيه وتزوج من فتاة يونانية •

عامل برقاي عزالدين معاملة طيبة ، وتحدثا في موضوع منحه مقاطعة جديدة ، ولكن الخان مات قبل ان يستطيع الايفاء بوعده • فخلفه ابنه الذي عامل عزالدين معاملة عكسية تماما ، اذ سجنه وابنه مسعود في قرية صغيرة على ساحل البحر الاسود • وبعد ثمان سنوات ، أي في عام (٦٨٢هـ-١٢٨٣م) مات عزالدين وتمكن ابنه مسعود من الهرب ، واتجه نحو البلاط المغولي حيث قدم فروض الطاعة راجيا اعادته الى عرش ابيه ، فاستجيب طلبه واعطي له النصف الشرقي من السلطنة ليحكمها • وعهد لعلاءالدين كيقباد الثالث ابن أخيه النصف الغربي •

قليج ارسلان الرابع ٦٤٤هـ-١٢٤٦م / ٦٦٣هـ-١٢٦٤م

عندما هرب عزالدين من قونية عام (٦٥٩هـ - ١٢٦٠م) اصبح ركن الدين تلقائيا الحاكم المنفرد لسلطنة السلاجقة الروم ، واتخذ لنفسه لقب قليج ارسلان الرابع ، ومارس السلطة كتابع والعوبة بيد المغول ، حتى سلطته المحدودة هذه لم تكن رهن اشارته ، بل بيد رئيس وزرائه القوي معين الدين وقد شجع المغول البرفين[٥٧] ليجمع السلطة بيده • وعهدوا اليه بالاضافة

---

(٥٧) هو سليمان معين الدين بروانة الذي كان من وزراء هولاكو خان المغول (قاموس الاعلام/١ : ١٠٥٦) • وهو ابن مهذب الدين علي الديلمي • وقد كان معين الدين محافظا لمدينة طوقات أول الامر ، ثم لمدينتي طوقات وارزنجان ، وفي سنة ١٢٥٦م أعطى له منصب الـ (بروانه) الذي يوازي منصب رئيس الوزراء الآن ، وذلك بتوصية من القائد المغولي (بايجو) وعندما تولى هولاكو الحكم انقسمت الامبراطورية المغولية الى قسمين عهد بمنصب البروانة في القسم الشرقي منها الى معين الدين سنة (١٢٦٠م) وقد اعدمه آباقا خان عام (١٢٧٧م) بعد اتهامه بالتواطيء مع بيبرس ملك مصر (اسلام انسيكلوبه‌ديسي/٨٥ : ٥٥٧) - المترجمان •

الى ذلك وظيفة القاضى او الحاكم الاكبر ، ذلك التعيين الذي أغضب الامراء المحليين ، وعلى كل حال فقد قتل ركن الدين في (أق سراي) عام (٦٦٣هـ - ١٢٦٤م) حيث نسب البعض قتله الى البرفين • وعلى اثرها قام الوزير بتنصيب ابن ركن الدين (غياث الدين كيخسرو الثالث) على العرش، ولما كان غياث الدين لا يزال طفلا فقد اصبح الالخان المغولي الحاكم الحقيقي للمملكة ، ثم ترك المغول تصريف شؤون المملكة اليومية فيما بعد بيد البرفين •

كيخسرو الثالث ٦٦٣هـ-١٢٦٤م/٦٨٢هـ-١٢٨٣م

قام البرفين بادارة شؤون المملكة خلال العشرة اعوام بحكمة واخلاص • وعندما بلغ غياث الدين سن الرشد وليستقل بالحكم دخل الطمع قلب البرفين للاستئثار بالحكم وجره ذلك الى التآمر مع (بيبرس) أحد سلاطين المماليك في مصر لطرد المغول من آسيا الصغرى ، وتنصيب نفسه على عرش السلاجقة • وقد سارت الامور حسب الخطة الموضوعة في باديء الامر اذ تمكنا عام **٦٧٥هـ - ١٢٧٦م** ، **٦٧٦هـ - ١٢٧٧م** من دحر المغول في البستان ، ثم احتلال قونية ، وبعد اعادة جمع شمل جنودهما في قيصرى استعدادا للمعركة المقبلة ، اصاب الخوف البرفين ، وسرت عدوى الخوف الى السلطان المملوكي فأسرع بالانسحاب الى مصر تاركا البرفين ليلقى مصيره المحتوم بيد سادته المغول الناقمين عليه في السنة التالية •

استلم غياث الدين كيخسرو الثالث السلطة وعمره لا يتجاوز الخمس عشرة سنة • وقد لاقى في الايام الاولى من حكمه مصاعب شتى ، اذ شجع سقوط البرفين الاتابكيين الترك على ان يجعلوا من انفسهم مستقلين لبعض الولايات ، مستغلين عدم خبرة غياث الدين في ادارة شؤون المملكة •

كما قام ابناء البرفين السابقين بتنصيب انفسهم حكاما لسينوب • كما فعل ذلك ايضـــا ابناء الوزير الســابق (صــاحب عطا[٥٨] Sahip Ata) فاستقلوا في أفيون قره حصار •

وقد أدت هذه الحوادث الى ابتهاج كيخســـرو بالانتصـــارات التي أحرزها (عثمان بن طغرل) الذي أصبح رئيسا لقبيلة العثمانيين[٥٩] على البيزنطيين عام (٦٨٠هـ – ١٢٨١م) موسعا رقعة مملكته على حسابهم • فقام كيخسرو بخلع لقب (أوج بك Ug Beg) على عثمان والــذي يعنــي حامي الحدود • ومنحه الطبل وشـــعارا من شـعر الخيل مـكونا من راية مستطيلة حمراء وعليها هلال ابيض[٦٠] • ويعتقد بان السلاجقة قد اوجدوا التقليد الــذي ورد في بعض الوثائق المحفوظـة حول اهداء الجبـة[٦١] ، فاستغله العثمانيون بعد ذلك •

ورث العرش بعد موت كيخسرو الثالث عام (٦٨٢هـ – ١٢٨٣م) ابن أخيه فرامرز (.Faremurz) المدعو علاءالدين كيقاباذ الثـــالث حيث اضطر فيما بعد للتنازل عن النصف الشرقي من مملكته لابن عمه مسعود الثاني ومات مسعود عام ٦٩٨هـ–١٢٩٨م فخلفه ابنه مســعود الثالث الذي

---

(٥٨) هو فخرالدين علي بك صـــاحب عطا المتـــوفي عــام ٦٨٧هـ (١٢٨٨/١٢٨٩م) (اسلام انسيكلوبهديسي/٥٨ : ٢٧٨) – المترجمان •

(٥٩) العثمانيون ليسو بقبيلة ، وانما سميت القبـائل التركيـــة والتركمانية المنضوية تحت لواء (عثمان بن طغرل) بالعثمانيين بعد تشكيل الدولة العثمانية – المترجمان •

(٦٠) Yacub Artin Pasha, Contribution a l' etude du blazon en Orient (London, 1902), p. 149.

(٦١) Tahsin Oz, Turkish Textile and Velvets (Ankara, 1950), pp. 14—15.

قضى مدة حكمه في نزاع مع كيقباذ الثالث على السلطة • واستمر النزاع حتى بعد تنصيب غياث‌الدين ابن كيقباذ عام ٧٠٢هـ - ١٣٠٢م حيث استمر بعد ذلك الى عام (٧٠٨هـ - ١٣٠٨م) وانتهى بموت مسعود على اثر مقتله في قيصرى ويشك المؤرخون في وجود غياث‌الدين في دست الحكم بعد هـذا التاريخ ، اذ اختفى اسمه بعد ذلك ، وبه ينتهي تاريخ سلاجقة الروم •

الفصل الثالث

طراز حياة السلاجقة

احتفظ السلاجقة العظام بالكثير من طراز حياتهم السابقة وتقاليدهم التي ترجع الى أيام بداوتهم • ولكنهم طوروا هذه التقاليد لتلائم معتقدهم الجديد وزادوا عليها بما اقتبسوه من المعتقدات والتقاليد الفارسية •

وقد أضاف سلاجقة آسيا الصغرى عليها بعضا من العادات الغربية وخاصة البيزنطية منها • واستخلصوا من هذه العناصر المتعددة طرازا للحياة متجانس العناصر ذا سمة خاصة بهم ، على الرغم من ان أسس هذا الطراز بقي ليلائم متطلبات ونمط تفكير شعب محارب تحيطه انماط متعددة ومعقدة لطرق الحياة لمختلف الشعوب •

كان شكل دولة سلاجقة الروم عسكريا بحتا ، ومثلها في ذلك مثل امبراطورية السلاجقة العظام ، لذلك اعتبرت وجود جيش دائمي منظم ذا أهمية بالغة •

وقد عهد (الب ارسلان) و (ملكشاه) أمر تنظيم الادارة العسكرية الى (نظام الملك) وقام هذا الوزير بتقسيم المملكة الى اربعة وعشرين قسما ، مع الالتفات الى الروابط القبلية التي لا زالت تربط الأفراد برئيس قبيلتهم ،

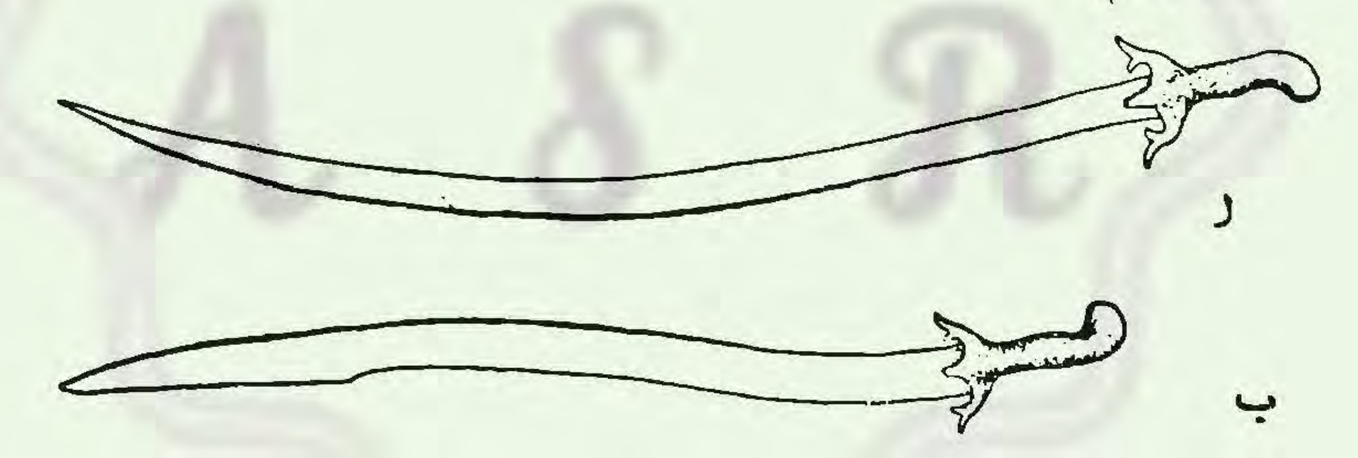
واضعا كل قسم من هذه الاقسام تحت أمرة قائد يتدرج من لقب « جاد[1]
الغز » الى (شاه الفرس) أو (خان المغول) • وقد وصلت هذه الالقاب الى
السلاجقة عن طريق (الآواريين Avars)[2] • وقد عهد الى هؤلاء
الرؤساء أمر زيادة عدد المجندين سنويا وتجهيزهم بالاسلحة ويجتمع هؤلاء
المجندون والمجندون الجدد كل ربيع أمام (مولاهم) في بقعة تقررها الاوامر
التي ترسل باسم السلطان ويقضي الرجال اشهر الصيف في التدريب أو
الاغارة ، ويتفرقون في الشتاء عندما يكون الجو غير مساعد على القتال •
واستمرت الحالة على هذا المنوال ، عندما كانت هذه الطريقة ملائمة لحاجات
الدولة ، ولما اصبحت الحالة تستدعي تنمية الجيش وزيادة عدد أفراده جرى
تجنيد المتدربين كمكافأة لهم ومن ثم سجل المرتزقة في الجيش • وتم تقوية

---

(١) Chad استعملت هذه الكلمة في الكتابات الاورخونية وفي المسلتين اللتين كتبتا باسم البطلين (كول تكين) عام ٧٣٢م وبيككه خان عام ٧٣٥م • وكان (شاد) لقبا من القاب قادة الجيوش (نجيب عاصم/ اورخون آبدهلرى ص١٠٨) المترجمان •

(٢) Avars قوم من اقوام التركية التي أسست امبراطوريةعظيمة في آسيا الوسطى امتدت من حوض نهر ايرتيش حتى شبه جزيرة كوريا وذلك حوالي عام (٢٠٠) الميلادية وذلك على أنقاض الامبراطورية الهونية التي انقرضت خلال هذه الفترة ـ وكانت الامبراطورية الآوارية ـ التي أطلق عليها الصينيون جوجان ـ تتألف من القبائل التركية القاطنة في تلك الديار، وبعد حروب ومعارك هائلة بين هذه الامبراطورية وبين الصينيين تضعضعت كثيرا فتمكنت قبيلة (كوك تورك) ـ التي كانت تحت سيادة الآواريين ـ من السيطرة على القبائل التركية الاخرى عام (٥٥٢م) فسقطت بذلك هذه الامبراطورية الا ان فرعا من فروعها التي لم تخضع لسيطرة قبيلة كوك تورك إتجهت نحو الغرب فأسست في أوربا الامبراطورية الهونية الجديدة (من القرن السادس ـ حتى القرن الحادي عشر) وقد تسرب قسم منهم الى الشرق الاوسط وهم في طريقهم الى اوربا (تورك انسيكلوبهديسي/٦: ٢٤١) ـ المترجمان •

الجند بدنيا في كل ربيع وذلك عن طريق مدارس للتدريب العنيف حيث تعطى الاهمية القصوى لجعلهم فرسانا مهرة ورماة بارعين ، وقد اعتبرت البراعة في رمي السهام والمبارزة بالسيف جزءا رئيسا من هذا التدريب كما انهم شجعوا المحاربين على الاشتراك في الالعاب الرياضية التي تتطلب المهارة ، فكان يطلب منهم تأدية لعبة (الكرة والصولجان) مرة واحدة في الاسبوع على الاقل[٣] • ثم قسم المحاربون الى جماعات ـ بعد فترة من التدريب ـ يرسل بعضهم لتلقي التعليمات عن كيفية استعمال السهم والسيف ، بينما يرسل المجندون للتدريب على الفروسية التي تشكل جزءا هاما من الجيش • وكان قسم من الجنود يرتدي (الزرد) و (الخوذ) المسننة ويحمل جميعهم (الترس) • وقد استعمل الكثير من الضباط السيف في المعارك وكان بعضه ذو حدين ، ومزينا بفصي ورقة والتي تعد رمزا للزخرفة السلجوقية• ويجهز رماة السهام بأسهم ذات رؤوس ـعلى الاغلبـ مسقاة بالسم •



أ ـ سيف ذو حدين طوله ١٠٠سم وطول المقبض ١٥سم •
ب ـ سيف ذو حدين طوله ٨٥سم وطول المقبض ١٦سم •

(٣) Fuad Koprulu 'Turk edebiyatinin Mensai' Milli tetebbuler mecmuasi, no. 4 (Istanbul, 1926).

كانت الغارات تبدأ باستعراض يقـوم به سلاطنة الروم لجيوشهم ، وتكون مـدينة (قيصرى) ميدانا لهـذا الاستعراض عـادة • ويعـد هذا الاستعراض مهرجانا شعبيا اذ تعقبه الحفلات ويقام فيه عرض رائع للفروسية وبعض العاب التسلية يقوم بها بعض المشعوذين والعاب الجمناستيك وغيرها ، حيث كانت تبدو فيها مهارة العارضين امام جمهور المتفرجين والضيوف • ويتغنى المنشدون باناشيدهم والشـعراء بقصـائدهم الجديدة ، بينما يشنف الموسيقيون آذان المتفرجين بانغامهم الموسيقية على آلات الناي والقيثار والمزمار وايقاع الطبول ، مكونة موسيقى متجانسة •

الملكية

وعلى الرغم من ان السلاجقة العظام لم يتـرددوا في انتزاع السلطة الدنيوية من الخليفة ، لكنهم استمروا على احترام وقبول سلطته الروحية ، فقد اعلنوا جهارا من انفسهم حماة ومدافعين عنه •

وكانوا دوما على استعداد للدفاع عن ادعائهم هذا بقوة السلاح • فقد شعر كل سلجوقي بمشاركته للآخرين في مسؤوليته للدفاع عن الخليفة••• مع العلم بأنهم كانوا يجهلون حقيقة الشعور الذي يدفعهم الى هذا السبيل وبينما ينظر كل واحد منهم الى السلطان بانه سيدهم الاعلى •

لم تظهر أية محاولة من جانب الافراد لانتزاع السلطة من الاسـرة المالكة ، سوى تلك الحادثة التي كان بطلها (البرفين) معين الدين • لان الشعور بالاخلاص الشخصي تجاه العائلة المالكة كان قويا جـدا مما كان يحول دون أي محاولة من هذا القبيل • وكان يسمح للامراء المحليين بحمل لقب « شاه » أما القاب « الشاهنشاه » أو « السلطان » فقـد كان وقفا عـلى

رئيس الدولة الاعلى ، ولم يتجرأ سوى البويهيون على انتزاع هذا الامتياز من رئيس الدولة .

كانت العادة أيام السلاجقة أن ينتقل التاج من الاب الى الابن ، ويرثه عادة الابن الاكبر ، وقد جرت حوادث متعددة في العائلة المالكة لاحياء عادة (غزية) قديمة شبيهة بالعادة المتبعة لدى روس امارة الكييف اذ ينتقل الملك بعد وفاة السلطان الى الاخ الاكبر الذي يليه دون ابنه البكر . وكثيرا ما تحدث المنازعات نتيجة لذلك بين الاثنين وتتم تسويتها عن طريق استعمال القوة ... فيكون العرش من نصيب المطالب الاقوى .

أما في (فارس) حيث السلطة المركزية ضعيفة جدا بحيث لم تستطع السيطرة تماما على ولاتها ، لا سيما عند وفاة ملكشاه فقد قام بعض الولاة بجعل انفسهم حكاما اوتوقراطيين على كثير من الاقاليم الفارسية ، كما اتخذ بعضهم لنفسه لقب (اتابك) الذي يعني « الامير الاب » دون الالتفات الى هذه الصفة كان قد اوجدها (الب ارسلان) خالعا اياها على نظام الملك عندما عين هذا استاذا لملكشاه يوم كان صبيا .

وقد اعتبر بعض السلاطين الذين جاءوا بعده هذا اللقب خاصا لمربي ولاة العهد ، ثم اصبح هذا اللقب من نصيب الوزير الاول للسلطان . وقد استمر سلاطين السلاجقة من العهود المتأخرة باسباغ هذه الالقاب على رجال بلاطهم دون وزرائهم ايضا ، عندما قام الاقطاعيون الصغار باتخاذ القاب لاحق لهم بحملها . وآخر مثال لذلك عندما ، قام (كيقباد الثاني) باسباغ هذا اللقب على قاضي دولته الذي كان يعرف برئيس العدل مشيرا بذلك الى ترفيعه لرتبة الوزارة . وكان الوزير يموت دفاعا عن سيده في حربه مع

المغول ليستحق مثل هذا الشرف .

المهام الوزارية والرتب

قام السلاجقة في القرن الثالث عشر باناطـــة مهـام الوزير أو رئيس الوزراء الى المستشار أو كبير الامناء الذي يحمل أيضا صفة رئيس المجلس أو رئيس الديوان بصورة تلقائية . وبصفته ممثلا لسيده فقد كان مسؤولا عن جميع الشؤون الداخلية للمملكة ويترأس اجتماع الوزارة اثناء غياب السلطان ، ويليه في المرتبة قائد الجيش ثم القاضي أو رئيس العدل الـذي تعينه بغداد عادة . ولما كان السلاجقة قد وضعوا جميع شـرائعهم وقوانينهم وفق شريعة القرآن ، فان القاضي هذا ... كان يحتل منصب رئيس الافتاء في الدولة ايضا ، وهي أعلى ســلطة دينية ، ويشـغل مكانة الاسـقف في المجتمعات المسيحية ، لان كليهما يعملان في المجال الاداري أيضا . وعندما تمتزج الصفتان ... فان مكانة القاضي في آسيا الصغرى بمثابة شيخ الاسلام في العالم الاسلامي . وعلى كل حال ... فقــد كان الشعب يتبع مـذهب السلطان الديني لا الوزراء في معتقــداته الدينية . وقد وجدوا على عهد علاءالدين كيقباد مثالا رائعا لهذه المعتقدات ... حيث كان علاءالدين عميق الايمان ، زاهدا ، محترما ، لانه سار في صلاته الصباحية بتأدية صلوات الشافعية والحنفية الخمس[٤] .

وكان يصر على تأدية واجباته الدينيـة هـذه قبل التوقيع على أيـة مستندات رسمية في ديوانه والتي كانت تحمل اسم الله عليها . ويأتي أمراء سرايا الجيش المختلفة في المرتبات بعد رئيس القضاة والمفتي حسب أقدمينهم ،

(٤) Cl. Huart, 'Epigraphie Arabe d 'Asia Mineure, Revue Semitique (Paris, 1894) , ص. 79 .

ويشكل هؤلاء الموظفون نموذجا لمجلس وزراء مصغر • وينضم اليهم في اجتماعات الديوان عدد من النبلاء ورؤساء القبائل والامراء الصغار فيكون بذلك شبه مجلس استشاري •

الديوان والباب

كان موظفو الدولة يجتمعون عادة في أوائل ايام امبراطورية السلاجقة العظام في (القابو)[5] أو في مدخل خيمة السلطان ، كما اجتمع أسلافهم في الماضي أمام خيمة رئيس القبيلة •

وعندما انتقل اجتماع هيئة الموظفين من المدخل الى قاعة الاجتماعات جريا على عادة البلاط الساساني ، أصبح الوزراء يجلسون على المقاعد المرصوصة عند جدران القاعة • واستمر السلاجقة بتسمية محل الاجتماع هذا باسمه القديم (قابو) واستمر الحكام العثمانيون في الامبراطورية التركية على هذه التسمية حيث عرفت قاعة المجلس باسم « الباب العالي » بينما استمروا في تسمية الاجتماع نفسه باسم « الديوان » على طريقة الساسانيين •

قام بادارة امور الديوان في عهد سلطنة سلاجقة الروم اربعة وعشرون أمينا للسر ، يقوم بعضهم بادارة الشؤون العسكرية والبعض الآخر بادارة الامور المالية ، بينما يقوم الوزير أو المستشار وهو يحمل « اناء الحبر » الذي أهداه له السلطان عند تعيينه كرمز لمركزه هذا بالمسؤولية التامة لشؤون الدولة الخارجية • ويعهد الوزير كتابة المراسلات وحفظ السجلات الى هيئة خاصة من الكتاب • وعلى الرغم من استعمالهم اللغة العربية في

---

(٥) كلمة تركية تعني الباب ـ المترجمان •

وظائفهم هذه ، فانهم كانوا غالبا يكتبونها باللغة الفارسية . وقد كتبت سجلات الدولة بالحروف الغير المنقطة[٦] (Viahat = ihe husotu) وعليهم ختم السلطان .

ثم ادخلت اللغة التركية ، أثناء الاحتلال المغولي الى الدوائر الرسمية ، ثم أصبحت بعد ذلك اللغة الرسمية للدولة . أما أوامر السلطان أو رغباته الخاصة ، فكانت تسجل كتابة أما بنفسه أو عن طريق الاوامر الشفهية .. حيث يبرز رسله خاتم السلطان لاثبات هويتهم . وكانت الاوامر السلطانية تكتب على ورق خاص ، أبيض اللون ، ذو نسيج حريري خاص ويستورد عادة من الصين .

الشرطة السرية

كان سلاطين السلاجقة مخلصين لواجباتهم وبصورة عامة فقد كانوا يريدون أن يحيوا حياة مستقلة وان يحكموا بالعدل والحكمة . فقد كان خلفاء بني أمية والعباسيين قد أسسوا لهم (منظمة الشرطة السرية) حيث كان يديرها موظف يطلق عليه « صاحب الحرس » وكان من واجبات هذه المنظمة مراقبة المشبوهين السياسيين والقضاء على الذين يأمر الخلفاء باعدامهم .

بدا هذا النظام كريها لالب ارسلان .. الذي قرر رغم نصيحة (وزيره) نظام الدين الغاء هذه المنظمة قائلا : « اذا قمت بتعيين صاحب

---

(٦) تقصد المؤلفة الكتابات التركية القديمة وكلمة Viahat تحريف لكلمة ihe hugotu التركية التي كانت تطلق على الكتابة المعروفة لدى الاتراك في آسيا الوسطى والتي كتبت بها مسلة (قولي جور) عام ٧١٦ (حسين نامق اورقون) اسكي تورك يازيتلرى ص١٣٥) ـ المترجمان.

حرس فسوف لن يلتفت اليه ويهتم به اصدقائي المخلصون لانهم يتمتعون بثقتي ••• ولن يحاولوا ارشاءه لانهم واثقين من اخلاصهم وصداقتهم ومودتهم لي • بينما سيقوم اعدائي ومعارضي من جهة اخرى بعقد أواصر الصداقة معه ويهبون له المال ، فمن الواضح ان صاحب الحرس هذا سيقدم لي التقارير السيئة عن اصدقائي والتقارير الجيدة عن أعدائي • فالخير والشر كلمات تشبه السهام اذا استمر اطلاقها فستصيب احداها الهدف وبذلك تقل ثقتي باصدقائي شيئا فشيئا حتى تزول ، بينما تحل محلها الثقة باعدائي ، وبعد فترة قصيرة سيكون اعدائي موضع ثقتي واصدقائي موضع نقمتي ، وسوف لن يكون بمقدوري بعدئذ ازالة الخطأ الذي سأقع فيه نتيجة لذلك »(٧) •

لقد كانت تلك كلمات حكيمة ، ولكن على الرغم من ذلك فانه لم يستطع انقاذ الادارة السلجوقية في فارس من الاصطدام مع السكان المحليين من الفرس المتزمتين الذين كانوا ينظرون بعدم الثقة الى المراكز التي احتلها السلاجقة وهكذا فقد سيطر أمثال هؤلاء الرجال على الفرس المثقفين ، لانهم كانوا يتمنون ان يعاملوا معاملة السلاجقة باعتبارهم شعبا محكوما ، وعندما وجدوا ان مطالبتهم هذه لا يقرها السلطان ، فقد طالبوا ان يعامل جند السلاجقة على قدم المساواة مع المرتزقة والعبيد المنضوين تحت لواء السلطان • ولكن نصيب هذه المقترحات كان الاهمال من الفاتحين ، اذ ان هؤلاء اعتبروا انفسهم مرتبطين بسيدهم بارتباطات قبلية ، ومصرين على الاحتفاظ بامتيازاتهم • وقد جرت محاولة قللت الى حد ما من التباين الموجود

---

(٧) Gibb — Barthold, Turkestan down to the Mongol Invation — P. 305 .

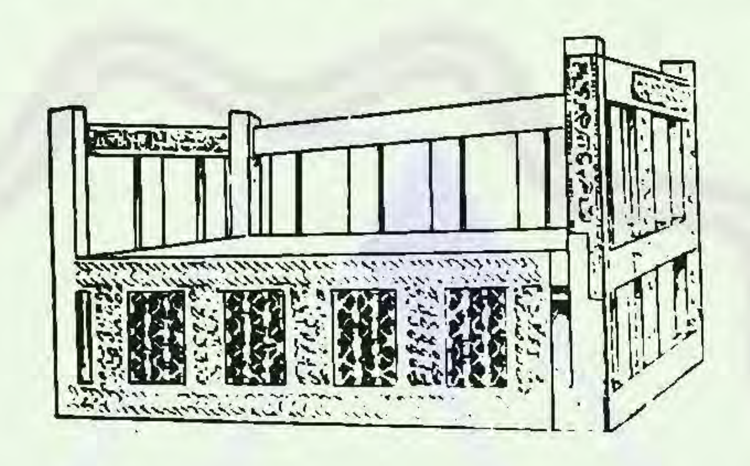
بين الجهتين وذلك باسباغ صبغة الزي الفارسي على الجنود السلجوقيين على الرغم من غالبية السلاجقة استمروا بارتداء زيهم الكالح وفضلوه على الزي التقليدي الفارسي الناعم .

ومما لا شك فيه انه كان للزمن اثره الفعال في ذلك ... اذ اخذ الحكام تدريجيا باسباب الترف والابهة بينما بقي عامة الشعب دون أي تبديل في طراز حياته . وقد شعر هؤلاء الافراد بالمرارة عندما ترك مالكشاه اهتمامه بالجيش رغما عن نصيحة نظام الملك له واخذ بتعيين شخص واحد ليحتل عدة مناصب في البلاط ، مما ساعد على انتشار المذاهب الاسماعيلية حيث أدى ذلك الى ان يفقد سلاطين السلاجقة الكثير من التأييد في حين انهم كانوا في أشد الحاجة اليه .

سياسة الحكم في البلدان المحتلة

كان السلاجقة بصورة عامة على استعداد لاقتباس التقاليد والعادات المحلية طالما كانت لا تتعارض ومعتقداتهم الأساسية . فعند احتلالهم لآسيا الصغرى التي كانت ميدانا لحروب طاحنة لم يبدوا ـ عمدا ـ اهتماما لتغير طراز معيشة الناس ، وعلى العكس من ذلك فقد تقبلوا هم النظم والقوانين السائدة في تلك البلاد ، وحيثما وجدوا ان هناك ضرورة ما لتعديل مثل هذه النظم والقوانين اقتبسوا ذلك التعديل عن تلك التي أوجدها السلاجقة العظام في بلاد فارس . ومن أهم الاصلاحات التي أوجدوها تلك المتعلقة بعقوبة جريمة القتل ، فالمعروف ان عقوبة القاتل هي الموت ويمكن احيانا استبدالها بالفدية ... وكان يتم تنفيذ هذا الحكم باحدى الطرق التالية : خنقا أو شنقا أو بقطع الرأس . وفي الحالات النادرة فقد كان يسلخ جلد

المحكوم عليه بالموت حيا ويصنع منه دمية يطوفون بها المدينة ، ثم يحرقونها في محل خاص على مشهد من الناس • أما في الجرائم الاخرى فقد كان يعاقب مرتكبها بالنفي أو بجلده علانية أو بمصادرة ممتلكاته •



عرش كيخسرو الثالث ـ مصنوع من الخشب (١٢٦٤م-٦٦٣هـ/١٢٨٣م ـ ٦٨٢هـ) • من جامع قيزل بيك • الطول ١م و ٢٥سم • العرض ١م و ٢١سم • الارتفاع ١م و ٥٦سم •

التتويج

كانت ايام التتويج في عهد السلاجقة من الاعياد الهامة ، فعندما يشغر العرش يستقبل الحاكم الجديد من قبل رجال الدين وكبار موظفي الدولة حاملي الاواني الذهبية المملوءة بالعسل وحليب الخيل ، بينما يقوم الموظفون الآخرون بالتجوال في شوارع المدينة وهم يوزعون المال على الناس • وبتقدم السنوات نسي السلاطين التقاليد البسيطة التي كان يتبعها أجدادهم واقتبسوا بدلا منها التقاليد الاوتوقراطية الفارسية مع اضافة العادات البغدادية الفخمة وأساليب بيزنطية الباذخة • وعلى الرغم من ان قليج ارسلان الثاني فضل ان يحكم شعبه باسلوب عشائري فقد كان أخلافه يفضلون الطراز الفارسي في الحكم • ففي فارس كانوا يحملون حملا على عروشهم حيث كان ينثر

الذهب والفضة على رؤوسهم • وفي فارس ايضا وعلى عهد نظام الدين كان يقدم للسلطان حاشية مؤلفة من مئتي رجل من خراسان ومئة من ديلان وبفرقة كاملة من المسيحيين العبيد ، حيث اثبت هؤلاء اخلاصهم العميق لسيدهم ، اذ سرعان ما اصبحوا نواة لحرسه الخاص ، ولربما كانت هذه الطريقة هي التي أوحت بعدئذ لسلاطين آل عثمان في تركيا بتأسيس جيش الانكشارية •

وعند بدء الحفل •• يسير أمام السلطان حامل العلم الامبراطوري الاسود المرسوم عليه شكل (تين) والمقتبس من الصينيين عن طريق الساسانيين ، او كان مرسوما عليه شكل (اسد) مقتبس بالاصل عن حضارات الشرق القديمة ، أو يمثل شكل (نسر) والذي يعتقد بانه انتقل اليهم نتيجة تأثير الحضارة البيزنطية عن طريق آسيا الوسطى او عن طريق فارس نفسها •

وفي نهاية الحفل يتقدم السلطان أحد الحجاب وهو يحمل مظلة مفتوحة على طريقة اعدائه الفاطميين بينما يسير الى جانبه الجند المشاة حاملين السيوف الذهبية[٨] •

الاحتفالات

كانت أيام التتويج والانتصارات العسكرية الكبرى وغيرها من المناسبات الوطنية من الاعياد التقليدية التي تتخللها الموائد الفخمة والاستعراضات والالعاب المتعددة الرائعة •• وقد ذكر كل من ابن بطوطة وابن بيبي ان مجلس السلطات يقوم عند منضدة مرتفعة بينما يجلس ضيوفه في المحلات

---

(٨) F. Sarre, Reise in Kleinasien (Leipzig, 1894), pp. 24—5.

المخصصة لهم بالنسبة الى مقاماتهم وتقدم الخرفان المحشوة ولحم الماعز ولحوم الطيور والحمام في أوان ثمينة مرصعة بالجواهر ، كما كان يقدم (الشربت) في أقداح ثمينة يحملها الخدم بملابسهم المزركشة وكان أغلبهم من النصارى العبيد .

وفي مثل هذه المناسبات كان يصدر عفو عام عن المساجين وتفتح ابواب السجون عند الفجر كي يستطيع السجناء الذين افرج عنهم المشاركة في هذه الاحتفالات . وتشبه هذه الاحتفالات من بعض الوجوه تلك التي كانت تقام في الاستعراضات العسكرية السنوية الكبرى ، وتشكل العاب (القره قوز) جزءا هاما من هذه الاحتفالات الترفيهية . وقد اعطت لنا (انا كومنينا) فكرة ما عن هذه الالعاب عندما تعرضت للاستعدادات التي قام بها (اليكسيوس) قبيل حملته على سيواس .

دوائر البلاط

أدت حياة الترف والرخاء الجديدة التي أخذ يحياها السلطان الى ابتعاده عن الشعب واحدثت فجوة بينه وبين الشعب ، ملأتها طبقة جديدة من رجال البلاط والموظفين . وكان يجرى تعيين هؤلاء حسب رغبة السلطان الشخصية ، ولدى تردده في اختيار الشخص المطلوب فكان يدعو جميع المرشحين للمثول بين يديه حيث تقام مباراة خطابية فيما بينهم لاختيار الصالحين لملء هذه الشواغر ، حتى (البرفين) معين الدين التجأ الى هذه الطريقة في اكثر من واقعة معينة .

وكان السلطان يسبغ لقب (بك) على الشخص المنتخب ، واحيانا يسبغون عليهم القاب شرف فارسية او بيزنطية بدلا منها .. اذ ان السلاجقة

كانوا مغرمين بالالقاب على اختلاف انواعها ، يمنحونهـا دون النظـر الى مصدرها او ملاءمتهـا لذلك الشخص وقد قـام ـ بنفس هـذه الروح ـ قليج ارسلان الثاني بتلقيب احد ابنائه فاسماه (معز الدين قيصـر شاه) وكان مقام رئيس التشريفات من أهم المراكز في البلاط يوازيه في المقـام وظيفة (رئيس السقاة) وكانت مهمته تأمين تجهيز كمية كافية من المـاء وبصورة خاصة ماء صالح للشرب للمائدة الملكية .

اذ ان السلاجقة ـ كبقية الشعوب التركية حتى في ايامنا هـذه ـ يعلقون أهمية كبرى على نوعية ميـاه الشـرب التي يسـتعملونها ... كالاهمية التي يعلقها الفرنسيون على نبيذهم . وكانت هذه المهمة معقدة ، خاصة في فترات الجفاف ، لصعوبة نقل الماء والمشاكل المعقدة المتعلقة به .

فعندما سقط عزالدين كيكاووس الاول مريضا في (قير شهر) اضطر رئيس السقاة لجلب مياه الشرب من الفرات على الرغم من طول المسـافة التي تبلغ حوالي (١٥٠) ميلا وتأتي وظيفة طبيب السلطان الخاص في الدرجة المماثلة لهاتين الوظيفتين من حيث الاهمية ، وقد شغل ابن بطوطة البرجي[٩] of Birge هذه المهمة لعدة سنوات وكان يشغلها يهودى عادة .

ولكن على الرغم من اخلاص ومحبة الشعب للعائلة المالكة والتـي استمرت الى العهد المغولي ، فان خلق مثل هذه الطبقة من رجال البلاط

---

(٩) شرف الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيـم الطنجي الرحالة العربي المعروف الذي بدأ جولته في البلاد الاسلامية عندما بلغ الثانية والعشرين من عمره ، وقد ولد ابن بطوطة في طنجة عام ٧٠٣هـ (١٣٠٤م) وتوفي في فاس سنة ١٢٦٩م . (اسـلام انسيكلوبه‌ديسي/٤٧ : ٧٠٨) ـ المترجمان .

ادى الى انتشار المكائد فيما بينهم والتي أدت بدورها الى خلق المؤامرات السياسية ضد العائلة المالكة ونتيجة لذلك أصبح من الضروري بالنسبة لسلاطين السلاجقة المتأخرين الى ترك قرار الب ارسلان الجرىء وخلق وظيفة جديدة سميت (ناظر الشراب والطعام الملكي) وحتى هذه الوظيفة لم تمنع من موت أكثر من سلطان موتا فجائيا ، وكان يصاحب موتهم الغريب هذا الكثير من الاشاعات والاقاويل •

المرأة السلجوقية

انحط مركز المرأة السلجوقية بعد ان استلمت قبيلتها السلطة • فقد شاركت المرأة السلجوقية السافرة طيلة عهد البداوة والرعي زوجها واباها في الحرب جنبا الى جنب وكانت تساوى مع الرجل في الحقوق والواجبات وبعد اهتداء السلاجقة بهداية النور الاسلامي ، كان على المرأة اى تتبرقع وان تنزوى خلف ابواب الحريم • وهكذا انقطعت صلتها بمشاكل شعبها ، واضطرت ان تقضي حياتها على هامش الحوادث الهامة التي قادت ذلك الشعب الى النهوض ثم الانهيار • وظهرت بضع نساء ذات شخصية مؤثرة فاقت قريناتها ، وتركت لها ذكرا خالدا دلت عليه الكتابات التي وجدت على جدران المؤسسات الخيرية التي انشأتها ، وان كان قسم من هذه المؤسسات أو المباني لا تحوى سوى قبور تلك النسوة فقط • ولكن اتجاه بعض السلاطين للزواج من المسيحيات أدى الى نتائج اخرى ••• فلا ينكر مثلا تدخل روكسيلانا Roxelana في أمور الدولة السياسية وتأثير ايزابيلا Esabella اخت ريموند الاجيديرى ، زوجة قليج ارسلان الاول في شؤون الدولة مما أدى ان تقوم بتنصيب ابنها (طغرل) حاكما على ملاطية حالما علمت بوفاة زوجها • ولا شك ان زوجة غياث الدين

كيخسرو الثاني الجورجية الاميرة رسودانا Russudana التي عرفها السلاجقة باسم (گورجي خاتون) كان لها تأثير كبير وسيطرة عظيمة على زوجها • فقد كان يحبها كثيرا ، وعلى الرغم من استنكار المسلمين المؤمنين بجميع انواع الصور الشكلية فقد حاول ان يضع صورتها على احدى جوانب عملته • وذكر بعض المؤرخين انه رغب بظهور صورتيهما مزدوجة على هذه العملات(١٠) ، وعندما اضطرته المعارضة الشعبية للتخلي عن هذه الفكرة نفذ رغبته هذه بصورة غير مباشرة وذلك بختم احد اوجه العملة بصورة الشمس وهي في برج الاسد واختار هذا الشعار ليدل به على شخصية زوجته المؤثرة كالشمس بينما اختار صورة اسد ليمثل شخصيته هو • وقد بقي هذا الشعار في العصر الحديث في ايران رمزا (لفتح علي شاه)(١١) اذ اختاره شعارا لدولته •

لعل من أهم الحوافز التي دفعت العوائل المسيحيه لتزويج بناتها لسلاطين السلاجقة تلك الامتيازات التي تحصل عليها السلطانات المسيحيات • والتي لم يكن يحصل عليها اقرانهن من السلطانات المسلمات ، ولعل اهم هذه الامتيازات حقهن الاحتفاظ بمعتقدهن الديني واقامة شعائره بكل حرية • وقد حافظ هذا الامتياز على استقلالهن الروحي واحترام الغير لهن ، ولم يسجل لنا التاريخ من بين الاميرات السلجوقيات المسلمات

---

(١٠) S. Lane Poole, Catalogue of the Oriental Coins in the British Museum, vol. 8 (1877).

(١١) فتح علي شاه (١٧٧١ ـ ١٨٣٤) هو من السلالة القاجارية ولد عام ١١٨٥هـ (١١٧١م) وتولى الحكم بعد وفاة عمه آقا محمد شاه واستمرت سلطنته (٣٨) سنة وخمسة اشهر وتوفى عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) (اسلام انسيكلوبه‌ديسي/ ٣٥ : ٥٨١) ـ المترجمان •

المشهورات سوى الاميرة (كوهرفوسي) أو (صيبي خاتون) والتي اشتهرت باسم (سلجوقة خاتون) وذلك للمحبة العظيمة التي كان يكنها لها أبوها قليج ارسلان الثاني •

اختار سلاطين السلاجقة ـ على الاكثر ـ زوجاتهم من بين البيوتات التركية المالكة المجاورة لهم ، من امثال الدانيشمنديين وعائلة زاكاس Tzakas = چاكا) أو من أمراء (ارزنجان) ولم تؤثر هذه السيدات تأثيرا كبيرا على ازواجهن اذ ان مثل هذه الزيجات السياسية لم تمنع نشوء الخصومات بين السلطان وحميه والتي كانت تنتهي عادة باعلان الحرب بينهما • وعند موت السلطان ، كان على السلطانات ـ بصرف النظر عن دياناتهن أو اصلهن ـ الزواج من وزراء السلطان الراحل ، ولعل هذا التقليد قد جاء من أصلهم البدوي ولكن استمر الاخذ به في آسيا الصغرى طيلة حكم السلاجقة فيها • وعلى سبيل المثال فقد تزوج شمس‌الدين اصفهاني صاحب الوزارة في فترة الحكم الثلاثي[١٢] أرملة غياث الدين كيخسرو الثاني والدة كيكاوس الثاني الجورجية •

تقاليد دفن الموتى

اقتبس السلاجقة مراسيم الدفن عن مصادر أجنبية ، فقد ذكر بعض المؤرخين ان عادة ارتداء السواد كعلامة للحداد هي عادة مسيحية ، وبعبارة ادق انها يونانية الاصل • فان صح هذا ••• فيصبح ارتداء الملابس السوداء قد تم في العهود الاسلامية الاولى لا في زمن السلاجقة • اذ جاء أول ذكر

---

(١٢) هي تلك الفترة التي كان يحكم فيها الاخوان الثلاثة عزالدين وركن‌الدين وعلاء‌الدين ابناء كيخسرو السلجوقي ـ المترجمان •

لذلك عام (٧٤٢م) عند مقتل (يحيى)[١٣] حيث ارتدى اتباعه السواد حزنا عليه كما اختار العباسيون هذا اللون شعارا لهم ويذكر ان كيقباذ الاول عندما ارتقى العرش عام (١٢١٩م) ارتدى الملابس البيضاء لمدة ثلاث ايام حدادا على اخيه • وقياسا على ذلك فان عادة العزف على الناي التي استعملها الدراويش المولويون في مراسيم التشييع قد يكون تقليدا غربيا ايضا[١٤] •

وما عدا هذه المؤثرات الاجنبية ، تضمنت المعتقدات الاسلامية السلجوقية بعض التقاليد التي ادخلت عليها تعديلات اساسية بمرور السنين واختلاف المحيط ولكنها بقيت تحمل طابع آسيا الوسطى وعلى الرغم من قلة المعلومات التي نعرفها عن مراسيم الدفن الغزية فقد ذكر بعض الكتاب الصينيين بانهم كانوا يكرمون موتاهم بينما لا تؤيد الديانة الاسلامية هذا الاتجاه ، بالرغم من ان السلاجقة استمروا خلال تاريخهم على الاهتمام بقبور اسلافهم • وقد شجعهم الشيعة الفرس للاستمرار بهذا التقليد البدوى أو بعبارة اخرى ، شجعهم الحكام الترك السنة الذين حكموا بلاد فارس الشيعية ، الذين بقيت قباب واضرحة موتاهم علامة رائعة تملأ فضاء فارس • فقلدهم السلاجقة بدورهم فانشأوا الاضرحة والقباب المخروطية والتي اصبحت رمزا للفن المعمارى السلجوقي • وقد وجد بارتولد في الكتابات

---

(١٣) يحي بن خالد بن برمك وزير الهادي ومؤدب ابنه هرون الرشيد الذي غضب عليهم جميعا فاعدم ابنه جعفر البرمكي ومات يحي البرمكي مع اخوانه في السجن (قاموس الاعلام/ ١ : ١٢٨٨) ـ المترجمان •

(١٤) تحاول المؤلفة اسباغ الروح المسيحية أو الغربية على التقاليد السلجوقية الاسلامية ولكننا لا نتفق مع المؤلفة في ارجاعها جذور التقاليد الاسلامية الى المسيحية أو الوثنية ـ المترجمان •

الارخونية[١٥] بعض العقائد التي كان يدينون بها ، منها ان روح المتوفى تنقلب الى طير أو حشرة وقد انعكست هذه العقيدة في تأبين العثمانيين لموتاهم اذ كانت ترد عادة فيها عبارة : « لقد اصبح بازا أو صقرا »[١٦] • واستمر التقليد الاوراسيوي البدوى القديم في دفن حصان رئيس القبيلة معه في آسيا الصغرى حتى القرن الثالث عشر على الرغم من عدم ذكر مثل هـذا التقليد في العهد السلجوقي فان كيكاوس الاول عندما اقام احتفالا لـدفن والده في قونية سنة ٦٠٧هـ-١٢١٠م أمر باحضار حصان السلطان الراحل الخاص للمشاركة في هذه الاحتفالات •

كان السلاجقة يقومون في بعض الاحيان بتحنيط موتاهم ، كمـا فعلوا بابن صاروخان و (توروماتاي) أمير آماسيا وقد ذكر بعض المورخين بان هذه العادة ذات جذور بيزنطية ، بينما دلت التنقيبات التي جـرت في (بازرك Pazirik في التأى[١٧] بان البدو الاوراسيون اتبعـوا هذا التقليد منذ القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد • بينما اتبع السلاجقة في آسيا الصغرى طريقة دفن موتاهم على قفاهم موجهين وجوههم نحـو اليمين بحيث اذا وضع التابوت في الضريح يواجه باب الضـريح المفتـوح باتجاه مكة كي تتجه العينان صوب المدينة المقدسة •

---

(١٥) اقدم كتابة عرفها الاتراك في آسيا الوسطى ، ويتألف هذا الخط من (٣٨) حرفا وكان هذا الخط يكتب من فوق الى اسفل مبتدءا من اليمين (نجيب عاصم/اورخون آبدەلرى - استنبول ١٣٤١هـ) - المترجمان •

(١٦) وهي ترجمة للعبارة التركية (روحي برقوش اولدى اوجدى) ولا زالت هذه العبارة ترد كثيرا في الحكايات الشعبية التركية) - المترجمان•

(١٧) T. Talbot Rice, The Scythians (London, 1956), p. 114.

الصيد بالصقور

ومن جملة ملهاة السلاجقة اليومية الصيد والقنص بالصقور ، وقد خصصوا لذلك موظفا رسميا خاصا يحمل لقب (بيك) أو (أمير) ليكون مشرفا على الصيد الملكي ، وكان السلطان يطلب من جميع رجال بلاطة القادرين المشاركة معه في الصيد ، وعند المساء كان يقدم الهدايا لمن قنص اكثر من غيره • وقد اشتهر ملكشاه بحبه لهذا النوع من الرياضة الى حد انه كان يحمل معه دفترا صغيرا يسجل فيه ملاحظاته الشخصية للحوادث التي تقع في يوم الصيد هذا وليس من المستبعد ان تكون هذه الهواية قد أثرت على فردريك الثاني ملك (هوهنستوفن) احدى المقاطعات الالمانية ، مما جعلته يؤلف كتابا عن الصيد بواسطة الباز •

الخيام والقصور

مضت سنوات عدة قبل ان يضطر السلاجقة بصورة عامة لاستبدال خيم اجدادهم بالبيوت ، فكانت خيامهم على طراز خيام آسيا الوسطى ، أي انها كانت مستديرة ذات أسل (حلفاء) متشابكة ، بينما كانت سقوفها مدببة مصنوعة من اغصان شجر الصفصاف المقدسة ، وتغطى هياكلها بقطع اللباد والمزخرفة من الخارج على الاغلب • وتحت تأثير المحيط الفارسي كان السلطان ورجال بلاطه أول من اعجبوا بفكرة السكن في القصور ولما كانت المدينة تعتبر كالسجن بالنسبة للتركي ، فان اختيارهم لشكل القصر كان على شكل عدد من المقاصير المنفصلة ، يربط بينها بهو كبير ويحيط بالمجموعة حائط واحد • وتشبه هذه البناية قصر السراى لسلاطين آل عثمان اذ كانت لها بنايات متفرقة أو مقصورات صغيرة تحتوى على المخادع الخاصة وغرف الحريم • كما كان لها بهو كبير للمجلس ومطابخ كبيرة

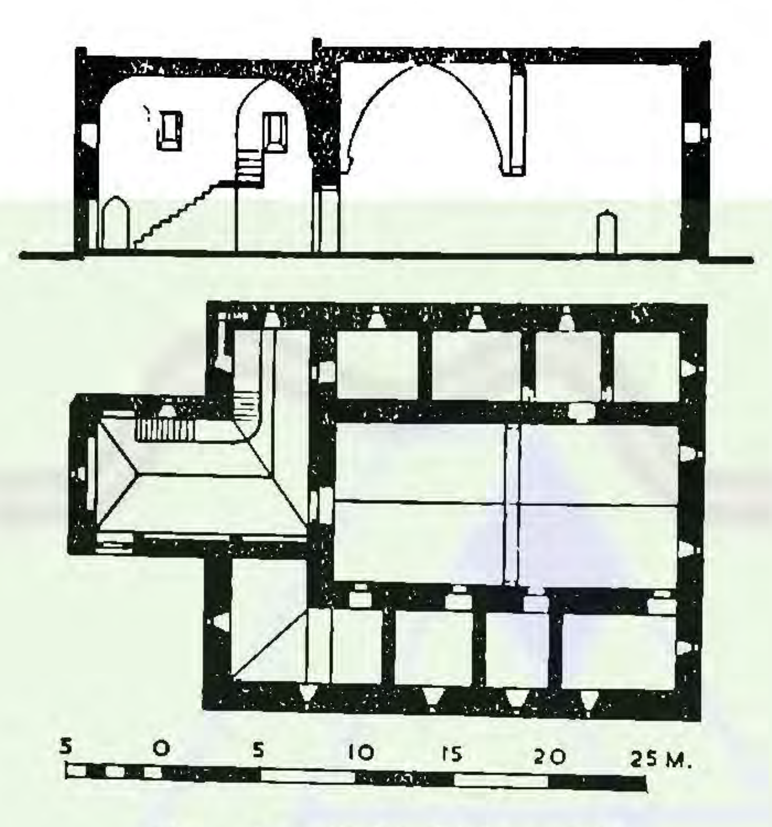
جدا تكفي لاطعام المئات من الناس كما حوت ايضا على مقاصير ملابس السلطان وحاجياته ، بينما تحوى غيرها من المقاصير قطع الاقمشة والحلي التي كان يهبها لضيوفه • كما احتوت بعض مقاصير هؤلاء الحكام المسلمين على مصنع لحياكة المنسوجات الحريرية خاص بهم[(١٨)] والذي كان يسمى (تيراز tiraz كما الحقت بها مدارس للفروسية واصطبلات ومرافق خاصة لرجال القنص الملكي ومخزن للسلاح وآخر للاطعمة ومقاصير للوزراء تتخللها جميعا حدائق صغيرة وبرك ونوافير مياه لتضفي عليها رونقا وبهاء •

العمارات الجديدة

قام السلاجقة في القرن الثاني عشر عند احتلالهم المدن الاجنبية باعادة انشاء وتعمير تحصيناتها وبناء الجوامع فيها ولم يمر وقت طويل حتى ملأت فضاء هذه المدن المنائر التي لم تكن تعرف سوى القباب • ثم انتشرت هنا وهناك الاضرحة الفخمة ذات السقوف المخروطية ، فغيرت شكل الفضاء اكثر فأكثر ، ثم قام السلاجقة بنفس الوقت بتحسين طرز المعيشة في المدن وذلك بانشاء المعاهد الضرورية كالكليات الطبية والفقهية والمستشفيات والبيمارستانات والمياتم ودور العجزة •

---

(١٨) Raymond Cox, Les Soieries d'art depuis les origines a nos jours (paris, 1914), P.83.



مقطع ومخطط كشك حيدر بيك

الخدمات الاجتماعية

لم يلتفت العالم المسيحي مع كل تعاليمه وثقافته ونظمه الادارية نحو ايجاد المستشفيات للفقراء ، وقد أثبت الحكام الشرقيون انهم اكثر تحسسا بحاجات شعبهم . فمنذ القرن التاسع وما بعده احتوت المدن الاسلامية الرئيسية على المستشفيات والمعاهد الخيرية بانواعها المختلفة . وكنتيجة لتأثير العالم الاسلامي العربي على العالم الغربي اسست مدرسة للطب في سالیرنو في أواخر ذلك القرن . مما كان حافزا لرهبان البندكتيين في مونت كاسينو لتوسيع مستشفاهم وادى هذا بدوره في اواخر القرن الثاني عشر الى تأسيس مدارس للطب في جامعات (مونت بيليه) و (بولونا) و (بادوا) و (باريس) . بينما كان السلاجقة في ذلك الوقت قد حولوا سلطتهم الى دولة ذات خدمات اجتماعية منظمة . وربما كان الدافع لهذه الخدمات

الاجتماعية متأتياً من بلاد ما وراء النهر[١٩] . وبلاد فارس حيث انشئت فيها بعض المستشفيات ومدارس للطب في القرن العاشر ، ولكن تعميم هذه الخدمات الاجتماعية على نطاق واسع كان انجازا سلجوقيا محضا .

ادعى الكثيرون من مورخي القرن التاسع عشر بان السلاجقة لم يجلبوا معهم الى آسيا الصغرى سوى الفوضى والدمار ، ان هذا الادعاء لا يقف امام الحقيقة الناصعة وهي ان : على الرغم من اشتباك السلاجقة في حروب مستمرة سنة بعد سنة فقد كان لديهم متسع من الوقت لرعاية وانشاء وتعمير الكثير من المستشفيات والمؤسسات الخيرية تزيد على عدد المعارك التي خاضوها ، اذ انقلبت الاقاليم التي استولوا عليها من بلاد تخلو من المؤسسات الاجتماعية الى بلاد ذات خدمات اجتماعية منظمة . وقد عزز هذا التطور بتأثير الهبات والاوقاف التي كان يهبها الناس ... اذ جعل الحكام من انفسهم مثالا يحتذى به رجال بلاطهم لاقامة هذه المؤسسات الاجتماعية . فقد كان (كيخسرو الاول) من اوائل الذين شيدوا مدرسة طبية ومستشفى ملحقة بها في مدينة قيصرى تحت رعاية اخته ، ففي المؤسسة المزدوجة هذه أقيمت البنايات جنبا الى جنب يصل بينهما دهليز وقد سميت هذه المؤسسة باسم « مدرسة الشفاء » وقام موظفو المستشفى بالتعليم في المدرسة نظريا وتطبيقها عمليا في المستشفى . وتشبه هذه الاسس الطريقة المتبعة في يومنا هذا في المستشفيات التعليمية[٢٠] .

---

(١٩) ترانسوكسيان/الاسم الذي اطلقه الجغرافيون اليونان على أقاليم ما وراء النهر (قاموس الاعلام/٣ : ١٦٣٤) ـ المترجمان .

(٢٠) A. S. Unver, Le Premiere ecole de medecine turque, p. 8.

وتبع تأسيس (مدرسة الشفاء) هذه الكثير من مثيلاتها مثل (مدرسة دار الشفاء) أو (دار الشفاء) في سيواس ، فكانت نموذجا احتذت بـه الامبراطورية العثمانية بعد ذلك .

وكان من بين هيئة التدريس فيها اخصائيون في الامراض الداخلية والجراحة والكحالة . واحتوت مكتبتها الكثير من كتب الطب التي كانت في متناول التلاميذ كما كانت في متناول المدرسين ايضا . وقد بقيت المستشفيات السلجوقية تعمل في خدمة الناس في العهد العثماني حتى القرن التاسع عشر ، بينما انقرض بعضها قبل هذا التاريخ واستمر البعض الاخر حتى الحرب العالمية الاولى ، ان لم تكن في نفس بناياتها الرائعة التي انشأها لها السلاجقة بل في بنايات جديدة فقد حافظ العثمانيون على اسمائها الاصلية وشروط الواقف التي انشأ هذه المستشفيات الخيرية .

كان لاهتمام السلاجقة الكبير بمياه الشرب والامور الطبية أثر كبير في الاستفادة من ينابيع المياه المعدنية الموجودة في منطقة الاناضول . وقد آمن قليج ارسلان بفائدة مياه (حوزة Havza) فانشأ عام (١١٦١م) حمامين فيها . ومن بين الحمامات الشهيرة تلك التي انشئت في (قيرشهر) و (ايلكين Ilgin) و (يونكال Yoncal) و (حميدية) بينما احتفظ ببعض الينابيع الاخرى للخيل والماشية . وقد ذكرت لنا السجلات[٢١] التي عثر عليها وجود اكثر من (٢٠٠) ينبوع مائي ، بينما قد يزيد عدد الينابيع كثيرا على هذا الرقم . وقد جهزت اغلبها بالحمامات

(٢١) A.S. Unver, Une etude et quelques le'gendes Sur les stations balneaires d'Anatolie aux temps des Seldjoukdes et dans les Periodes Suivantes.

الفاخرة ونوافير مياه الشرب .

لم تمثل الخدمات الصحية التي كان يتلقى فيها الشعب المعالجة والطعام والسكنى المجانية ، كافة الاعمال الخيرية التي قام بها السلاجقة فثمة ناحية أخرى خصصوا لها المال الكثير ايضا وهي تأسيس عدد كبير من دور العجزة والمياتم والبيمارستانات . حيث كانت تقدم جميع الخدمات فيها مجانا ، وقد سعى السلاجقة ايضا لايجاد المال لمجابهة حاجات المدارس والمعاهد الدينية التي انشأوها وعلى هذا فقد كانت معاهد ثقافية كافية لتأمين حاجات شعبهم منها .

المصادر المالية

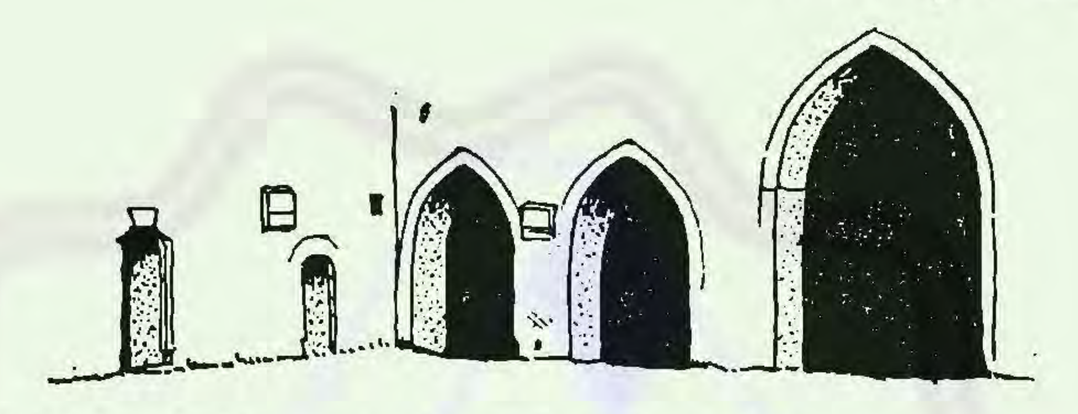
ولما لم يستطع السلاجقة ايقاف الانحطاط الزراعي في المناطق التي دارت فيها المعارك الحربية ، فقد اتجهوا نحو تطور الصناعات المحلية ، كانتاج حجر الشب والسكر المصفى ، لانهم آمنوا بان الاستقرار الاقتصادى هو اهم عامل في بقاء دولتهم . فقد اعتمدوا في اوائل سنوات حكمهم على المصادر المالية التي كانت تأتيهم عن طريق الجزية والخراج المفروض على اتباعهم . ويجرى دفعها على نوعين : نقدا وعينا . هذا بالاضافة الى الداخل الناجم عن اسلاب المعارك التي كونت في حد ذاتها مبالغ جمة . فقد استولوا على اموال ليو الثاني ملك أرمينيا التي كانت تبلغ قيمتها (١٢٠) الف باون هذا بالاضافة الى وجوب قيام هذا الملك بتزويد الغزاة بخمسة عشر الف جندي مدرب سنويا . وعلى الرغم من اسلاب الحرب ـ التي استمرت حتى الغزو المغولي ـ تكون مبلغا كبيرا من مالية الدولة فانها لم تستطع مواجهة مصاريف الدولة المتزايدة ، فاصبح من الضرورى ان يبحث السلاجقة عن مصادر جديدة لدخلهم ، فوجدوه في ميدان التجارة . وعندما

تحققوا بان الاتجار بالعبيد المسيحيين مصدر هام للدخل ••• بذلوا ما في وسعهم لتوسيع هذه التجارة باساليب عدة ••• تارة عن طريق الشـراء وتارة عن طريق اختطاف الاطفال ومـرة اخرى عن طريق اسر فلاحي القرى التي يستولون عليها اثناء المعارك الحربية وقد تبين بوضـوح ان للجورجيين ثمنا مرتفعا ، يمكن بيعهم بسهولة وباثمان مغرية • وبالرغم من ان تجارة العبيد بدت مربحة دوما، ولكنها لم تكن لتستطيع مجابهة مصاريف الدولة الباهضة فكان على السلاجقة تشجيع تجارة الترانسيت عبر الاناضول•

طرق القوافل

كانت الخطوة الاولى من اجل اجتذاب اكبر عدد ممكن من التجار لغرض امرار بضائعهم عبر بلادهم •• اعادة تعمير طرق القوافل القديمـة التي يرجع عهدها الى عصور مندثرة •• تلك الطرق التي خدمت اجيالا من التجار الرومانيين والبيزنطيين • ومن جرأ ترك البيزنطيون لهذه الطرق التجارية فقد اصابها الخراب •• لذلك قام السلاجقة باعادة تعميرها وتقوية الجسور المتداعية وبناء جسور حجرية جديدة • ولاول مرة في تاريخ هذه الطرق الاثرية القديمة •• قام السلاجقة ببناء شبكة من دور الاستراحة عليها ، وكان من اشهرها تلك التي كانت تعرف باسم (سلطان خان) أو (محطات القوافل) ، كما سميت بعضها الاخر بـ (الخان) فقط وكـانت غالبية هذه المباني فاخرة جدا وبعضها ملوكي الطراز • وتم انشـاؤها في نقاط ملائمة على طول الطرق التجارية المهمة لتجلب الامن والراحة للقوافل العابرة •• حيث يستطيع المسافرون وحيواناتهم الاستراحة ليلا والاستجمام من مشاق السفر في النهار • وقد اخذ بنظر الاعتبار المسافات بين محطـة واخرى فكانت المسافة بين كل محطة واخرى تبلغ (٩) ساعات على ظهور

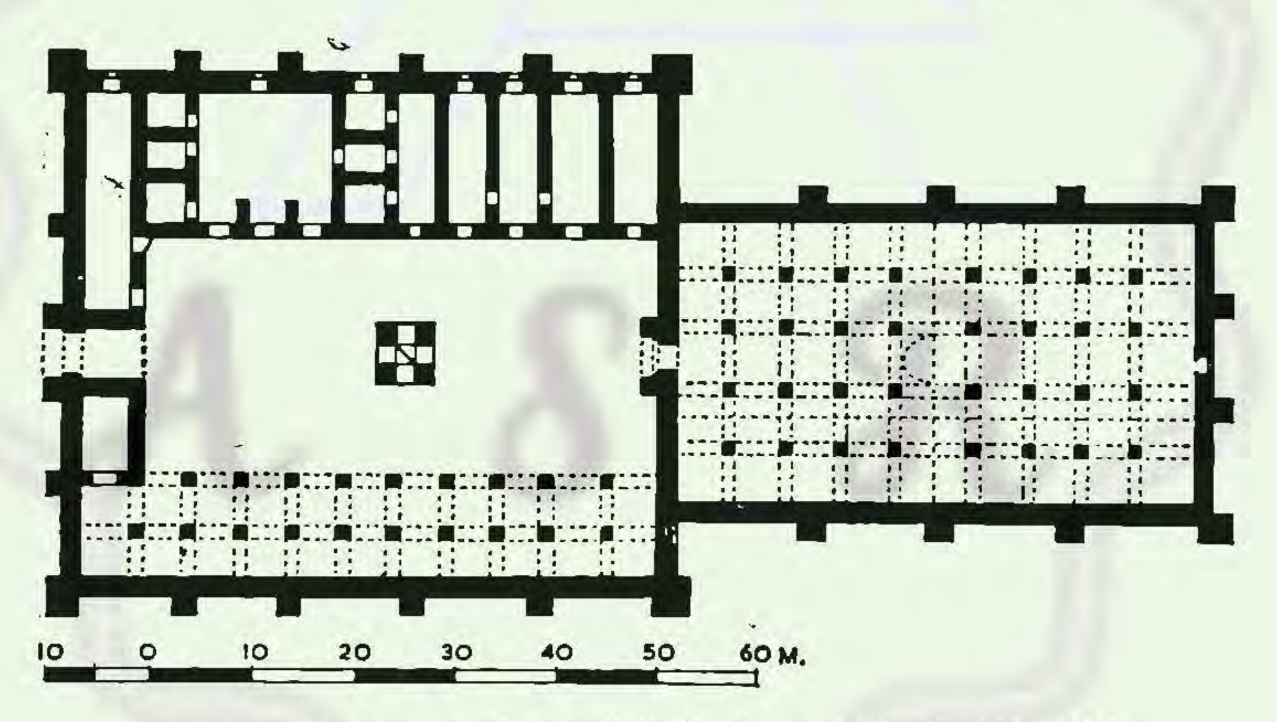
الجمال ، أو ما يعادل ثمانية عشر ميلا وهي المسافة التي يستطيع قطعهـا الجمل في النهار الواحد ، فكانت القافلة تبدأ سيرها في الصباح الباكر وتصل المحطة التالية مساء •



خان تركان من أواخر القرن الثاني عشر ، يبدو الى الشمال المدخل المؤدي الى مساكن المسافرين والى اليمين المدخل المؤدي الى الاصطبل •

وكان أول ما يطالع القافلة عند اقترابها من هذه الخانات ••• ابراج الدفاع وجدرانها ذات الصخور الحجرية الكبيرة ، ثم تبدو لها الزخارف والنقوش المتشابكة والمعقدة المتقنة على ابواب هذه الخانات اما في الداخل فقد كان كل شيء يبعث على الارتياح • وكان المبيت والراحة في هذه الخانات المنشأة على هذه الطرق مجانا ، اما تلك التي انشئت في المدن فقد كان لهـا بوابتان تؤخذ فيها الضريبة عند الدخول والخروج • واول ما تقع عليـه عين السائح أو المسافر عند دخوله هذه الخانات •• الجامع وبركة الوضوء ، حيث يقدم الشكر لله على سلامة الوصول • ثم تنزل الاحمال وتخـزن في غرف حصينة اعدت لهذا الغرض كما تقاد الحيوانات المتعبة الى اصطبلات جيدة مزودة بمعالف من حجر • اما الرجال أو المسافرون فلهم الخيـار بالمبيت في غرف خاصة أو في الردهات • كما احتوى الخان على مقهى وحمام ومحلا لاصلاح ما يراد اصلاحه لادامة القافلة • وتقوم فـرق موسـيقية

بالعزف على آلاتها بعد تناول وجبات الطعام في بعض الخانات الكبيرة وبصورة خاصا (خان سلطان) المقام على طريق قونيه ـ اقسراى وخان (قراطاي) المقام على طريق قيصري ـ ملاطية وعندما لا تتيسر مثل هذه الفرق الموسيقية يتسلى المسافرون بالتحدث عن العجائب التي شاهدوها والمخاطر التي تعرضوا لها والمشاهد الغريبة التي صادفوها أو سمعوا بها خلال رحلاتهم ، ويتجمع بعض السكان ـ وخاصة في المدن ـ تحت سقف الخان ليستمعوا الى احاديث هؤلاء التجار الاذكياء والمتعلمين أو الى الحجاج الذين تتصف احاديثهم بالمعرفة الواسعة والبلاغة الحكيمة ، فتنقلب دار الضيافة هذه الى جامعة للفقراء •



مخطط خان السلطان على طريق قونية ـ آقسراى ١٢٢٩م ـ ٦٢٧هـ•

ولا يتأتى لهذه التجارة الازدهار الا بتأمين استتباب الامن على هذه الطرق • فلهذا قام السلاجقة بتزويد المحطات المنشأة في المناطق المخطرة بحامية ومخزن للسلاح • فكان على التجار الذاهبين في مثل هذه الطرق

في القرن الثالث عشر - وخاصة القوافل الذاهبة الى ارضروم - ان يدفعوا ضريبة خاصة عن كل حيوان يحمل بضاعة ، وتصرف هذه الضريبة لحراسة هذا الطريق .

كانت التجارة السلجوقية تعتمد على الترانسيت ، وقد تركزت هذه التجارة بادىء الامر في قونية وسيواس وقيصرى . وكان يقوم بها تجار السجاد اليونانيون والارمن ، اذ ان السلاجقة في القرن الثاني عشر لم يهتموا الا بتجارة الخيول والماشية . وبعد قرن من ذلك التاريخ وجد الايطاليون ان تجارة الترانسيت مربحة جدا ، فقام المعتمد البندقي في القسطنطينية بالاتصال بغياث الدين كيخسرو الاول ليحصل منه على بعض الامتيازات لمواطنيه ، ولما كان السلطان راغبا جدا في توسيع التجارة في بلاده .. لم يعترض على وجود البندقيين في دولته . وشاركه في آرائه هذه ابنه وخليفته عزالدين كيكاووس الاول وارتاح كلاهما من النتائج الاولية لهذا الاتفاق ، الذى كان على سبيل التجربة . فاستطاع المعتمد (جاكوب تيبولو) عام ٦١٧هـ-١٢٢٠م بتوقيع اتفاقية تجارية واسعة مع كيقباذ الاول . وبموجب شروط هذه الاتفاقية حصل البندقيون على حق نقل الاحجار الكريمة واللؤلؤ والسبائك الذهبية والفضية وكذلك النقود والغلال خالصة من الضرائب ، على ان يدفعوا ضريبة تبلغ ٥و٢٪ على جميع البضائع الاخرى . كما تم الاتفاق على تأمين حماية هذه القوافل ، وكيفية معالجة فقدان البضاعة في البحر وكذلك طريقة معاقبة الخارجين على القانون والمتمردين . وتم الاتفاق بان تنظر المحاكم البندقية في الخلافات الناشئة بين البندقيين وغيرهم من الشعوب اللاتينية مثل البيزانيين والبروفانسيون بينما تقوم المحاكم السلجوقية بالنظر في الخلافات التي تنشأ بين السلاجقة

والفرنجة ، وكذلك في حالات جرائم القتل والسرقة ايضا .

ادى استيلاء اللاتينيون على القسطنطينية الى ازدياد وفود التجار الغربيين الذين اخذوا يتطلعون الى جمع الثروات من الشرق ، فتحول جزء كبير من التجارة التي كانت وقفا على اليونانيين الى ايدى البندقيين وتطورت نوعية البضائع التي اخذت تمر على طرق القوافل وازدادت كميتها وبدأ السلاجقة ايضا باجراء معاملات الاستيراد والتصدير لحسابهم . وتركزت اغلب هذه التجارة في سيواس حيث استقر التجار السلاجقة وعملوا كبائعين ومشترين وفي نفس الوقت كوكلاء تصدير . اذ كانت معظم التجارة الواردة من سوريا والعراق وخاصة من مدينة الموصل تمر بمدينة (سيواس) حيث يتسلمها الوكلاء السلاجقة . ثم اصبح هؤلاء مسؤولين عن تنظيم القوافل المتجهة نحو (سينوب) أو (طرابزون) حيث تنقل البضاعة عبر البحر الى موانيء البحر الاسود الشرقية والجنوبية .

كانت التجارة الطرابزونية ذات أهمية خاصة لانها كانت حلقة وصل بين مدينتي (بيراتيا Perateia) و (جرسون Cherson) وتفرض الضرائب على جميع البضائع المنقولة الى الساحل كما يشارك في هذا الربح المتأتي من الضرائب الامبراطور الاغريقي في طرابزون عن البضائع التي تمر عبر امبراطوريته وكان السلاجقة مسيطرين على ميناء سينوب الذي نشطت فيه التجارة نشاطا ملحوظا وخاصة مع (القبجاق)[٢٣] في جنوب روسيا

---

(٢٣) اطلق اسم القبجاق على الوحدة التي تمت بين القبائل التركية القاطنة في آسيا الوسطى في القرن العاشر الميلادي وكانت هذه الوحدة تضمن - اضافة الى قبيلة القبجاق المنضمة اليها - بعض بطون الغز والبجنيك وغيرها من الاقوام التركية . وقد دامت سيادة القبجاق في آسيا حتى ظهر جنكيزخان . أما في الغرب فقد دامت هذه السيادة حتى سنة ١٢٣٨/١٢٣٩م

ومع التجار الروس والتتار المتمركزين في ميناء شبه جزيرة القرم المسمى (سوداق) أو (سولدايا) •

كان ميناء سولداق ملتقى جميع التجار الترك المتجهين من والى روسيا حاملين فرأ الحيوانات كالسنجاب ، والجلود الثمينة والملابس القطنية والكوبالت والحرير والتوابل[٢٤] •

وقد يرغب احد التجار السوريين أو العراقيين بمرافقة بضاعته الى مستقرها الاخير بدلا من ان يعهد بها الى احد الوكلاء ، ففي هذه الحالة كان على التاجر ان يذهب الى سينوب ثم يبحر الى سوداق مع بضاعته من الحرير والقطن والتوابل ، هذا مع العلم ان مرافقته للبضاعة لا تعفيه من وجوب عودته الى سينوب محملا بالعبيد والفراء • اذ ان السلطان السلجوقي ينظر الى مثل هذه البضاعة نظرة ثمينة هامة ، ويعزى سبب هجوم كيقباذ الاول على سوداق عام (٦١٩هـ-١٢٢٢م) الى ضياع احدى هذه الارساليات الثمينة التي كان ينتظرها •

وبالرغم من ان سينوب[٢٥] قد اثبتت بانها من اهم المراكز التجارية

حين تغلب عليهم المغول • وقد تمكن القبجاق خلال حكمهم (بين القرنين العاشر ومنتصف الثالث عشر) من بسط سيطرتهم على آسيا الوسطى وجنوب وشرق اوربا وتمكنوا سنة ١٢٠٣م من السيطرة على امارة كييف التي كانت تعد مركز الثقافة في اوربا في تلك العصور (اسلام انسيكلوبه ديسي/٦٣:٧١٣-١٧) - المترجمان •

(٢٤) The Journal of Friar Rubruquis (Hackluyt Society, 1902), p. 184.

(٢٥) تقع ولاية سينوب على البحر الاسود وعلى بعد (١٢٤) كيلومترا الى الشمال الشرقي من ولاية قسطموني (قاموس الاعلام/٤:٢٧٨٧) - المترجمان •

السلجوقية فان سيواس اصبحت في القرن الثالث عشر أهم مركز تجارى رئيسي في المشرق • وبقيت على أهميتها تلك في القرن الرابع عشر ، حتى ان الدبلوماسي الفلورنسي (بالدون) ادخل اسمها في الدليل التجارى المسمى La Practica della Mercature الذي وضعه للتجار الايطاليين وضمنه جدولا بالموازين والمقاييس المستعملة في سيواس ولاجازو وقبرص وعكا •

لم يؤثر احتلال المغول لبلاد سلاجقة الروم على توقف تجارة سيواس ، بل ظلت مزدهرة • اذ قرر الجنويون عام (١٢٧٦) فتح قنصلية لهم في سيواس وانشأوا لهم صلات دبلوماسية مع المغول •

اصبح السلاجقة في الربع الثاني من القرن الثالث عشر بلدا مصدرا ، مع ان استيراداتهم ما زالت تزيد على صادراتهم • وتلقى قائمة البضائع المستوردة التالية ضوء على مستوى المعيشة التي كان يحياه السلاجقة • فاغلب البضاعة التي تأتي من مصر تتضمن التوابل والسكر والاسلحة والقطن وتقوم حما وحلب ايضا بتصدير القطن الجيد ، واما الانواع الاجود منه والممتازة فتأتي من أرمينيا الصغرى ، وتصدر بغداد اليهم الصوف الناعم الخفيف الجيد الصنع ، والذي يستعمله السلاجقة لعمائم سلاطينهم ووزرائهم • كما تصدر اليهم بغداد ايضا الحرير ليصنعوا منه جبة السلطان ووزراءه • ويأتيهم من بغداد ايضا المسك واعواد الند والعنبر ، اما الحرير الممتاز والباهض الثمن فيأتي من الصين •

ويأتيهم السجاد من بلاد فارس وخاصة من شيراز وبلاد ما وراء النهر اما الاحجار الكريمة التي شغف بها السلطان ورجال بلاطه فتأتي من آسيا

الوسطى ، وتقدم لهم جورجيا الخيول الاصيلة ويأتي الفراء بكميات كبيرة من روسيا • اما اسواق العبيد فقد امتلأت بالرجال والنساء القفقاسيين طيلة عهد السلطنة • اذ كان الاتراك يفضلون هؤلاء على غيرهم ليصبحوا خدما خاصا لهم •

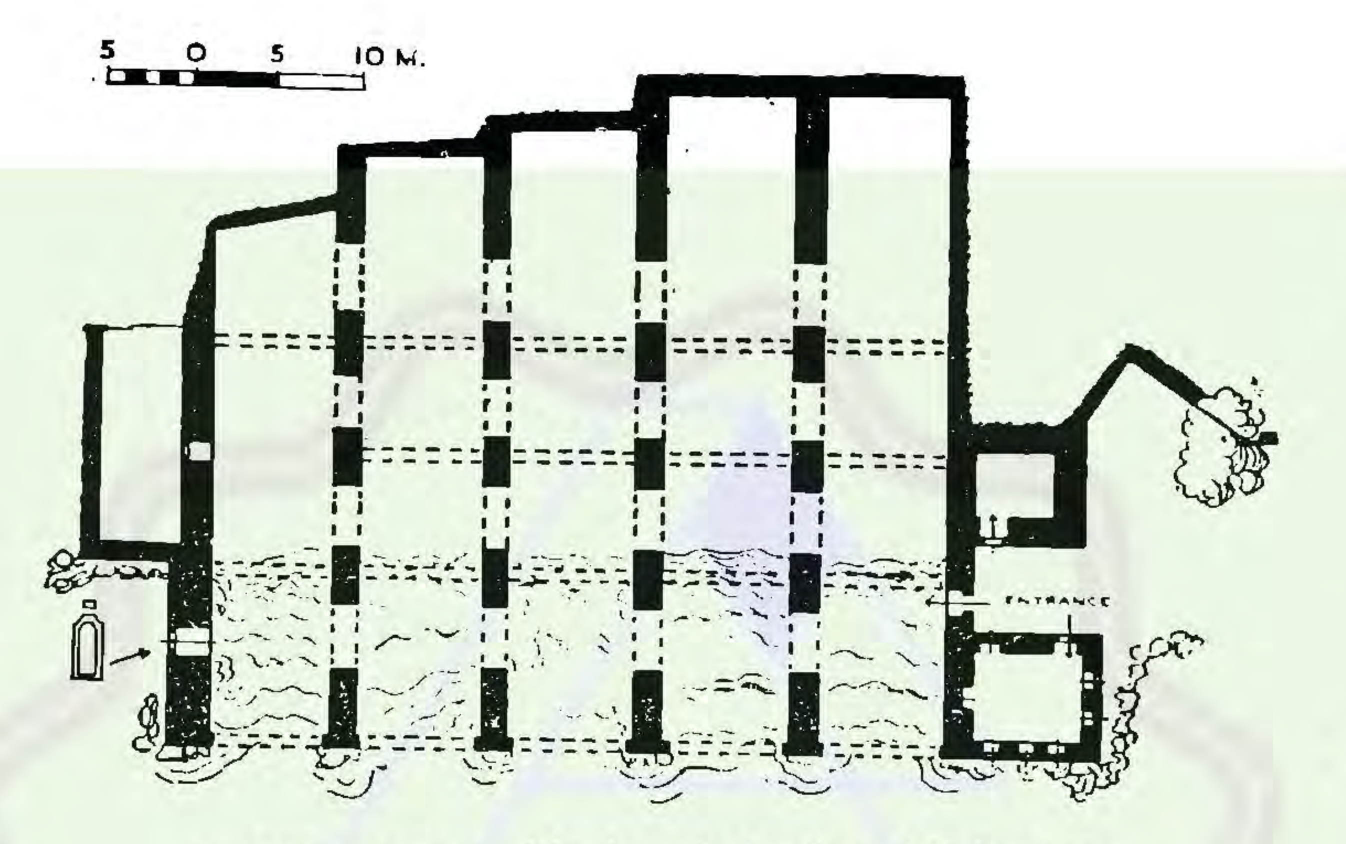
الملاحة

استمر البروفنسيون المسيطرين على تجارة (قبرص) والجنويون المهيمنين على تجارة مصر بتجارتهم البحرية على الرغم من استيلاء السلاجقة على انطالية[٢٦] عام ٦٠٤هـ-١٢٠٧م الذي اعتبر نصرا عظيما لهم • اذ اخذت الثروة تنهال على خزائنهم من رسوم ميناء انطالية ، مما جعل السلطان يقرر الاستيلاء على ميناء آخر • وكان من نصيب اخيه (كيقباذ) ان ينفذ هذه الرغبة عام (٦١٧هـ-١٢٢٠م) بالاستيلاء على (كانديلور) أو (اسكنديلور)[٢٧] كما سميت حينذاك حيث كانت امكانيات الميناء احسن مما هي هي في انطالية • وقد سماها (علائي) تيمنا باسمه • وقرر السلطان ان يجعلها ميناء حربيا وذلك باضافة ترسانة ورصيف سري اليها •

---

(٢٦) تقع مدينة انطالية في القسم الجنوبي من الاناضول وعلى ساحل البحر الابيض المتوسط • وقد ورد اسم هذه المدينة في المصادر القديمة بصيغة Attaleia أو Adalia وذلك نسبة الى آتالوس الثاني Attalos 11 حاكم بركاموم (١٥٩ - ١٣٨ق٠م) باني هذه المدينة • (اسلام انسيكلوبه‌ديسي/٦:٤٥٩) - المترجمان •

(٢٧) تقع هذه القصبة في القسم الشرقي من خليج انطالية على البحر المتوسط وفي ولاية انطالية الحالية في تركيا • وهي مدينة قديمة أصبحت في القرن الثاني قبل الميلاد ملجأ لرئيس القرصان (ديودوتوس تريفون) الذي سيطر على القسم الشرقي من البحر الابيض المتوسط في تلك الفترة وجعل من هذه المدينة مخزنا للغنائم والاسلاب (تورك انسيكلوبه‌ديسي / ٢٨٦:٤) - المترجمان •



دار الاسلحة البحرية (المسفن) في علائي (١٢٢٨م-٦٢٦هـ)

ولم تؤثر هذه الاضافات على (علائي) باعتبارها مركزا تجاريا(٢٨) بل زادت من قابلياتها الاستيعابية • وأدت التجارة المتنامية في هذا الميناء الى هجرة خليط من اليونانيين واليهود والعرب المسلمين• وقد حلت كل جماعة في محلة منفصلة عن الاخرى ، وازداد عدد هؤلاء المهاجرين بتدفق التجار اللاتينيين الذين انشأوا لهم حيا خاصا • واختصوا بتجارة الاقمشة التي تأتي من شالون وناربون وبيربنان وكذلك بتجارة الحرير المصنوع في بومباردي وخيوط النقش والتطريز المذهبة والاصواف الجيدة المستوردة من قبرص • وقد كون الفلورنتيون القسم الاعظم من الجالية الاوربية في المدينة ، ولكنهم جميعا ـ بصرف النظر عن قومياتهم ـ كانوا مجبرين على دفع الضريبة

(٢٨) Seton Lloyd and Storm Rice, Alanya (Ala'iyya), (London, 1958).

بنسبة ٢٪ عن جميع البضائع التي يتاجرون بها الى السلاجقة •

القرصنة

وقد كان باستطاعتهم دفع هذه الضريبة بكل سهولة لان الملاحة في البحر المتوسط كانت مأمونة والخسارة تكاد لا تذكر ،على عكس البحر الاسود الذي كان مملوء بالقراصنة •ففي النصف الاخير من القرن الثالث عشر كان طريق (سينوب) البحري مفعما بالمخاطر واصبح الميناء ارثا ملتزما لابناء البرفين معين الدين ، واقربائه من القراصنة • اذ اتخذوا من هذا الميناء قاعـــدة للسلب والنهب ومهاجمة السفن التجارية • فقام الجنويون عــام (٦٧٨هـ ـ ١٢٧٩م) بخطف ابن اخ معين الدين ـ انتقاما من اعماله ـ والذهاب به الى ايطاليا ، وبقي في الاسر هناك حتى تم دفع فدية كبيرة لاخلاء سبيله • وفي عام (٧١٣هـ ـ ١٣١٣م) قام (غازي جلبي) حاكم سينوب وقسطموني والذي يعتقد انه من سلالة معين الدين ، أو انه احد ابناء السلطان مسعود الثاني ، بتدبير اغراق عدة سفن جنوية كانت راسية في ميناء سينوب وذلك بالغوص تحتها وفتح بعض الثغرات في قعرها •

الاسواق

كانت الاسواق المنظمة التي اسسها السلاجقة من أهم العوامل التي أدت الى انتعاش التجارة في سلطنتهم • فقد وجدت هذه الاسواق في جميع المدن الرئيسية ، وتم تقسيم الاسواق الى انواع متعددة فاختص كل سوق بنوع من البضاعة ، كما تم انشاء مثل هذه الاسواق في المدن الثانويـــة كأرزنجان التي جلبت اسواقها الرائعة الواسعة انظار رحالة زمانـــه ابن بطوطـــة •

كان للثروة التي انهالت على السلطان والمحيطين به من رجال البلاط نتيجة لنمو التجارة وضخامتها أثرها في زيادة امكانياتهم لانشاء العمارات الفخمة ومن ثم وقفها على المؤسسات الخيرية والتي لا تزال تحمل ذكراهم في نفس الوقت الذى كانوا يتمتعون فيه بتنفيذ جميع رغباتهم في العيش الرغيد • فمثلا كان باستطاعة كيخسرو الثاني ان يدفع دون تردد (١٨٠) الف درهم ثمنا لياقوتة واحدة • وكمثل أيضا على ارتفاع مستوى المعيشة ان اضطر التاجر الجنوى (سيمون لاركاني) ان ينفق (٦٠٠) درهم في سفرة له بين (علائي) و (سيواس) •

الضرائب

لقد كانت الضريبة مفروضة على جميع السكان دون تمييز أو تفريق• فسكان المدينة يدفعون الضريبة الى الادارة المدنية ، والاقطاعيون العسكريون يدفعونها الى قادتهم ، اما ملتزمي الوقف أو رجال الدين فيدفعون الضريبة الى ممثلي تلك المؤسسة • اما اصحاب الاملاك الخاصة فيدفعونها الى الخزينة ، كما فرضت الضرائب على قطعان الماشية ومحاصيل البذور وعلى غير المتزوجين اما المؤسسات الدينية لجميع الاديان والطوائف فقد كانت معفاة من الضريبة •

الفلاحون

ولم تكن هذه الرفاهية ـ لسوء الحظ ـ شاملة عامة • فقد وجد الفقر المدقع في الضواحي والقرى ، حيث يعيش الفلاحون حياة قذرة تعسة • ولم تكن تقع تبعة ذلك عليهم اذ اثبتت الزراعة المنظمة الرائعة التي وجدت في الحدائق والمزارع التي تحيط بقونية والممتدة حتى سهل الاناضول الاجرد قابلياتهم الزراعية • ويعود سبب هذه الحياة التعسة الى الخراب

الذي نزل بمحاصيلهم وبقنوات الرى نتيجة لاجتياز الجيوش عبر هـذه الاراضي الزراعيـة • وعلى الرغم من ان البيزنطيين قـد اوجدوا بعض الامكانيات في ادامة الزراعة الى حد ما على مقربة من ميادين المعارك فانه من المستحيل زراعة الاراضي والمناطق التي تمر منهـا الجيوش فقد انحط مستوى المعيشة لفلاحي آسيا الصغرى لسنوات عديدة قبل احتلال السلاجقة لهذه المنطقة • وأدت المجاعة بين فلاحي الاناضول في القرن الثالث عشـر الى ان يصبحوا فريسة سهلة لعدد من الوعاظ المتسولين الذين هربوا الى آسيا الصغرى امام الزحف المغولي • فقام دراوشة خراسان بنشر المذهب الاسماعيلي وتبعهم الوعاظ المتسولون القادمون من اردبيل وبغداد وسوريا فاحتضنوا هؤلاء الفلاحين المتبرمين من الوضع • وزاد الدراوشة القادمون من آسيا الوسطى من حالة عدم الاستقرار بتحريضهم الزراع على تـرك اراضيهم والهرب للعيش آمنين مطمئنين في المناطق الغربية من الاناضول •

ففي عام (٦٣٧هـ-١٢٣٩م / ٦٣٨هـ-١٢٤٠م) قام درويش سـوري من اورفا عرف باسم (بابا اسحق) وسـماه آخرون (بابا الياس)[٢٩] بالعيش في كهف قرب آماسيا مدعيا النبوة • وقد جذب ورعه المصطنع الكثيرين من الاتباع من التركمان فشجع هذا الدرويش سكان ملاطيـة للثورة والزحف نحو الغرب • فانتشرت الثورة بسرعة وشملت منطقـة سيواس وطوقات واقسراى مما دعى كيخسرو الثاني ارسال جيوشه للقضاء

---

(٢٩) وكان يعرف بين اتباعه بلقب (بابا رسول الله) وعرفت ثورته في التاريخ التركي ل (عصيان البابائية) ولما كان الحاج بكتـاش ولي (المتوفى عام ١٢٧٣م) مؤسس الطريقة البكتاشية من مؤيدي بابا اسحاق بينما استعمل شيوخ هذه الطريقة لقب ال (بابا) تيمنـا بهذا الشـيخ المتصوف (اسلام انسيكلوبه ديسي/١٣:١٦٥) - المترجمان •

على العصاة • وعندما أتت الامدادات من منطقة ارضروم فشلت الثورة واستتب الامر للسلطان وتم القبض على الدرويش المذكور وقد عومل بابا اسحق ومساعدوه معاملة قاسية ، اذ قضي عليهم بالموت عام (٦٣٩هـ - ١٢٤١م) حرقا أو شنقا وتم مصادرة املاك اتباعهم وتوزيعها على افراد الجيش والمؤسسات الخيرية التي اختارها السلطان امام اعينهم •

العملة

استعمل السلاجقة الدرهم (الايقوني Iconium وكانت النقود تضرب عادة باسم السلطان الحاكم ، وقد قام بعض مدعي العرش بضرب بعض النقود باسمائهم ايضا ، ودلت النقود السلجوقية التي وجدت بكميات كبيرة هنا وهناك حتى حدود قفقاسيا ، على سعة استعمالها في تلك المناطق • وكانت اقدم هذه العملات قد سكت من قبل احفاد السلاجقة في مدينتي نيسابور ومرو وهي تحمل نقوشا مقتبسة من الريازة العربية العباسية • ثم قام السلاجقة العظام باضافة نقوش جديدة اخرى لهذه الريازة ، فظهرت على اشكال زخارف هندسية بديعة •

ولكن حكام سلاجقة الروم اثبتوا انهم اكثر جرأة من السلاجقة العظام لان اغلبيتهم فضل استعمال بعض الاحرف على العملة بينما قام آخرون باضافة صور تعبيرية اليها ، وربما قد تأثر ركن الدين سليمان شاه بالزخارف الخوارزمية أو الساسانية وحتى البيزنطية ، اذ ضرب وجه عملته على صورة فارس يحمل سيفا على كتفه مع نجمة على جانبي هالة رأسه • وربما كان لكيخسرو الثاني فكرة اخرى بجانب رغبته في تكريم زوجته عندما اختار

ان يضرب عملته بصورة تمثل الشمس والاسد(٣٠) ، وكان كل من هذين النموذجين يشكل رمزا للسلطة في التاريخ القديم ، وقد مثل الفردوسي في مقدمة شهنامته الملك بالاسد القوى الذى يريد منازلة الشمس • كما ظهر الهلال على أوجه الكثير من العملات السلجوقية وخاصة تلك التي سكها كيخسرو الثاني • وكانت اغلب العملات السلجوقية تضرب في مدن قونية وسيواس وارزنجان • بالاضافة الى بعض الفترات القصيرة حيث كان يقوم بعض الامراء الصغار بضرب العملة في مدن اخرى مثل انقرة وبايبورت أو ارضروم • وقد اختلفت نوعية هذه العملة اختلافا كبيرا فكانت احسن العملات النحاسية تلك التي ظهرت في عهد ركن الدين سليمان شاه • واحسن العملات الفضية كانت في عهد قليج ارسلان الثاني ، بينما كان علاء الدين كيقباذ الثاني أول من ضرب العملة الذهبية • ثم استعملت العملة التي أصدرها خليفة بغداد والفاطميون وأمراء حلب وكذلك الفلورين الايطالي فأصبحت جميعها عملة قانونية في طول البلاد وعرضها •

عدد السكان

من الصعوبة ، بل من المستحيل تقريبا اعطاء فكرة واضحة عن عدد نفوس السلاجقة في آسيا الصغرى خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر • اذ ان احصاء النفوس الوحيد الذى جرى في ذلك العهد قام به المغول لكي يتمكنوا من ايجاد نظام شامل للضريبة • وكانت الاوضاع يومئذ بالنسبة للامبراطورية جميعا قد تبدلت تبدلا كبيرا، فلم يستطع ذلك الاحصاء ان يلقي ضوءاً كافيا على عدد السكان اثناء او خلال ازدهار المملكة • ففي

(٣٠) S. Lane Poole, Vol. 8; Catalogue of Oriental Coins in the British Museum, no. 149, p. 77.

بلاد فارس كان لملكشاه جيشا قوامه اربعمائة الف رجل عندما ارتقي العرش ولكنه خفض هذا العدد بعد ذلك الى (٧٠) الف مقاتل • وكان باستطاعة سلاطين سلاجقة الروم جمع جيوش ضخمة ، ولا يمكننا في هذه الحالة تفريق الغُز أو التركمان أو غيرهم من المرتزقة المنضوين تحت لواء هذه الجيوش عن بعضها • كما لا يمكن تحديد تاريخ جمع مثل هذا العدد الضخم من الجنود المدربين الذين استخدمهم السلاطين في اوقات متباعدة •

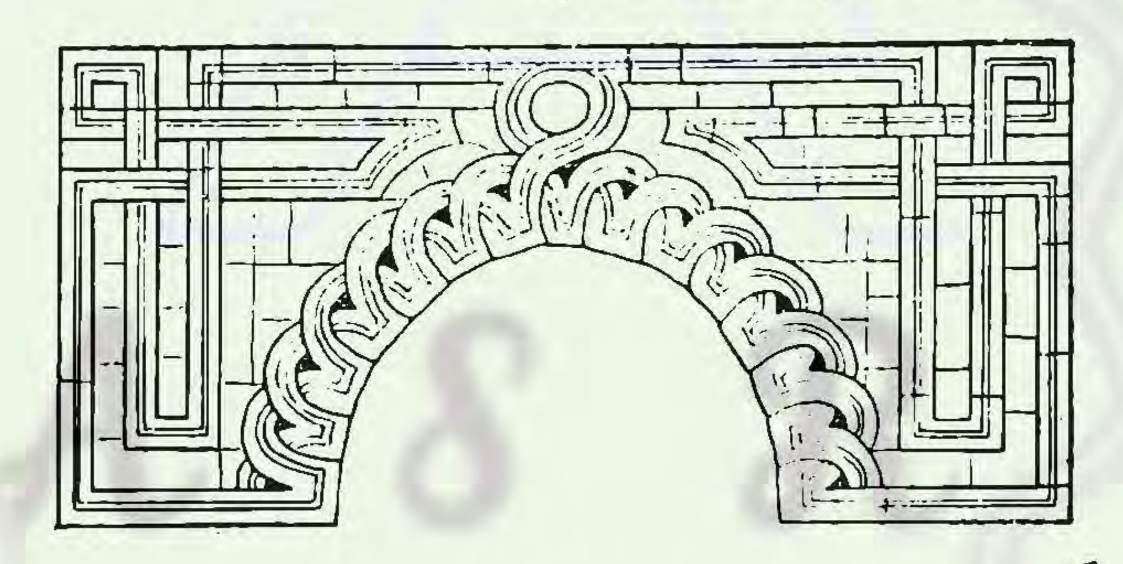
ففي القرن الثالث عشر قدر عدد نفوس بعض المدن مثل قونية وسيواس وقيصري بحوالي مئة الف شخص • ولكن هذا الرقم لا يعطينا العدد الحقيقي لليونانيين أو الارمن مثلا الذين بقوا في هذه المدن بعد الاحتلال السلجوقي لها • كما اننا لا نعرف عدد اليهود أو العرب المسلمين الذين استوطنوا هذه المدن بعد ازدهارها •

ضمت النقابات الحرفية مختلف الاجناس والعقائد ، تخضع جميعها الى السلطة الاسلامية • ويظهر من هذا ان السلاجقة لم يكونوا اغلبية اصحاب هذه الحرف ، اذ ان سيطرتهم على القبائل البدوية واحتلالهم للمناصب العسكرية والادارية وادارتهم لدفة الحكم هو الذي مكنهم من السيطرة على البلد دون ان تكون لهم الاغلبية في السكان •

الدين

لم تكن السلطة السلجوقية متعامية عن أهمية الكيان الروحي لشعبها بالاضافة الى اهتمامها بالناحية المادية والصحية • فان الحماس الذي ابداه السلاجقة عند اعتناقهم الدين الاسلامي ، ظل على اندفاعه خلال القرون

التي أعقبت اهتدائهم لهذا الدين • مما دعى الأجيال التي اعقبتهم لأن تعتبر أن من واجبها حماية الخليفة الشرعي والدفاع عن هذه العقيدة المستقيمة • وقد دعت هذه النظرة السلاجقة للقيام ببناء الجوامع الفخمة والمعاهد الدينية الكبيرة للدلالة على شدة ايمانهم • كما كان التواضع من أهم المزايا التي جاهد السلاطين للحصول عليها • وقد عبرت عن ذلك الكتابات الموجودة على الباب الخارجي لضريح كيكاوس الاول في سيواس •• اذ تقول : « هنا يرقد الحكام الذين بلغوا الثريا بيأس سهامهم ، وكلأوا التوأمين بسن رماحهم • فانظر الآن ان مصيرهم مثل مصير بنات نعش[٣١] وكيف حطمت أيادي الموت رماحهم وكسرت سهامهم •



الاسكفة الرخامية للسور الخارجي لجامع علاء الدين
في قونية (١٢١٩م-٦١٦هـ / ١٢٢٠م-٦١٧هـ)

كان لتأسيس الطريقة المولوية[٣٢] في قونيـة أثره الكبير في تركيز

(٣١) بنات نعش - مجموعة النجوم المعروفة بالدب الاكبر - - المترجمان •

(٣٢) أسس هذه الطريقة الصوفية المفكر الاسلامي المعروف جلال الدين الرومي (١٢٠٧-١٢٧٣م) - المترجمان •

العقيدة الدينية خاصة لتقاوم مذهب اللا ادرية الذي أثاره المغول • كما ساعد استعمال اللهجة التركية بديلا عن اللغة الفارسية والعربية الادبية في كتابة المؤلفات الدينية على تعميق الايمان بالدين الاسلامي ، دون ان يؤدى ذلك الى انتشار اى نوع من التعصب ضد المسيحيين واليهود ، اذ استمر الترحيب بالاطباء اليهود والعلماء اليونانيون والارمن في بلاط السلاجقة سواسية مع العلماء والشعراء المسلمين •

كما أدت روح الفروسية التي ابداها صلاح الدين والروح العلمية التي اتصف بها فردريك الثاني ملك (هوهن استوفن) الى رفع منزلة الحكام السلاجقة •

وعلى الرغم من الاختلاف الشاسع في طبائع المسلمين وغيرهم من الاقوام الاخرى وتمسك كل من الطرفين بمعتقداته ، فقد استجاب كل منهما لنداء العقل والاعجاب بالفنون • اذ كان كل منهما على استعداد لتقبل النظريات والافكار الحديثة والرغبة في مناقشة وتحليل كل فكرة غريبة طارئة • دون الالتفات فيما اذا كانت هذه الفكرة تتعارض مع أسس معتقداته أو ايمانه •

ويعتقد بان الافكار الغربية قد تسللت الى المجتمع السلجوقي عن طريق اليونانيين والارمن الذين اعتنقوا الاسلام ـ عندما استولى السلاجقة على الحكم ـ لا عن رغبة وانما من اجل الحفاظ على ممتلكاتهم ومراكزهم ولذا فقد استمروا بالتمسك ببعض تقاليدهم المسيحية ، وقد فعلوا ذلك بحماس شديد بحيث اندمجت ضمن التقاليد السلجوقية • وقد يعجب المرء ان السلاجقة لم يقعوا اطلاقا تحت تأثير المسيحية على الرغم من وجود

دولة مسيحية في أرمينيا الصغرى الى الشرق من السلطنة .. ووجـــود اليونانيين والصليبيين على حدودها الغربيـــة ، وبذلك العـدد العديد من المسيحيين الساكنين ضمن الدولة .

ظهرت احيانا بعض المؤثرات المسيحية وخاصة في النصف الاخير من القرن الثالث عشر ، اذ بدت تلك المؤثرات بشكل ملحوظ ، ممـــا دعت البطريق (اثينيوس) للظن بان كيكاوس الثاني قد اعتنق المسيحية سرا . وان هناك مهتدون آخرون بين اتباع المذهبين الاسماعيلي والبكتاشي ، وقد عبر نورالدين السنجي ، احد الزهاد الحلبيين عن شكه في صحة معتقدات سلاجقة آسيا الصغرى وشاركه في شكوكه هذه غيره من العلماء المسلمين . وقد ازداد اتهام السلاطين بالميول المسيحية في هذه الفترة ـ بحيث اتهـم رئيس القضاة ، غياث الدين كيخسرو وجها لوجه بالزندقة ، واتهامـــه اياه بانه كثير الاعجاب بطراز معيشة البيزنطيين ، فاغتاظ السلطان المهان وضرب القاضي دون تروى فقتله . وعندما اصاب الجفاف البلد بعد مقتل القاضي اعتبر الناس هذا القحط علامة الغضب الآلهي .. مما اجبر السلطان على الاعتراف بخطئه وأبدى الندم على تهوره .. وان لم يعلن ذلك عـلى رؤوس الاشهاد . وبالرغم من ذلك الخليط العجيب الذي احتواه مجتمع قونية فان مظهره بقى حتى النهاية تركيا صميما اصيلا ، كما بقى معتقـــده وايمانه اسلاميا متحمسا وكان في هذا ملائما لروح الشعب القاطن في تلك الارجـاء .

الفصل الرابع

الفكرة الدينية والدنيوية والآداب

أعجب المفكرون العرب بآراء كبار مفكري الهند واليونان القديم منذ أوائل تاريخهم • وتحت تأثير الفلاسفة القدماء نشأت مدرستان فكريتان في البلاد العربية • كانت احداهما اكثر ايجابية وفعالية وذات اسلوب عملي والاخرى ذات اتجاه تأملي فكري • وقد عرف متسبو الاولى وهم الاكثر تقدمية باسم المشائيين[1] ولم يؤثر هؤلاء تأثيرا كبيرا على تطور الثقافة السلجوقية بينما لعبت الجماعة الثانية أي التأمليون (الباطنيون)[2] دورا ملحوظا في صياغة المظهر التركي لهذا الاتجاه اذ اقتبس كثيرا من الآراء عن علماء ما وراء الطبيعة (العقليون) وكذلك عن العلماء الروحانيين

---

(١) المشائيون Walkers هم طلاب الفيلسوف اليوناني ارسطو طاليس الذين كانوا يدرسون في مدرسته المعروفة باللوقيوم Lyceum وسميت فلسفتهم بالمشائية نسبة الى المماشي المسقوفة Pereptaoi التي كان ارسطو طاليس يحب ان يسير فيها مع طلابه وهو يحاضرهم (قصة الحضارة ـ تأليف ول ديورانت ـ ترجمة محمد بدران الجزء ٢ من المجلد الثاني ص ٤٩٤) ـ المترجمان •

(٢) تعتقد الفرق الباطنية بان لكل ظاهر باطن ، واننا لا يمكن ان نفهم الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث الشريفة الا بالتأويل • ونتيجة لذلك فقد لعبت هذه الفرق الباطنية دورا كبيرا في الاحداث السياسية التي جرت بعد القرن الخامس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وأهم هذه الفرق هي : القرامطة والسبعية والاسماعيلية والمباركية والبابكية (الخرمية) ـ المترجمان

ليصيغوا منها الآثار الادبية والفلسفية التي ظهرت في العهد السلجوقي •
وظهر تأثير العقليين بصورة خاصة في القرن العاشر أي في العهد العباسي
عندما عرفت مؤلفات ارسطو التي استهوت بمناظراتها الجدلية الفكر العربي
المرهف • فاوجدت شكلا من اشكال الجدال الديني عرف باسم علم
الكلام • وقد كان من المفروض ان يستند علم الكلام هذا على فلسفة
ارسطو ، أو بعبارة اخرى ان يكون منطقيا في ادراكه وجدليا في شكله •
وكان من الطبيعي ان يرفض الروحانيون هذه الفكرة ، أولئك الذين
يرغبون في الوصول الى العقيدة الروحية عن طريق القلب • أما عن منشأ
التصوف ومصدر اللفظة ، فقد ظهر بعد التحقيق بانها نشأت عن امرأة[٣]
توعظ الناس بتعاليم الهية عاطفية مؤكدة بأن الله هو الحب ، مشجعة اتباعها
العديدين لينغمروا في غيبوبة روحية ، وجدوا فيها البهجة والراحة النفسية
مما دعاهم الى ارتداء رداء صوفي من نوع خاص عرف باسم « الصوف »
وكنتيجة لذلك لقب لابسو هذا النوع من الرداء بالمتصوفة • ولم يمض
وقت طويل حتى جمع هذا الرداء لابسيه في محفل خاص اتخذ له شكل
جماعة عرفت باسم المتصوفة • وقد تطرق الفردوسي في شاهنامته الى
التصوف •• على الرغم من عدم تأثيرها تأثيرا كبيرا على القصص التي
تضمنها الكتاب ، ولكن تخلل الكتاب العديد من الحكم الادبية والاخلاقية
المنتشرة هنا وهناك • • وقد تكونت هذه الحكم على شكل عقيدة فلسفية
ثابتة وأسس اخلاقية معينة • اذ ان كل قول منها كتب ليؤكد الايمان
بعظمة الله ، مؤكدا ان جوهر الله منتشر في العالمين المنظور وغير المنظور •

---

(٣) تقصد المؤلفة بهذه الامرأة (رابعة العدوية) شهيدة العشق الالهي ـ المترجمان •

وان محاولة الروح الانسانية للاتحاد مع هذا الجوهر هو الهدف الذي تسعى اليه لغرض التمتع بالسعادة الابدية • وقد بدت هذه العقيدة واضحة وضوحا تاما في الشاهنامة بصورة خاصة في الاجزاء التي تتحدث عن السلطان العظيم كيخسرو ، الذي قام وهو في اوج عظمته وقوته بالتواري نهائيا اشمئزازا من المباهج الدنيوية وغرورها • تلك القصة التي أدت الى تنازل قليج ارسلان الثاني عن عرشه لاولاده •

المراكز الادبية الشمالية

فاذا كانت بغداد مصدرا للافكار الفلسفية •• فقد ازدهرت الآداب والعلوم الاخرى كالرياضيات والطب والجغرافية والتاريخ في آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر وخراسان • اذ كونت كل منها مناطق ثقافية منفصلة •• بينما نافست (بخارى) عاصمة السامانيين مراكز المشرق الثقافية السابقة • ويعود سبب ذلك الى وجودها على ملتقى القوافل التي تربط العالم الشرقي بالعالم الغربي ، حاملة للمدينة علم الصين والعلم القديم ، مما أدى الى انعاش الافكار الخلاقة وقد كانت مكتبة السامانيين الملكية غنية بالكتب حتى ان ابن سينا ٣٧٠هـ ـ ٩٨٠م / ٤٢٩هـ ـ ١٠٣٧م وجد فيها جميع المصادر المطلوبة لبحوثه • ولم يمض وقت قليل حتى صارت مدينة (خيوى) عاصمة الخوارزميين مركزا وموطنا رائعا للعلماء ثم تبعتها كل من (بلخ) و (مرو) فازدهرت بالحياة الثقافية والعلمية • وانه لما يدعو الى العجب ان تجد مثل هذا النبوغ في العلم يزدهر ازدهار واسعا في هذه المدن النائية ، خاصة في القرنين العاشر والحادي عشر • وان ترى هذه النسبة الكبيرة لاناس من أواسط آسيا بين هذه المجموعة الكبيرة من العلماء الذين يعود اليهم الفضل في النهوض بالادب الفارسي نهوضا شاملا • وقد جذبت مدينة (مرو) التي اشتهرت بجمالها الكثير من الكتاب والعلماء على اختلاف انواعهم ، وهناك في تلك المدينة قام المواطن البلخي

الشاعر الكبير ابو الحسن شهيد باتناج أول ديوان له ، والذي أصبح فيما بعد نموذجا رائعا للادب للادب الفارسي •

وقد تربى الامراء السامانيون تحت تأثير ورعاية هذه التقاليد الادبية، فشغف (نوح الثاني) كما شغف اجداده من قبل بتشجيع الآداب وكان أول من فكر في خلق صيغة فارسية لكتاب الملوك الفهلوي ، وعهد بهذه المهمة الى شاعر البلاط ، وقبل أن يستطيع الشاعر ـ السيء الحظ ـ ان ينجز ترجمة بعض هذا الكتاب غضب عليه سيده وانهى حياته باعدامه •

ولكن السلطان نفسه لم يعش بعد شاعره كثيرا ، اذ سرعان ماقضت عليه وعلى اسرته الاسرة الغزنوية • وعلى الرغم من ان الفاتح الجديد كان منشغلا اغلب اوقاته بالامور السياسية والادارية فقد أعجبته الفكرة التي أوجدها سلفه الساساني ، فعهد بدوره الى شاعر بلاطه اكمال العمل • وبدأ المغتصب الغزي بالتحدث عن احياء هذا المشروع ولكنه لم يستطع تحقيقه في حياته اذ حمل هذه المهمة خلفه محمود (٣٨٧هـ ـ ٩٩٧ / ٤٢٩هـ ـ ١٠٣٦) في تحقيق هذا الحلم وذلك بأن عهد الامر الى اكبر شاعر فارسي في عصره والمشهور باسم (الفردوسي) ، وهو من مواطني مدينة (طوس) لينجز هذا العمل الضخم من سير الابطال والذي سيكشف عن أمجاد التراث الفهلوي ، فانجزها واضعا لها اسم الشاهنامة فاصبحت من أوسع الكتب انتشارا في فارس كلها ، واثرت تأثيرا واضحا بصورة خاصة على سلاجقة آسيا الصغرى ، اذ طورت أذواقهم وصقلت اذهانهم لفهم التاريخ ، كما أوجدت لهم اسسا ترتكز عليها اخلاقهم وتصرفاتهم • كما انعشت في نفوسهم النعرة القومية وقد اعجبت السلالة السلجوقية الرومية بالكتاب فوجدوا فيه مصدر الهام لاختيار الالقاب ، كما قام بعضهم باقتباس بعض الحكم لتحفر على أسوار مدينتي (قونية) و (سيواس) ليستطيع الجميع قراءتها والتمتع بمعانيها •

قضى الفردوسي خمسا وثلاثين سنة في البلاط الغزنوي وعندما تركه وجد نفسه مغبونا أمام الخدمات العظيمة التي أداها لهذا البلاط • فكتب نقدا لاذعا لراعيه الطاغية • ومهما يكن من أمر صحة ادعاء الشاعر أو عدم صحته ، فان النقد الذي وجهه الى السلطان نجح في الحط من قيمة محمود الغزنوي لا امام معاصريه فحسب بل امام الاجيال التي أعقبته وفي القرن الثاني عشر انتقم العالم (انوري الطوسي) لنفسه من خسة السلطان (سنجر) فقلد الفردوسي وكتب شعرا تهكميا في هجو سيده ، وقد تداول الناس هذه الاشعار واصابها النجاح حتى وصلت الى أيدي الشاعر (سوزاني) الذي كان يعيش في سمرقند فاعجب (سوزاني) بها وقرر أن يكتب أشعارا هزلية فنجح هو الآخر في ذلك مما دعى الى ان ينهوى الكثير من الشعراء الذين كانوا يسكنون شمال فارس ومنطقة ماوراء النهر انتهاج هذا النهج في كتابة الاشعار الهزلية • ومن الاشعار التي كانت أقل جرأة من تلك الاشعار هي التي خالط فيها الجد الهزل أو التي احتوت على حكم باسلوب فكاهي وقد بلغت أوجها في الاناضول وخاصة تلك التي كتبت باللغة التركية المحلية وكان من اشهر هذه المجموعات الشعرية الهزلية النقدية تلك المجموعة التي عرفت باسم « حكايات نصرالدين خوجا » والتي لا تزال تتمتع بشعبية واسعة حتى أيامنا هذه في تركيا الحديثة •

لقد أثر النشاط الثقافي الذي تقبلته القصور السامانية والغزنوية والخوارزمية تأثيرا كبيرا على السلاجقة منذ اللحظة التي استقروا فيها في سهول آموداريا السفلى •

وقد ارتبط السلاجقة بعلاقات مستمرة مع هؤلاء الحكام المثقفين ، ولا يغرب عن البال انه لا يمكننا ان نفرض بان السلاجقة جميعا كانوا أميين آنذاك • وحتى لو فرضنا ان الب ارسلان وكذلك سنجر كانا لايستطيعان القراءة والذي يبدو ان هذه الفرضية غير صحيحة فهناك دلائل على وجود

سلاجقة متعلمين منذ أوائل أيامهم • فقد استعمل نوع من الكتابة التركية في أواسط آسيا يعود تاريخها الى القرن السادس وربما كانت موجودة قبل هذا التاريخ وعلى كل حال ففي هذا الوقت ـ أي القرن السادس ـ كان للغز طبقة من الكتاب احترفوا هذه المهنة مستعملين لغتهم المحلية • وقد يستدعي احيانا (ايلك خاقان) أو الحاكم الاكبر للاورخون وحتى بعض خاناته أو رؤساء عشائره كاتبا ذو معرفة بالكتابة الفارسية والعربية بالاضافة الى لغته الاصلية ليملي عليه أمرا ما ، فمن هذا نستدل على وجود عدد من الناس الاكفاء الذين تتباين معرفتهم في تلك الفترة من الزمن بين مختلف العشائر والقبائل •

الكتابة الاورخونية

ان أقدم النماذج لكتابة التركية معروفة لدينا ، هي سلسلة من الكتابات الجنائزية بعضها ذات صبغة سياسية يعود عهدها الى اسرة « كول‌تبه »[٤] و « بلكه‌خان » اللتين حكمتا وادي الاورخون في منغوليا منذ حوالي القرن السادس حتى القرن الثامن بعد الميلاد • وعلى الرغم من ان اكتشافات هذه الكتابات قد تم في القرن الثامن عشر ، فلم يتم حل رموزها الا بعد مئة سنة عندما قام البروفيسور (وليم طومسون) من جامعة (كوبنهاكن) بمقارنة بعض الاحرف الموجودة فيها ببعض الاحرف الآرامية ، فاكتشف ان الابجدية الارخونية تتباين ـ الى حد ما ـ مع الصغدية أو الكتابة الفارسية الشرقية التي ظهرت في أوائل العصر الحاضر ، عندما كونت مقاطعة بخارى وسمرقند ما يعرف بالمملكة الصغدية • ووجد (طومسون) أيضا ان التركية المستعملة في هذه الكتابات منسقة على أسس هارمونية صوتية موسيقية والتي تمتاز بها اللغة التركية في أيامنا هذه •

---

(٤) ورد اسمها في المصادر التركية بصيغة كول تكين Gul Tekin وليس بصيغة كول تبة ، ونعتقد بان هذه هفوة من المؤلفة ـ المترجمان •

وربما يعود السبب في هذا الشكل من الكتابة الى ان السلاجقة كانوا لايزالون يتذكرون في أوائل أيامهم الشعر الحماسي والاغاني الشـعبية التي كان يتغنى بها اجدادهم[٥] • وباعتناقهم الاسلام وانتشارهم في بلاد فارس تخلوا عن الكثير من ثقافتهم الادبية القومية ، وفي هذا الوقت بدأوا بتبني الحروف العربية[٦] مستعملين اياها في وثائقهم الحكومية ومراسلاتهم الرسـمية كما استعملوها أيضا في كتبهم الدينية وفي الخطوط التي نقشوها على واجهات المباني التي انشأوها ومما لا شك فيه ان الثقافة والادب الفارسيين قـد أثرا تأثيرا قويا في حياتهم العامة وفي أفكارهم واذواقهم وفي نتاجهم الادبي ايضا•

نظام الملك

قام نظام الملك في القرن الحـادي عشر بتخطيط مستقبل السـلاجقة تخطيطا أوليا ، وقـد كان هذا الوزير سياسيا محنكا وكاتبا موهوبا • ولـد نظام الملك في (طوس) عـام (٤١٠هـ - ١٠١٩م) وعنـدما بلغ الثانية والاربعين من عمره رفعه (الب ارسـلان) الى منصب الوزارة وقد أثر شغفه باللغة الفارسية في زيادة اسـتعمالها في المراسـلات الرسـمية ، اذ استعملها نظام الملك في مراسـلاته مع سلاجقة الـروم وكذلك في تـأليف كتبه • وكان من أهم مؤلفاته هو رسالته في الحكم[٧] التي أنشأها ليساعد

---

(٥) Fuad Koprulu, Encylopaedia of Islam, Article on the Turkish Language .

(٦) عرف الاتـراك اربعـة أشكال من الحروف الكتابيـة في حياتهم الثقافية وهي : الكتابة الارخونية التي كانت معروفة لديهم خلال النصف الاول من القرن الثامن الميلادي والكتابة الاويغورية خلال النصف الثـاني من القرن المذكور والكتابة النسطورية التي ادخلها المبشرون المسـيحيون الى تلك الديار في القرن التاسع وأخيرا الكتابة العربية التي بدأ الاتراك باستعمالها بعد القرن العاشر الميلادي حينما اهتدوا الى الاسلام (نجيب عاصم / اورخون آبده‌لرى ص ٢٢) - المترجمان •

(٧) هو كتاب سياستنامة - المترجمان •

تلميذه (ملكشاه) فيما بعد في الحكم • وقد مزج فيها النصائح العملية مع الملاحظات العميقة في طبيعة الدولة • ولم يهتم نظام الملك لمنافسة الكتّاب له ، بل دعاهم وشجعهم على العمل في خدمة بلاط سيده ملكشاه ، ومن أشهر هؤلاء (عمر الخيام) الذي يعرف في المغرب بصورة خاصة كشاعر فقط • وقد قام فتز جرالد بترجمة رباعياته التي أصبحت لها شهرة عالمية واسعة على الرغم من ان معاصريه قد اعتبروها سخافات مسلية يطلقها نديم عبقري ليسلي بها اصدقاءه ، في عصر اهتم فيه العلمـــاء اهتماما كبيرا بعلم الرياضيات ، على الرغم من انها قد اعتبرت مقدمة جليلة لدراســة الشعر الرمزي • هذا بالاضافة الى ان مؤلفها قد صنف في عداد اشهر الرياضيين في عصره ، وقد اختاره نظام الملك لهـــذه الصفة فقـط للعمل في بلاط الب ارسلان ، حيث قدم للخيام مرصدا فلكيا كان من احدث المراصد الفلكية في حينها فساعدته حساباته وارصاداته الفلكية على تنقيح التقويم المستعمل في زمانه • فاستعمل تقويمه منذ بداية الســـنة الفارسية الجديدة لعـــام (٤٧٢هـ ـ ١٠٧٩م) ذلك التقويم الذي ما يزال يعرف حتى يومنا هـذا باسم التقويم (الجليلاني) أو (التقويم السلجوقي) •

كان لنظام الملك نظرة بعيدة تتخطى أسوار قصر سيده ، فقد حاول أن ينشر العلم في طول الامبراطورية وعرضها مشجعا ذوي القابليات أن يهبوا انفسهم لدراسة القانون والفقه • وقد دعاهم الى ذلك مرارا وتكرارا في نداآته العامة محاولا ترغيبهم بزيادة رواتب المعلمين وعمل على اجتذاب أشهر الناس في أيامه للعمـــل في المهن التعليميـــة مؤسسا لهـــم المكتبات لاستعمالها في بحوثهم غامرا اياهم بالقاب الشرف وفي غمرة اندفاعه في نشر العلم بين ابناء الشعب قام باعادة تنظيم المؤسسات الثقافية محولا الكثير من المعاهد الدينية التي كانت وقتئذ المراكز العلمية الوحيدة في الامبراطورية ، جاعلا اياها مدارس للدولة ، موســعا منـاهج الدراسة فيها توسيعا كبيرا ،

مصرا على أن يدفع للمعلمين المستخدمين في هذه المعاهد رواتب ثابتة وان تقوم الدولة بمساعدة الطلاب الفقراء على حسابها • ثم قام أخيرا بانشاء جامعة بغداد ، والتي سميت بـ « النظامية » واستنفر كبار علماء العالم الاسلامي ومن بينهم العالم التقي الورع (أبو حامد محمد الغزالي) للتدريس فيها • ومع ان فكرة المدرسة أو الجامعة قد جاءت بالاصل من الهند • حيث كان للبوذيين منذ زمن طويل مدارس فقهية على شكل جامعات مركزية ، فان الذي دفع نظام الملك لتشييد هذه الجامعة ، هو ما كان موجودا منها في بلاد ما وراء النهر أو (خراسان) حيث وجدت معاهد شبيهة بها وعلى نطاق ضيق منذ القرن العاشر • وعلى كل حال لم يكن الغزالي ذو رغبة كبيرة في التدريس ، بل كان منطلقا لوضع حد لممارسة الجدل (علم الكلام) الذي كان منتشرا انتشارا كبيرا بين مفكري ومثقفي بغداد • وقد عارض في هذه الممارسة ، اذ شعر ـ وهو مقتنع ـ بأن السبب وحده لا يمكنه ان يكشف عن الحقيقة الابدية ، بل ان العقيدة المجردة والايمان الثابت بالله هو الذي يكشف عن تلك الحقيقة • وهكذا تقاربت تعاليمه من تعاليم المتصوفة ، فلم يمض وقت طويل حتى شعر هذا الرجل المخلص النزيه بأن عليه ان يترك تدريس الفقه في جامعة النظامية لينصرف الى حياة النسك والتقشف ، لتمكنه ـ كما عبر هو نفسه عنها ـ من الانصراف الى العبادة والوعظ ، فتبعه الكثيرون من تلاميذه القدامى وبعض اتباعه ، فحذوا حذوه بل تطرفوا فيه فاصبحوا متصوفة ، مما زاد في أهمية هذه الحركة زيادة كبيرة •

جلال الدين الرومي

لم تجد الطريقة الصوفية في بغداد موطنا روحيا لها ، كما لم تجده في بلاد فارس حيث ظهر الكثير من زعمائها المشهورين ، بل وجدت لها الموطن الملائم في مدينة (قونية) تحت رعاية الصوفي الكبير المولى (جلال الدين

الرومي) مؤسس الطريقة المولانية أو المولوية للدراوشة الراقصين في حلقات الذكر ، حيث تبلورت فلسفتهم ووصلت تعاليمهم الى أوج عظمتها •

كان جلال‌الدين ذو الاصل الفارسي مولودا في مدينة (بلخ) عام ٦٠٤هـ - ١٢٠٧م وينحدر والده (بهاءالدين وليد) من عائلة غنية نبيلة يتصل نسبها بالخليفة ابي بكر عن طريق (علاءالدين بن طوقوش) شاه خوارزم • (٥٦٨هـ - ١١٩٠م/٦١٧هـ-١٢٢٠م) ومن نسل ابنة هذا الشاه المسماة (مليكة بنت جهان) ذلك النسب الذي أهل بهاءالدين ليحتل مركزا مرموقا في البلاط ولكن حب الاستقلال الذي كان يمتاز به سكان شمالي شرقي فارس هو الذي جعل هذا الشاب أن ينصرف الى دراسة الطب وان يصبح طبيبا في مدينته • وجعلته كفاءته شخصا مشهورا ، كما ان شفقته الغريزية جعلته محبوبا بين الناس ، فانتشرت شهرته خارج أسوار (بلخ) وكان لابد أن تصل أخباره الى دوائر البلاط بعد فترة قصيرة ، مما أثارت حسد وعداء الاقوياء في دوائر البلاط •

وفي عام (٦٠٩هـ - ١٢١٢م) أصبح في مركز لا يحسد عليه ، فقرر الهرب من موطنه مع عائلته ، فالتجأ أولا الى (ملاطية) ثم الى (ارزنجان) حيث سبقته شهرته الى هناك ، وفي بلاط سلاجقة الروم استقبل استقبالا حسنا حيثما ذهب ، ولم يلتفت البتة الى ان هذا الاستقبال الحسن قد أوغر صدر حاكم خوارزم القوي وأثار غضب الخليفة واتباعه اذ لم يرض الكثيرون عن افكاره الدينية ، بل افاض بهاءالدين من كرمه على الخاصة والعامة وبعد بضعة اشهر من وصوله ، عين رئيسا لجامعة لاراندا (كرامان) •

وفي الوقت الذي احتل فيه بهاءالدين منصب الرئاسة في لاراندا بدأ يصيب ابنه جلال‌الدين الغيبوبة والرؤيا • وكان لنباهة هذا الصبي الخارقة وحساسيته الشديدة تأثيرا كبيرا على والده الذي قرر ان يتولى هو بنفسه

مسؤولية تعليمه ، ولم تمض سنوات طويلة على وجود هذه العائلة في لاراندا ، حتى وصلت أخبار الاب والابن وقابلياتهما الخارقة اسماع سلطان قونية وبلاطه ، فلم يضع (علاءالدين كيقباذ) الوقت بل أسرع بدعوة هذه العائلة للسكنى في عاصمته ، فأعجب الناس بجلال‌الدين لشفقته وعلمه ، وزاد من شهرته زواجه عام (٦٢٤هـ - ١٢٢٦م) من (جانهار خاتون) ابنة (لالا شرف‌الدين السمرقندي) ذلك الزواج الـذي اريد به زيادة روابط هذه العائلة بآسيا الوسطى .

توفى بهاءالدين وليد في قونية عام (٦٢٩هـ - ١٢٣١م) فاصبح جلال‌الدين بموت ابيه حزينا وغير مستقر ولكي يخفف عن آلامه رحل جلال‌الدين الى حلب ودمشق ليتابع دراساته العلمية في هـذين المركزين العلميين الشهيرين ولم يفلح انهماكه في الدراسة من التخفيف عن قلقه ، فغمره شوق شديد للاستزادة من الدراسة الروحية ، فعاد الى قونية حيث عين استاذا في اربعة معاهد مختلفة ، وفي نفس الوقت أصبح تلميذا مجتهدا لاحد اتباع والده (السيد برهان‌الدين حسين التدموني) وبقي على هـذه الحالة لسنتين : يدرس الفلسفة والفقه على الطريقة التقليدية .

وذات يوم وصل قونية صوفي متجول اسـمه (شمس‌الدين محمد التبريزي) وكان يبدو شخصا فظـا لا يختلف الا قليـلا عن غيره من الدراوشة الفقراء الذين كانوا يمرون بالمدينة يوميا ، ويستعطون النـاس من باب الى باب تلك الطريقة التي اشتق منها اسـمهم (درويش) أي (عتبة الباب) ومما لا شك فيه ان شمس‌الدين قد سحر جلال‌الدين الذي بذل له العطاء والعطف والحب التـي كانت وقفـا على أبيه ، ولم يكتف جلال‌الدين باحلال هذا الناسك المتجول في قلبه وفي منزله ، بـل اعجب أيضا بطريقة هذا الغريب الفلسفية ، بل تبنى انغـامه في ترتيل غزليـاته وقصائده الصوفية .

لم يعجب اغلب سكان قونية بهذا الصوفي المتجول وتحول عـــدم اكتراثهم الى كراهية عندما ازدادت عجرفة هذا الصوفي المستندة على كونه آمنا بحماية جلال‌الدين ولم يلتفت جلال‌الدين الى رأي اتبـــاعه بل كان يقضي ايامه مع شمس‌الدين الذي لم يحاول بدوره اصلاح معاملته للناس ليجتذب قلوبهم اليه • فازداد كره الناس لهذا الصوفي الى درجة ادت الى نشوب الاضطرابات في المدينة •

وفي خضم هذه الاضطرابات والمظـــاهرات اختفى شمس‌الدين من المسرح ولا يشك انه قد قتل على أيدي الشعب الثـائر • ولم يعثر عـلى جثته بعد ذلك ، وعلى هذا فان ضريحه القائم في قونية لا يعتبر قبرا له بل نصبا تذكاريا ، وقد حدث اثناء المظاهرات ما هو أسوأ من هذا اذ قتل ابن جلال‌الدين الذي كان يحبه حبا شديدا عندما كان يدافع باخـــلاص عن ضيف أبيه ضد هجمات الجماهير •

دراويش المولوية

أغرق موت هذين الشخصين جلال‌الدين الرومي في كآبة ســوداء ودفعتــه هذه العزلة والصلاة المتواصلة بقلب كسير الى تأسـيس الطريقة المولوية تخليدا لذكرى هذين الفقيدين وقد وضع طراز ملابس اصحاب هذه الطريقة لتعبر عن الحزن ، فكانت مكونة من قبعـة بيضـاء طويلة من اللباد وثوب (رداء) فضفاض بدون اردان يلفه زنار وتلبس فوقـه سترة وفوقها عباءة فضفاضة • وكان القبول ضمن هذه الجماعة مفتوحا لجميع الرجال من ذوي الاخلاق الحسنة والذين باستطاعتهم اكمال فترة التجربة التي مدتها ألف ليلة وليلة متصلة ، والذين هم على استعداد ليكرســوا بقية حياتهم للجهاد باخلاص في سبيل اتحاد انفسهم مع الله • وكان يتم هذا عن طريق الرقص التصوفي على ايقاع موسيقي خاص تعزفه فرقة موسيقية مكونة من خمس آلات موسيقية وهي : ناي من القصب والسنطور والطبل والربابة

العربية • ولما كان ادخال الموسيقى الى الاحتفالات الدينية أمرا يتعارض والمعتقد الاسلامي ، فيحتمل ان استعمال الموسيقى من قبل جلال الدين كان ذو تأثير مسيحي • ومما لا شك فيه ان تأثير الموسيقى التي كان يسمعها وهو طفل صغير قد بقيت آثارها في نفسه وخاصة تلك الموسيقى التي كان يستعملها المسيحيون اليونانيون واللاتينيون اثناء اقامة شعائرهم الدينية وقد بقي تأثيرها في عقله الباطني رغما عن ان الموسيقى التي أوجدها جلال الدين لا علاقة البتة لانغامها بالموسيقى المسيحية أو حتى الموسيقى الغربية • بل كانت ايقاعا تركيا محضا ، منطلقا ساحرا يدخل النفس منسابا ولم يستطع أي مسلم أن يوجه لها النقد أو أن يعترض على استعمالها في الحفلات الدينية •

كان للرقص الذي يقوم به الدراوشة سحر يصيب الراقص والمشاهد على السواء ، أساسه حركات دائرية تشكل دوائر متعددة وتعبر عن انطلاق الصوفي عندما تمتلىء روحه بحب الاله الاعظم • فحالة الذهول التي تؤهل النفس لولوج الاجواء السماوية يمكن الوصول اليها عن طريق الحركة الدوامية السريعة • فيدور الراقص على كعب رجله الأيسر ناشرا ذراعه دافعا برأسه الى الخلف دون ان يخرج عن حلقة الراقصين ، أو يتماهل في دورانه ضمن المجموعة • وعندما ينسجم كل درويش مع ايقاع الموسيقى السحرية يزداد دورانه حول نفسه اكثر فاكثر متغنيا ببعض التعابير الدينية قائلا « لا اله الا الله » « يا لله » « اللهو » « يا عادل » « يا حي » « يا منتقم » وهكذا ••• الخ حتى يصل حالة الغيبوبة الكاملة فتسمو روحه •

وقد اعتقد الناس ان للدراوشة قوى روحية حصلوا عليها عن طريق السمو ، وكنتيجة لهذه العقيدة فقد رفض الدراويش الاعتراف بأية سلطة عليهم عدا سلطة الاله ورئيسهم • ولم يعترض السلطان على هذه العقيدة

بل قدم الى جلال‌الدين قطعة من الارض في قونية لينشيء عليها تكيته • وتسارع الكثير من الناس الاغنياء من جميع انحاء الاناضول ـ وكان قسم منهم من المتزوجين ـ للانضمام الى هذه الطريقة • فسرعان ما تم تشييد تكايا أخرى في طول آسيا الصغرى وعرضها ، على اراضي منحت لهم من قبل الاوقاف •

واعتبر جلال‌الدين وليا خلال حياته ، وقد أيد خلفه هذا الاعتقاد ، وخلفه من بعده أولاده واحفاده عدا مرة واحدة عندما اصبح تلميذه المخلص هشام‌الدين جلبي خليفة له بعد وفاة‌جلال‌الدين في رئاسة الطريقة ، اذ بعد وفاة هشام‌الدين ترأس الطريقة ابن جلال‌الدين (ولد)[8] المتوفى عام ٧١٢هـ ـ ١٣١٢م •

نتج عن ترأس (ولد) لهذه الطريقة المزيد من الاحترام ، لـذا لقب من قبل العامة باسم « سلطان ولد » وقد برزت قابلياته هـذا اللقب السامي ، اذ كان اداريا حازما وكاتبا شهيرا ، واشتهر كتابه « رباب نامة » الذي يحتوي على قصائد مثنوية رمزية ، فاصبح هذا الكتاب ذا شهرة تبلغ شهرة مؤلف أبيه[9] وقد أعجب الناس بالسلطان ولد لقصائده الشعرية الرائعة التي كتبها باللغة اليونانية الدارجة مستعملا حروفا عربية في كتابته•

وبعد وفاة (ولد) انتقلت زعامة الطريقة الى ورثته وبقيت كذلك الى ان تم الغاء الطريقة المولوية مع غيرها من الطرق الصوفية الاخرى بأمر من الغازي مصطفى كمال (عام ١٩٢٥م) فانتقلت البناية المنشأة في قونية

---

(٨) عرف ابن جلال الدين الرومي في تاريخ التصوف والادب التركي باسم (سلطان ولد) وله ديوان شعر مطبوع ـ المترجمان •

(٩) هو كتاب المثنوي الذي يحتوي على قصائد غزلية وصوفية باللغة الفارسية ، وقد تمت ترجمته الى اللغة التركية الحديثة مؤخرا بعنـوان الديوان الكبير ـ المترجمان •

والتي كانت مركزا رئيسيا للدراويش مع غيرها من أضرحة زعماء المولوية الى ادارة المتاحف التركية[١٠] • وبالاضافة الى تلك المجموعة من الشعر الوجداني ، فقد كانت أغلب مؤلفات جلال‌الدين الرئيسية تأخذ شكل محاضرات أو رسائل أو أقوال مأثورة تكون مزيجا من الافكار الدينية والفلسفية يعبر عنها ، عن طريق نظم الشعر وموجهة بصورة خاصة الى الدراويش المولويين • وكان من أعظم ما كتبه هو كتاب « المثنوي المعنوي » أو « المثنوي الروحي » وقد أوحى اليه بهذه الفكرة تلميذه المخلص هشام الدين الذي أملى عليه جلال‌الدين اغلب فصول هذا الكتاب مكملا اياه عشية يوم وفاته في ١٧ كانون الاول (عام ٦٧٢هـ ـ ١٢٧٣م) وقد اتبع في تأليفه الطريقة التقليدية المعروفة عند الشخصيات الدينية والروحية واحتوى متنه على اكثر من (٤٠) الف بيت من الشعر على شكل مثنويات مزدوجة وقد اضيفت عليها بعض الهوامش من تفسير القرآن ومقتبسات من الاحاديث النبوية ، زينت جميعها باضافة بعض النوادر والملح • وقد ذاعت شهرة هذه القصائد على نطاق واسع واحتلت مكانتها بين أشهر المؤلفات الصوفية • كما كان لها تأثيرها على القاريء في تأكيدها لنيل السعادة الابدية في العالم الآخر •

بدأ جلال الدين الكتابة باللغة التركية بعد الاحتلال المغولي مؤملا ان استعمال اللغة المحلية يساعد على استرداد الشعب لروحه المعنوية ويقوي من شعوره بالوحدة القومية ، وقد تبعه غيره من الكتاب فرحب السلطان

---

(١٠) ما زالت هذه البناية محجا للمتصوفة من أنحاء العالم ، وقد اهتمت الحكومة التركية بها فجعلت منها متحفا يحوي جميع مقتنيات مولانا جلال الدين الرومي واتباعه • واحياء لتراث هذا المفكر الاسلامي الكبير فقد وضعت دمى متحركة بهيئة الدراويش المولوية بملابسهم التقليدية ترقص بواسطة التيار الكهربائي فتعيد الى الاذهان حلقات الذكر المولوية ـ المترجمان •

بهذه البادرة على الرغم من ان اللغة التركية لم تستعمل بصورة رسمية في الدوائر والمؤسسات الحكومية الا على عهد القرامانيين[١١] الذين استقروا في قونية (عام ٧٢٨هـ - ١٣٢٧م) • وقد ادى هذا التبدل في استعمال اللغة الى قيام معارضة شديدة من قبل النساخ والكتاب مما اضطرت معه السلطة الى اعدام البعض منهم قبل ان تتمكن من تطبيق أمر استعمال اللغة التركية لغة رسمية • وقد اثر اختيار اللغة التركية كلغة رسمية على مدرسي المدارس مما اضطرهم الى تعليم تلاميذهم خطا جديدا يخالف الخط المستعمل آنذاك • ولغرض تطبيق الاصلاح اللغوي فعلا أمروا الشاعر التركماني (خوجة دهاني)[١٢] وهو مواطن من خراسان يتكلم نفس اللهجة التركية التي ينطق بها السلاجقة ليترجم الشاهنامة الى اللغة التركية• وقد نفذ الشاعر هذا الطلب بدرجة من الكمال بحيث يعتقد ان الشاعر قد رضع لبانة الشعر الحماسي القصصي منذ عهد الغزو الذي لا نملك له

---

(١١) هاجر قسم من التركمان القاطنين في آسيا الوسطى الى الاقسام الجنوبية من الاناضول خلال النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي بعد الاستيلاء المغولي لتلك الديار • وقد ورد في المصادر التاريخية بان عدد هؤلاء التركمان المهاجرين - تحت قيادة رشيد الدين وقرامان واولاد اشرف كان يبلغ عشرين الف خيمة • وقد تمكن اتباع قرامان بعدئذ من السيطرة على القبائل التركمانية المؤتلفة معها فتأسست بذلك دويلة قرامان اوغوللري = ابناء قرامان ، ودامت سيادة هذه الاسرة من النصف الثاني من القرن الثالث عشر حتى القرن السادس عشر ، ومن أشهر حكامهم قمر الدين وتيمور خان وكريم الدين ومحمود (اسلام انسيكلوبه ديسي / ٥٨:٣١٦-١٨) - المترجمان •

(١٢) من الشعراء الاتراك الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد هاجر من خراسان الى الاناضول ايام السلاجقة ، وهو من أوائل الشعراء الاتراك الذين بدأوا بنظم الشعر في غير الاغراض الدينية وكان دهاني ينظم قصائده باللهجة الاورغوزية الاناضولية (كاه سرى لاوند - تورك ادبياتي ص ٣٦) - المترجمان •

نصوصا الآن • فالوقفة التي وقفها الدراويش المولويون في قونية حفظت للاجيال التركية المقبلة الكثير من روحيتها ومعنويتها التي تمثل في حد ذاتها الشخصية السلجوقية •

الطغـــراء

لعل من أهم اسباب بقاء التأثير الادبي حيا خلال أيام الاحتلال المغولي وعهد الامراء الذي اعقبه هو جمال الخط السلجوقي وروعته ، وقد انتقل هذا الطراز الرائع من الخط او الكتابة الى الاجيال المتعاقبة محافظا عـــلى أصله البدوي ، فاصبح شعارا للغز ثم تطور تدريجيا الى ما يعرف بالطغراء أو (الرمز الخطي) للسلاطين العثمانيين الاتراك ، وحافظ على اصالة اسمه المعروف وهو الطغراء • ولعل اول من استعمل هذه الشارة او الرمز هو ملكشاه الفارسي اذ قام بتصميمه الشاعر والخطاط المعروف مولى الديـــن فخر الكتاب الذي خلف نظام الملك في الوزارة • لقد كان الشعار جميلا الى حد ان اتخذه اغلب الحكام المسلمون رمزا لهم • واول من تبعهم في ذلك مماليك مصر • وقد استحدثت في آسيا الصغرى وظيفـــة خاصة في البلاط عرفت باسم (طغرا چكمت)[١٣] أي (صـــانع الطغراء) والـــذي كان من مهام شاغل هذه الوظيفة احضار صحائف الورق القائمة الزاوية مع فراغ يترك في اعلى الصفحة حيث يقوم الخطاطون برسم الطغراء فيه وتستعمل هذه الاوراق في المراسلات الرسمية واصبحت الاوراق التي لا تحمل هذا الشعار لا تعتبر وثيقة رسمية نافذة المفعول ويختلف تصميم الطغراء باختلاف السلاطين •

حافظت الطغراء دوما على تصميمها الاساسي ذو الشكل الغريب حتى ظن بعض الناس انها تمثل ظلا لحصان يعدو ، بينـما يشـبهها الآخـرون

---

(١٣) الصحيح طغرا جكمك وليس (طغرا جكمت) كمـــا ذكرت المؤلفة ـ المترجمان •

بالطير • وقد رجح اللغويون التشبيه الثاني اذ ربطوا بين كلمة طغراء وطير خرافي ظهر رسمه في أوائل حكم الاتراك الخاقانيين • وأيدت هـــذه النظرية الى حد ما عبارة وردت في الشاهنامة تقول : « ان الخاقاني قـــدم هدية من هذا الطير الى بهرام جور » • مما دعى الاخصائيين في فن الدروع الشرقية الى الميل باعتبار هذه العبارة اشارة الى هذه العلاقة بين الطـــير والطغراء (١٤) وفيما اذا كان هذا صحيحا أم لا فقد بقيت الطغـــراء من أجمل الشعارات الخطية دون مثيل ، ومما يؤسف له انه لم يبق اي نموذج يعود تاريخه الى عهد السلاجقة في وقتنا الحاضر •



---

(١٤) يطلق الغربيون على الطغراء كلمة (Crest) التي تعني في نفس الوقت رأس الطير ـ المترجمان •

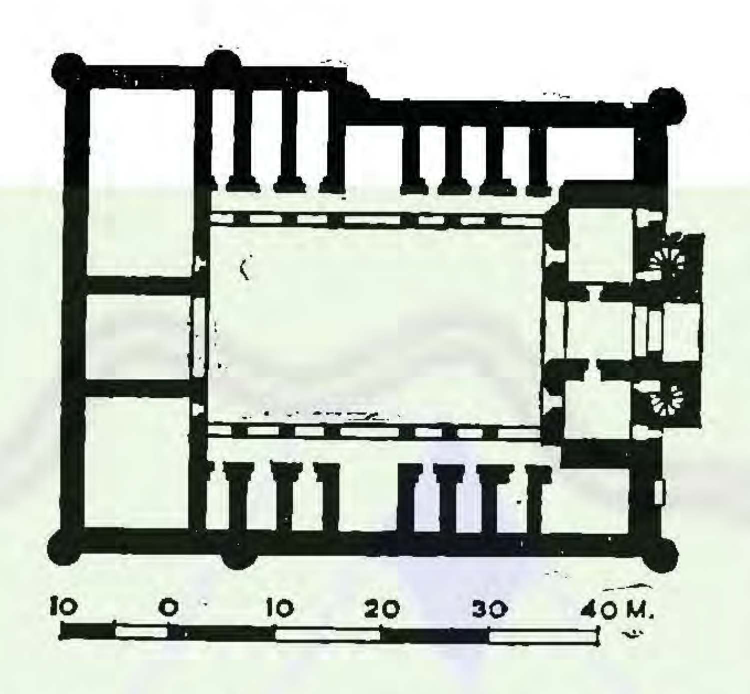
الفصل الخامس

فنون الحياة اليومية

من المهم جدا بحث نوعية وشخصية الانجازات الفنيـة السلجوقية ليتسنى لنا تثمين ابداعاتهم بصورة صحيحة والتي تمثل أخلد تراث خلفه السلاجقة للاجيال اللاحقة .

فمن فنونهم الصغرى يبدو لنا ان الفخار والخط كانا فنين رفيعين جدا ، ولكن أهمّ من ذلك كله (فن العمارة) ، والنحت والزخرفـة المحفورة اللذان هما جزء منه .

فالعمارات السلجوقية الفخمة المستقيمة الخطوط تكاد تكون كلاسيكية في مباشـرتها وعدم ترددها ، والثقة المستكينة التي توحي بهـا تزيد من دهشتنا عندما نذكر ان معظمها قد انشيء خلال السـنوات التي حـارب فيها السلاجقة للحفاظ على امبراطوريتهم . بينما انشيء البعض الاخر عندما سيطر المغول على السلطة وبدأ نجم السلاجقة بالافول . وحتى في مثل هذا الوقت بقيت السمة السلجوقية مسيطرة على العمارات التي انشأوها ، فنرى الوزير السلجوقي (فخر الدين حسين صاحب عطا) قام عام (٦٧٠هـ ـ ١٢٧١م) بتأسيس (كوك مدرسة) في سيواس ، بينما قام الوزير الاعظـم للمغول ايلخان الفارسي بانشاء (جيفته مدرسة) في المدينة نفسها .



مخطط گوك مدرسة في سيواس ٦٧٠هـ ـ ١٢٧١م

تنقسم اغلبية العمارات التي بقيت في آسيا الصغرى الى نوعين :

ان اكبر هذين النوعين هو الذي يشمل الجوامع والمعاهد الثقافية والخيرية والعديد من محطات القوافل التي وهبها السلاجقة لامبراطوريتهم. بينما يشمل النوع الثاني الاضرحة الفخمة التي انشأوها لتكون جوامع ومدافن لموتاهم في نفس الوقت ، وقد قاموا ايضا بانشاء الاستحكامات والحصون والقصور والعديد من الحمامات العامة والنوافير وبعض الجسور الرائعة التي لا يزال بعضها مستعملا حتى يومنا هذا .

يبدو الشكل العام لعمارات المجموعة الاولى متشابها الى حد يثير الدهشة ، اذ ان غالبيتها مستقيمة الخطوط ذات جدران كسيت اوجهها الخارجية بحجارة كبيرة منتظمة الشكل وضعت الواحدة فوق الاخرى بمهارة فائقة وهي ذات نوافذ ترتفع ارتفاعا عاليا عن مستوى الارض . وبينما نجد ان نوافذ الجوامع ليست صغيرة اكثر مما ينبغي ، فان نوافذ خانات القوافل تكاد لا تكبر الكوى الا بقليل . واهم ما يجلب النظر في

هذه المباني الفخمة الصارمة الشكل هو اهتمام مصمميها على ان يجعلوا لها بوابة واحدة فقط • واطروا حواشي هذه البوابات بمجموعة كبيرة من الاحجار المنحوتة والمزخرفة زخرفة معقدة متشابكة ، مرتبة بشكل غريب تومىء الى الناظر بانها تمثل بوابة لضريح فخم • وتنتشر احيانا هـــذه الزخارف على جوانب المدخل لتزين البناء على اوسع ما يمكن • وقد يزداد انتشار هذه الزخارف لتشمل الواجهة باسرها وحول النوافذ المرتفعة ايضا ، كما يبدو لنا ذلك واضحا في بناية (كوك مدرسة) في سيواس أو في بنايات (ديوريغي) وحتى في هذه الحالة فان الزخرفـــة تتركز حول المدخل الرئيسي وعلى مداخل المنائر التي تشكل جزء من زخارفها وكمثال عـلى ذلك (جيفته مدرسة) في ارضروم والمدرسة التي تحمل نفس الاســـم في سيواس فقد زينت المنائر بالطابوق المنسق على اشكال هندسية وبالكاشي المزجج والاطر الطابوقية •

الجامع والردهة الايوان

اقتبس الســلاجقة الصـفات الاساسية لفنهم المعماري من الساسانيين الذين ورثوها بدورهم عن حضارات قديمة وتشمل هـــذه المميزات على مخطط مربع أو محدد بخطوط مستقيمة وسـقف منبسط وردهة كبيرة ذات قوس على شكل حدوة حصان كبيرة في احدى نهايتي المخطط ، وهو قريب جدا من الردهة التي استعملت لاول مرة في قصر نبوخذ نصر البابلي في القرن الثامن قبل الميلاد والتي تعرف باسم « الايوان » ونجد ان هـــذه الردهة في الفن المعماري الفارسي ذات اجنحة تحتوي على غرف صـغيرة منسقة ومنظمة ، وتكوّن أربعة من هذه الاجنحة مربعا أو مستطيلا وفي وسطه دائرة مركزية • ونجد امثال هذه الردهة الايوان في العهود ما قبل الاسلامية في العديد من مقاطعات شمالي شرقي بلاد فارس وحتى في بلاد

ما وراء النهر وربما كان السلاجقة قد وجدوا هذا النوع من المخطط في تلك الانحاء • وعندما اهتدى السلاجقة الى الدين الاسلامي[١] اقتبسوا عن طريق العرب السمات الاساسية لفن عمارة المساجد ولم يتعارض هـذا الاقتباس مع الاسس الاصلية لنوعية البناء ذو الطراز الايواني الذي اعتادوا عليه • ففي بلاد ما بين النهرين اقتبس الاسلام شكل الردهة القائمة الزاوية المستوية السقف ذات الاعمدة المتعددة من قاعة الاستقبال الملكية (الاخمينية) التي اصبحت اساسا لشكل الجامع • ولم يقم المسلمون بتطوير أو تحسين هذا الطراز في الجوامع الى ان قاموا ببناء الجامع الكبير في دمشق (٨٨هـ-٩٧هـ/٧٠٦-٧١٥م)[٢] اذ انتقى المسلمون بعض الخصائص المميـزة من النماذج المسيحية كالمدخل الثلاثي الدائري والمحراب الثلاثي الاجنحـة الذى دمجه المسلمون فاصبح محرابا وسطيا واسعا • واصبح طراز الاجنحة والاعمدة التي تشرف على صحن مكشوف من المميزات الاساسية في عمـارة الجوامع •

تطوير الطراز المعماري

بعد قرن ونصف قام أحمد بن طولون بانشاء بناية ذات اعمدة متباينة وعلى شكل اقواس متعددة الطوابق في الجامع الذي بناه في القاهرة وسمى باسمه ولا يزال هذا الجامع يعتبر من اعظم أمجاد القاهرة • بينما حـافظ السلاجقة في آسيا الصغرى على شكل (الردهة الايوان) التي اصبحت

---

(١) اهتدت القبائل التركية ـ ومن ضمنها السلاجقة ـ الى الدين الاسلامي في أواخر القرن العاشر الميلادي ـ المترجمان •

(٢) Creswell, A Short Account of Early Muslim Architecture (London) , pp. 9, 15-16,80 .

معروفة في خراسان واضافوا عليها التصمم ذا الخطوط المستقيمة المأخوذ من العالمين القديم والاسلامي ، كما اضافوا اليها ايضا طراز ابن طولون في البناء الداخلي المتعدد الطوابق وأضيف العديد من الاقواس المرتكزة على الاعمدة الكبيرة التي يعود طرازها الى تاريخ قديم • وتشمل على اعمدة ذات مربعات مستطيلة أو اعمدة دائرية ، أو عقد مرتكزة مشتقة بصورة خاصة من تصاميم معقدة ذات اقواس متداخلة • ولم يكن طراز البناء هذا نتيجة عدم العناية أو الدقة ولا نتيجة نقص في مواد البناء الجيدة اذ ان شمال الاناضول كان غنيا بالمواد الانشائية الجيدة ، وهو ينبوع لا ينضب من الاخشاب الجيدة ، كما يحوى غرب الاناضول على مقالع من المرمر الممتاز الجيد ، ويحوى السهل على انواع حجر الكلس الصالح للبناء والطين الجيد الذي يستعمل في صناعة القاشاني والطابوق • كان السلاجقة مغتبطين جدا بالطراز الذي طوروه فحافظوا عليه ـ تقريبا ـ حتى النهاية • وقاموا بتنقيح وتحسين المعالم الدقيقة في البناء فقط وكنتيجة لهذا الحرص على الطراز المعماري السلجوقي نجد من الصعوبة جدا تحديد السنة التي انشيء فيها بناء أو عمارة ما على اساس طرازها فقط • فالاختلافات الرئيسة تبدو في زخرفة البناية وحتى هذه يعود اختلافها الى العوامل الجغرافية أو الى مزاج المعماري اكثر مما يعود الى تاريخ سنة بناءها •

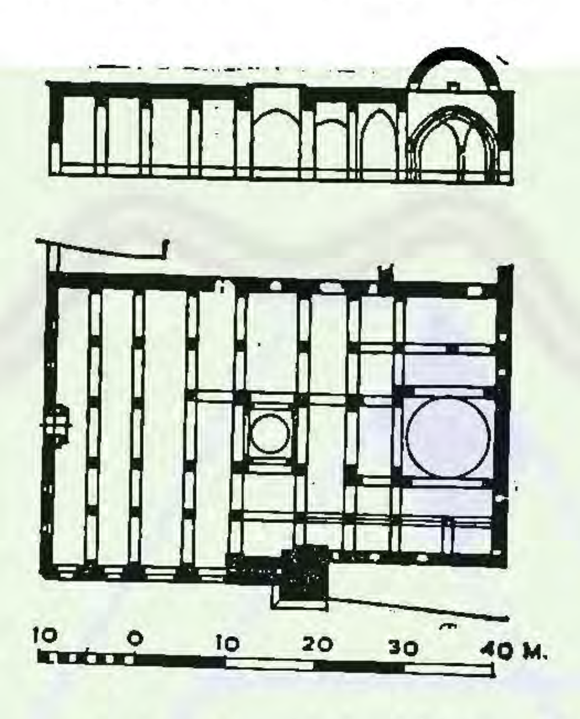
ونظرا لانقضاء الزمن بكل سرعة في الشرق دون ان يهتم به احد ، لذا نرى ان هذه الظاهرة لها علاقة وثيقة بقصر مدة الحكم السلجوقي فكان نتيجة لذلك عدم توقع ايجاد تطور محسوس في طراز العمارة • ولا يعود عدم التطور هذا الى بلادة العقلية السلجوقية بل كان نتيجة لاختيار هذا

النوع من البناء • يمكن ايجاد اقدم نماذج باقية لحد الآن للفن المعماري السلجوقي الذي يعد من احسن وابرز النماذج في بلاد فارس وضمن حدود بلاد السلاجقة العظام، ولما كان هذا ليس مدار بحثنا هذا فان الطراز الذي قام ببنائه سلاجقة الروم يختلف في كثير من النواحي عن تلك التي انشئت في بلاد فارس • فالعمارات الباقية في آسيا الصغرى يعود اغلبها الى القرن الثالث عشر والبعض منها الى القرن الثاني عشر والقليل جدا الى القرن الحادى عشر • ولا يعني هذا ان البنايات هذه من القرن الحادى عشر والثاني عشر هي من اعمال السلاجقة فقط ، لأن البعض منها قام ببنائه الامراء والنبلاء ، أو من الذين ينتسبون من بعيد الى السلاجقة الذين كانوا – على الرغم من اصلهم التركي – خصوما للسلاجقة • والمثال على ذلك ، العائلتان الارتوكيديتان[3] اللتان حكمتا بالتعاقب في وحوالي خربوط وملاطية ، والسلطوكيديين[4] الذين حكموا ارضروم

(٣) الارتقيون – نسبة الى آرتق من المماليك التركمان الذين خدموا ملكشاه السلجوقي ، وقد أمره ملكشاه بالتوجه مع فخر الدولة ابن جهير لاحتلال الموصل سنة ٤٧٧ هـ ، فحاصرا عدوهما شرف الدولة مسلم بن قريش ثم قام فخر الدولة بمفاوضة آرتق سرا لفك الحصار عنه لقاء مبلغ كبير •• ووافق آرتق على ذلك ، ثم التجأ الى تاج الدولة توتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق ودخل في خدمته وساعده كثيرا في فتوحاته فأقطعه توتش فلسطين واسس فيها دويلته • توفي آرتق عام ٤٨٤ للهجرة بعد أن خلف ولديه ايلغازي وسوقمان (قاموس الاعلام / ١ : ٨٢٢ واسلام انسيكلوبه ديسي ٨:٦١٧–٥٢) – المترجمان •

(٤) أسس امارة ابناء سلتوق سنة (١٠٨٠م) جد الامير سلتوق المدعو ابو القاسم • وقد دامت هذه الامارة حتى سنة (١٢٠١م) حين قضى عليها سلطان سلاجقة الاناضول ركن الدين سليمان شاه الثاني وعهد بولاية ارضروم الى أخيه مغيث الدين طغرل شاه (اسلام انسيكلوبه ديسي /٣٤٩/٣٣) – المترجمان •

والمنكجيكيين[٥] الـــذين كانوا يعيشـــون في (ديوريغـــي) وحواليها



مقطع ومخطط الجامع الكبير في قيصرى

شرع بانشائه عام ١١٣٥م ـ ٥٣٠هـ واكمل بناؤه عام ١٢٠٥م ـ ٦٠٢هـ

---

(٥) كان منكوجك غازي أحد القواد الذين ساهموا في معركة ملازكرد المشهورة لترجيح كفة ألب أرسلان السلجوقي ، وبعد هذه المعركة اقطعـه ألب أرسلان سنة ٤٦٤ هـ المثلث المتكون من مدن ارزنجان وكماه وقونية بعد فتحها • ولا نعرف شيئا عن تاريخ ميلاد أو وفاة منكوجك غازي الا ان المصادر التاريخية تحدثت عن ابنه اسحاق امير (كماه) الذي تولى الحكم في هذه الامارة سنة (١١١٨م) وبعد وفاته سنة (١١٤٢م) انقســـمت امارة المنكوجيكيين الى شعبتين : شعبة كماه ـ ارزنجان التي تولى الحكم فيها داود بن اسحاق بن منكوجك غازي • وشعبة ديوريغي التي حكمهـا سليمان بن اسحاق بن منكوجك غازي • حيث دامت الشعبة الاولى حتى سنة (١٢٢٨م) حيث قضى عليها السلاجقة وسادت الثانية حتى سـنة (١٢٧٧م) حـين قضى عليها المغول • (اسلام انسـيكلوبه ديسي / ٧٧:٧١٥ـ١٧) ـ المترجمان •

والدانيشمنديين[٦] الذين تظهر آثارهم في قيصري .

ومع ان البنايات التي قامت بانشاءها الاسر الحاكمة الصغير لا تختلف الا قليلا عن تلك التي انشأها السلاجقة العظام في بلاد فارس وبصورة خاصة من حيث نوع وطراز الزخارف ، فانها جميعا تسير على نفس الخط وكأنها فرع لذلك الاصل السلجوقي الفارسي . اما في آسيا الصغرى فمن السهولة ، وعن طريق الدراسات الدقيقة للزخارف المنحوتة ، الوقوف على الفن المعماري السلجوقي في حقبة استمرت حتى عام (٦٠٧هـ-١٢١٠م) أو (٦١٢هـ-١٢١٥م) أو ما يقاربها والتي يمكن مشاهدتها مثلا في (المدرسة الشفائية) أو (المدرسة الغيثية) في قيصري والتي تعرف عامة بـ « چيفته مدرسة » التي اسسها عام (٦٠٢هـ-١٢٠٥م) كيخسرو الاول على شرف اخته (سلجوقة) أو (كوهر نصيبي خاتون) ، فهذا الشكل من البناء يوضح تماما الطراز المتطور تطورا كاملا والذي يمكن ان نسميه طرازا كلاسيكيا للفن المعماري السلجوقي ، وبقي هذا الطراز حتى حوالي عام

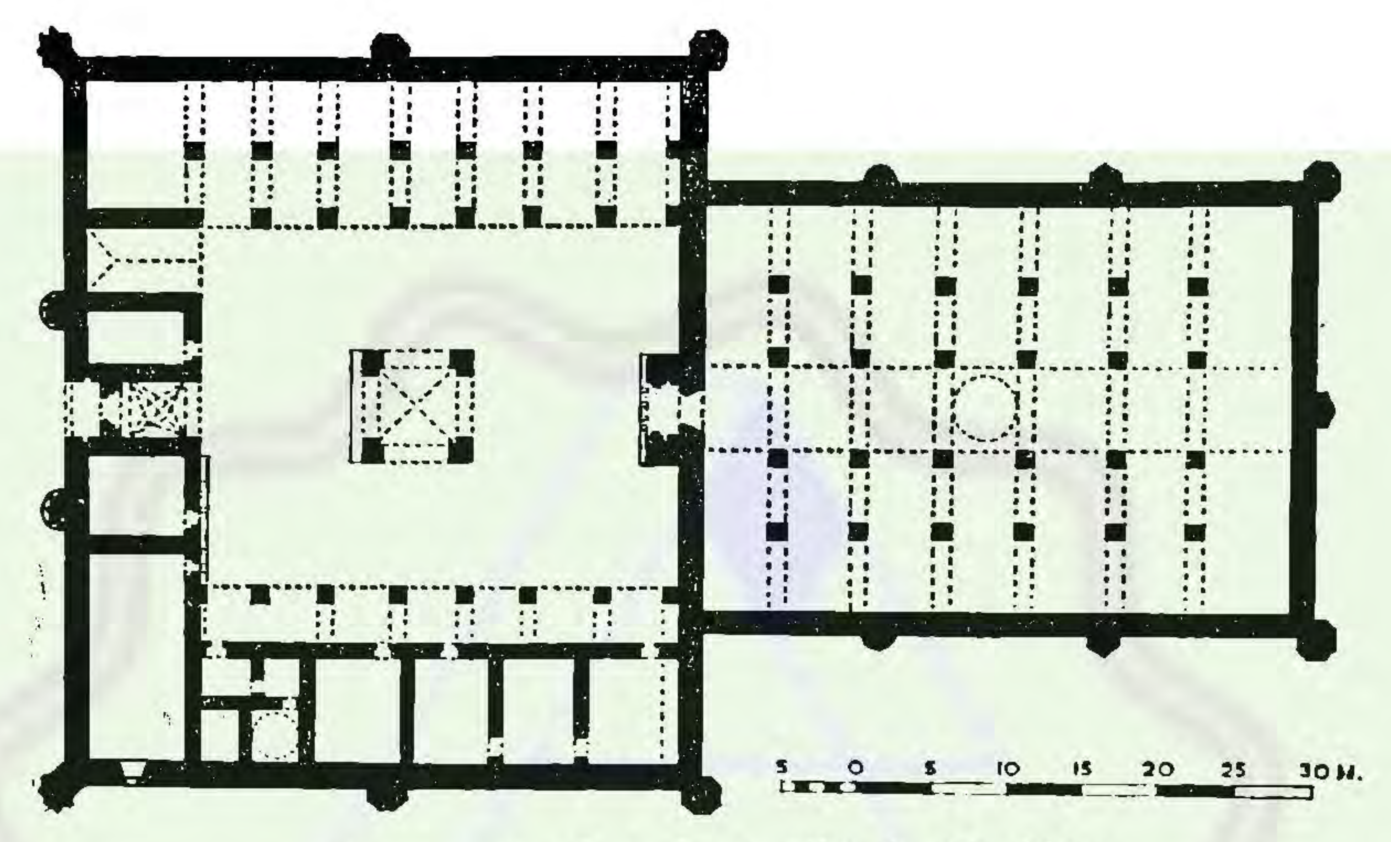
---

(٦) اسس هذه الامارة احد امراء السلطان ملكشاه السلجوقي المدعو احمد (وفي بعض المصادر محمد) الدانيشمندي الملقب بـ (تايلو) وهو خال السلطان سليمان قتلمش فاتح الاناضول . وفي سنة (١٠٧٢م) امر السلطان ملكشاه قائده المدعو (آرتق) الذي كان حاكما في اواسط الاناضول بالتوجه الى العراق فأصبح دانشمند تايلو حاكما لهذه المنطقة خلفا لارتق ، فقام بتوسيع رقعة سلطانه بفتح المدن المحيطة به ، بحيث شملت رقعة امارته مصبي حوضي نهري - يشيل ايرماق وقيزيل ايرماق وقلكيت . وفي سنتي ١٠٩٧م و ١١٠١م ساعد السلطان السلجوقي قليج ارسلان الاول على دحر القوات الصليبية التي كانت بقيادة بعض امراء أوربا . وقد توفي الامير دانيشمند تايلو سنة (١١٠٤م) ودامت هذه الامارة ما يقارب قرنا من الزمان ، حيث سقطت ملاطية سنة (١١٧٨م) بيد قليج ارسلان السلجوقي (اسلام انسيكلوبه ديسي / ٤٧٥:٢٦) - المترجمان .

(٦٤٨هـ-١٢٥٠م) ويضم بنايات بارزة كمستشفى دار الشفاء الذي يحوى ضريح (كيكاوس الاول) في سيواس (٦١٤هـ-١٢١٧م) وخانا السلطان اللذين يعود تاريخهما على التعاقب الى سنوات (٦٢٧هـ-١٢٢٩م) و (٦٢٨هـ-١٢٣٠م/٦٢٩هـ-١٢٣١م) وكذلك نافورة (هوندخاتون) في قيصري التي تشمل على جامع يضم ضريحها ومدرسة وحمام يعود تاريخها الى عامي (٦٣٥هـ-١٢٣٧م /٦٣٦هـ-١٢٣٨م) والعديد من امثالها • واخيرا فهناك طراز ذو شكل غريب استعمل في بنايات « اينجي منارهلى مدرسة » في قونية التي قام بتأسيسها الوزير صاحب عطا (عام ٦٥٦هـ-١٢٥٨م) وبناها (عبدالله بن كهلوك) أو (كوك مدرسة) في سيواس التي اوجدها نفس المحسن عام (٦٧٠هـ-١٢٧١م) • ويجب ان لا نخلط بين هـذا الطراز الغريب من تداخل الاشكال وبين النافورة المزدوجة الشهيرة الموجودة في المسجد الجامع ومستشفى الامراض العقلية في (ديوريغي) ، فان هذا الاخير قد انشىء عام (٦٢٦هـ-١٢٢٨م) من قبل (فاطمة طوران ملك) ابنة (فخر الدين بهرام شاه) وزوجها (احمد شاه) الحاكم المنكوجيكي لديوريغي ، وقد بناه لهما كورامشاه الجيلاني (الاخلاطي) واحمد بن ابراهيم التفليسي، وهو فريد في طراز بناءه ، ولعل احسن وصف له هو أنه زاه كثير الالوان والزينة اكثر من كونه عملا غريبا كثير الزخرفة •

الجامع

عمد السلاجقة في آسيا الصغرى لدى احتلالهم المدن بناء مسجد جامع فيها ، ونادرا ما قام السلاجقة باختيار كنيسة مسيحية لهذا الغرض • اذ انهم كانوا ضد التدخل في الشؤون الدينية للسكان المحليين ، بل عمدوا احيانا الى استعمال اكبر كنيسة في المدينة كجامع موقت حتى يتم انشاء

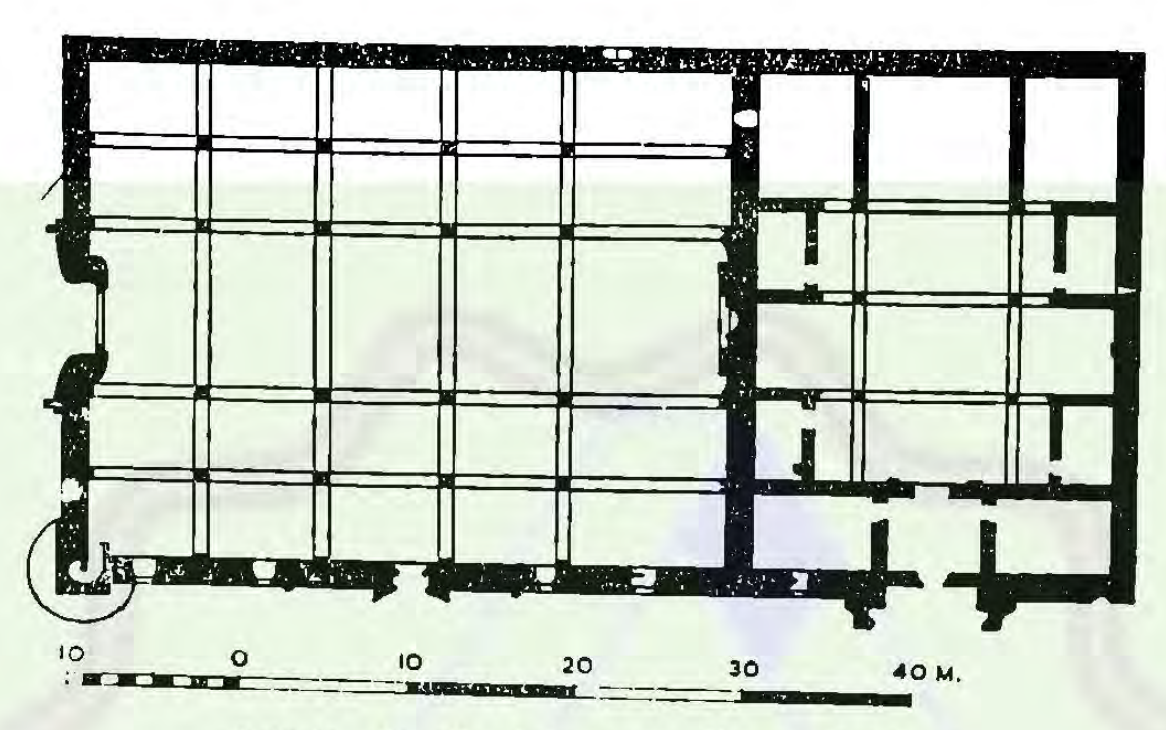


مخطط خان السلطان على طريق قيصري ـ سيواس

(١٢٣٠م ـ ٦٢٨هـ / ١٢٣١م ـ ٦٢٩ هـ)

المسجد الجامع ، ومن ثم تصبح الكنيسة بعد ذلك جامعا اضافيا • ويتم عادة اختيار موقع المسجد الجامع في احسن بقعة من المدينة •

اضطر جو آسيا الصغرى القاسي الى ان يتخلى السلاجقة عن طراز الجامع ذي الساحة الكبير واستعاضوا عنها باخرى داخلية ، ومع هذا فقد حافظوا على شكل الجامع المربع أو المستطيل في بداية عهدهم كما فعل الدانيشمنديون عام (٥٣٠هـ-١١٣٥م) عندما بنوا الجامع الكبير في (قيصري) والذي طوره السلاجقة بعد ذلك التاريخ بقليل ، وكذلك الجامع الكبير في ارضروم الذي انشأه السلطوكيديون عام (٥٧٥هـ-١١٢٩م) الذين تركوا فيه فسحة غير مسقفة في وسط الجامع ليستعيدوا بذلك ذكرى



مخطط الجامع الكبير ومستشفى الامراض العقلية

في ديوريغي (١٢٢٨م ـ ٦٢٦هـ)

الساحة المكشوفة التي ازيلت من هذا الطراز • ثم اضيفت في وقت متأخر نافورة للوضوء داخل الجامع تحت القبة المركزية لتكون بديلا عن تلك التي كانت توجد في مركز الساحة الخارجية • وقد اعتبر (كابريل)[٧] القبة المركزية الموجودة في المسجد الجامع بقيصري ، والتي تشبه القبة القديمة المنشأة امام المحراب لتدل على وسطه انها اضيفت اليه مؤخرا • والغرض منها هو تغطية الفسحة المركزية الموجودة اصلا ، وقد ذهب الى ابعد من ذلك حيث قال : بان ذلك قد حدث ايضا في مسجد (علاءالدين) في (نيغدة)[٨] عام (٦٢٠هـ-١٢٢٣م) ، وكذلك في جامع (هوند خاتون)

(٧) A. Gabriel, Monuments Turcs d'Antolie (Paris, 1934), P.34.

(٨) هي مدينة نيغدة الحالية التي تقع في القسم الجنوبي الشرقي من الاناضول الوسطى ـ المترجمان •

في قيصرى وحتى في جامع (اشرف اوغلو) في (باي شهر) المنشأ عام (٦٩٦هـ-١٢٩٦م / ٦٩٨هـ-١٢٩٨م) وكذلك في العديد من الجوامع الاخرى •

المثلثات التركية

كان للجوامع الاولى سقف منبسط مصنوع من التراب المرصوص المدقوق الذي يتخلل روافد السقف الخشبية، وقد حفرت فيه قنوات صغيرة لتصريف مياه الامطار والثلج • وقد استعملت القبة البيضوية عام (٦١٦هـ-١٢١٩م) عند بناء جامع (فرجونية) في (قونية) • وكانت القبة تبنى في العهود الاولى من الطابوق مغطاة من الخارج بالرصاص أو القاشاني المزجج وتسند من الداخل بمساند ثلاثية الشكل غريبة المنظر واستعمل هذا الطراز لأول مرة في (جيدشه رابى) قرب مشهد المنشأة عام (٤١٧هـ-١٠٢٦م) وتعتبر الآن نموذجا لطراز المساند في آسيا الصغرى وتعرف عامة باسم (المثلثات التركية) ويزين داخل القبة بالقاشاني أو الطابوق المزجج وتتقاطع هذه المثلثات التركية التي ترتكز عليها القبة بسلسلة من المثلثات لتشكل ستالاكتابتا أو ما يعرف بخلية النحل • وقد جاءتهم هذه الفكرة الزخرفية عن طريق الصناع الفرس من القرن الحادى عشر • وعن طريقها تمكن السلاجقة من تطوير وتغيير ليس المساند فحسب بل حتى المشكاة وظلالها • وقد ظهرت اشكال هذه المباني الاسلامية في اذربيجان في تاريخ أقدم من تاريخ وجودها في آسيا الصغرى ، ومثال ذلك منارة (سنيك كيل) في باطوم التي يعود تاريخها الى عام (٤٧٢هـ-١٠٧٩م) والتي لا شك انها لو اعيدت صناعتها من الحجر لاصبحت ذات علاقة وثيقة بالفن المعماري لسلاجقة الروم •

البنـــاء

كان الفن المعماري لسلاجقة الروم في اولا الامر يتشـــابه مع الفن المعماري لسلاجقة الفرس • واستمر هذا التشابه حتى القرن الثاني عشـر كما يبدو لنا ذلك واضحا في الجامع المنشأ في (دنيا شير) ومستشـــفى (دار الشفاء) في سيواس • اذ كسيت واجهة الجدران من الخارج بالصخر المنحوت ، بينما بنيت من الداخل بالطابوق • وكذلك ضريح السـلطان الذي له اقواس على الطراز الفارسي مع انه مكسو بالقاشاني على الطريقـة الاناضولية •

وقد لا نعجب من ذلك عندما نعلم ان احد المعماريين الذين كانـوا مسؤولين عن البناء هو (أحمد بن بزل) الذي قدم من (ماراندة) في بلاد فارس • ونجد في بعض الاحيان ان جدران العمارات الحجرية قد صنعت من الاحجار الصغيرة أو الاحجار الصلدة ثم كسيت بكتل كبيرة من الصخور المنحوتة الجميلة الشكل • ونجد ان العمارات السلجوقية التي وجـدت في الجامع الكبير في ارضروم والخان الكبير في (تركان) خالية من التزويق مما اظهر جمال البناء بازهى مظاهره • وقد اظهرت خشونة وصرامة طرز البناء هذا وزادت من جلال عظمته فبدأ رائعا ورهيبا وقد تم بناء هذا الطراز عن طريق اقامة غابة من الاعمدة والدعامات انشئت لتســـند الســقوف الحجرية المعقودة فوقها ، ونجد ان عدد الاعمدة في الجوامع القديمة قليلة نسبيا ، ومع هذا فقد استعمل في بناء جامع (علاءالدين) في قونية اثنان واربعون عمودا اثريا •

واستعمل تسعون منها في بناء الجامع الكبير في سيواس ، واخذ عدد

الاعمدة بالتناقص ابتداء من الجامع الكبير في ديوريغي • وعلى هـذا فان تعدد استعمال الاعمدة والاقواس سـاعدت اخيرا للتمييز بين الطرازين السلجوقي والعثماني •

المنـائر

تعد المنارة في يومنا هذا مظهرا بارزا من مظاهر الفن المعمـاري الاسلامي وعلى الاغلب لم تستعمل المنائر في جوامع الاناضول القديمة وكان يؤذن في الناس ـ كما اذن فيهم من قبل في البلاد العربيـة ـ من على اعلى سطح مجاور للجامع • ومع هذا فنجد ان جامع (ابيلكجي) في قونية[٩] وان كان قد انشيء بين عامي (٥٥٨هـ-١١٦٢م) و (٥٧٨هـ-١١٨٢م) فقد كان له منارة ، اذ دلت القاعدة الآجرية التي اكتشفت اثناء التنقيبـات على ذلك • ويحتمل ان جميع الجوامع المهمة التي بدىء بانشاءها في بداية القرن الثالث عشر قد بني معها ذلك البرج الاسلامي الرشيق الاهيف الذي عرف فيما بعد بالمنارة • وانشيء معه ايضا سقف مخروطي الشكل يمثـل الاضرحة السلجوقية ، مما ادى الى تغيير منظر فضاء بيزنطية اكثر مما غيره اي فن آخر من فنون العمارة الاسلامية • وقد لاقى المعماريون مشاكل عديدة لجعل المنارة رائعة الشكل مرتفعة ومزخرفة على قـدر الامكان ، واسندت جوانب قاعدتها بالآجر الغير المزجج باشكال هندسية كان الغرض منها دعم المنارة لتأخذ الارتفاع المطلوب ، وزينت اقسامها البارزة بقطع من القاشاني أو الآجر المزجج للمحافظة عليها من التآكل •

---

(٩) Behcet Unsal, Turkish Islamic Architecture (London, 1959) , P.17 .

التربـــة

لعل من أهم البنايات السلجوقية التي لا زالت باقية باعداد كبيرة حتى الآن هي العتبات أو (الاضرحة) السلجوقية والتي تعرف باسم (التربة) فهي من اجمل الاخيلة الشعرية السلجوقية التي تبرز مهارة الســلاجقة الفنية ، وقد يظن انها بدوية من اواسط آسيا اكثر من كونها اسلامية ، وتنقسم الى نوعين : الاول له برج اسطواني اقصر واعرض من ابــراج المقابر المدببة الرأس المنتشرة في شمال فارس ، وعلى الاغلب انه فرع من تلك ، وسقفه على شكل (قبة) عريضة واطئـة ، مثل قبة (سرجلى) في قيصري (٦٤٥هـ-١٢٤٧م / ٦٤٦هـ-١٢٤٨م) وتكسى القبة احيانا من الخارج بالقاشاني الفيروزي اللون • بينما نجد ان النوع الثاني دائرى أو متعدد الاضلاع أو مثمن الجوانب يرتكز على قاعدة مربعة على طريقـــة المثلثات التركية ومسقف ببرج مخروطي الشكل وتحمل عادة امثال هــذه الابراج كتابات ونقوش محفورة بطريقة فنية ماهرة جدا ومزينة في اغلب الاحيان بزخارف ومنحوتات وان كان اغلبها يترك بدون زخرفة فيــدو جمالها معتمدا على نوعية وتناسق فنها المعماري • تتكون اغلب هذه القباب والاضرحة من طابقين ، يستعمل الطابق الارضـــي منها كمقبرة تحوي الجثمان المسجى في تابوت من الحجر مزخرف ومزوق غالبا بالكشـــاني المزجج • ويؤدي درج مائل الى الطابق الاعلى ويحتوى على المصلى الذي فيه المحراب • وتغلب على نقوشه الكتابات ويأخذ سقفه شكل قبة عريضــة مسطحة • ومن اقدم هذه الاضرحة تلك التي انشأها الدانيشمنديون عــام

(٥٤١هـ-١١٤٦م) في آماسية ليدفنوا فيها (الخليفة غازي)[١٠] وتعتبر من اروع هذه الاضرحة ، كما نجد مجموعة من هذه الاضرحة الرائعة في مدينة (وان) و (طوقات) • ومن الاضرحة المزخرفة المنمقة تلك التي بنيت لمالك غازي في (قيرشهر) عام (٦٤٨هـ-١٢٥٠م) وضريح (دونر) في قيصرى عام (٦٧٥هـ-١٢٧٦م) وضريح (توروماتاى) في آماسيا عام (٦٧٨هـ-١٢٧٩م) وضريح (خداوند خاتون) في نيغده عام (٧١٢هـ - ١٣١٢م) •

زينت واجهات هذه الاضرحة بالمنحوتات الهندسية والبشرية وتعتبر من الروائع الاصيلة واغلب هذه المنحوتات تدل على مهارة بارزة راقية تبرهن على ان المعماريين السلاجقة كانوا مهرة في الاعمال الفنية المعمارية الدقيقة كمهارتهم في الاعمال الكبيرة ، وان فنهم رفيع خالد •

ادى التشابه الشديد بين السقوف المخروطية لهذه الاضرحة وبين ابراج الكنائس الارمنية الى نقاش حاد ، اذ يدعى (شتروفسكي Strzygowsky) واتباعه ان الاصل وجد في ارمينيا وقد ظهر اولا هناك في القرن الثامن ، ويحتمل وجوده هناك في القرن السادس ايضا ، وعلى كل حال فان شكل سقوف هذه الاضرحة توحي الى انها مأخوذة من خيام بدو آسيا الوسطى ومن خيام الاكراد ايضا•وتعتمد (جرترود بيل)[١١]

---

(١٠) هو الملك غازي الدانيشمندي الذي توفي عام (٥٢٨هـ - ١١٣٤م) ولم يكن يطلق عليه لقب (الخليفة) الذي كان قاصرا على خلفاء بغداد من العباسيين رغم سيطرة الامراء الاتراك وسلاطين السلاجقة ولا ندري من اين جاءت المؤلفة بهذا اللقب - المترجمان •

(١١) G. Bell, Amurath to Amurath (London, 1924). P. 353.

على هذه الخيم لاسناد هذه الفكرة والتي رأت امثالها مستعملة حتى زمنها في ضـــواحي ارضـــروم • ويشـــاركها الـــرأي الراهب رابراكوس (Rubruquis) مدللا على ذلك بالرسوم التي رسمها لهذه الخيام[١٢]• وقد كان معجبا بصورة خاصة بالتصاميم التي تبناها المغول بتغطيـــة سقوف خيامهم باللباد • وتعكس هذه النماذج الى حد ما شبه الاقواس التي كـــان يزين بها السلاجقة سقوف مبانيهم الحجرية مثل ضريح (تربة) جفت مدرسة في ارضروم أو قبة (دونر) في قيصري • وربما وجدت هذه الخيم في ازمنة موغلة بالقدم ، اذ احتوت الاكواخ الطينيـــة التي اســـتعملت في سمرقند كمساكن في القرن الخامس على نماذج شبيهة بهذه الخيام الدائرية، أو اكواخ القصب في هذه الحقبة من الزمن • وتتشابه هذه الخيام مع الخيام الحديثة على الرغم من ان سقوفها المدببة تعلوها صور رؤوس بشرية بدلا من ان تنتهي سقوفها بفتحة لتصريف الدخان[١٣] • واســـتمر استعمال نماذج هذه الاكواخ الطينية التي وجدت في سمرقند حتى الفتح الاسلامي• وربما كانت هي التي أوحت للمسيحيين شكل ابراج كنائسهم في ارمينيـــا وكذلك شكل الاضرحة السلجوقية وقباب مدافن مســـلمي خراســـان الاسطوانية المخروطية المدببة الرأس • فان كان هذا الرأي صـــحيحا ،

---

(١٢) Rubruquis, Travels in Tartary and China in 1253 Translated by de Bergern (The Hague, 1735) , chap. 2,p.6 ; drawings on pp. 7 ‘ 8 .

(١٣) Strelkoff, Survey of Persian Art, Vol. I (Oxford, 1931), pp. 450—2.

يشير مؤلف هذا الكتاب الى ان استعمال هذه الاكواخ الطينية كان منذ القرن الاول الميلادي ، بينما يعتبر خبراء متحف الارميتاج في لينغراد انه لم تستعمل أمثالها قبل القرن الخامس الميلادي •

فتكون قبور الفرس اقرب الى ان تكون المنبع الاصلي الذي اوحى للسلاجقة بهذا الشكل من البناء اكثر مما اوحى اليهم الشكلان الاخران • وعلى هذا يكون سلاجقة الروم قد استعملوا هذا النوع ليكون طرازا لمدافنهم وقد تأثر الارمن بصورة مباشرة بهذا الطراز الوافد من اواسط آسيا • فقد كان الاتصال بين آسيا الصغرى ومنطقة القفقاس في القرن الثالث عشر على اوثق ما يكون مما يدعو فنان كل بلد للتأثير على فناني البلد الآخر • ويبدو هذا التأثير المتبادل واضحا حتى في منطقة القرم وفي جرسون (Cherson) [(١٤)] حيث قام المعماريون المسيحيون باكساء واجهات جدران كنائسهم بالحجر المنحوث على الشكل الذي كان سائدا في الاناضول •

المدارس والمعاهد الثقافية

انشئت المعاهد الثقافية والخيرية في آسيا الصغرى على حساب مؤسسيها من العائلة المالكة أو غيرهم من المحسنين واتبع الجميع طرازا معماريا متشابها • فقد اقيمت هذه العمارات على شكل بناية قائمة الزوايا تتألف من الردهة الايوان واقواس على شكل حدوة الحصان يتجه احد هذه الاقواس نحو المدخل ، بينما تفضي الاقواس الثلاثة الاخرى الى الردهة التي على شكل ايوان والمقامة في مركز البناية ، وتتناثر الغرف الصغيرة في الفراغات الموجودة بينها • وقد انشيء البعض منها بطابقين في حالة اتخاذ البناية كمدرسة ، وقد يرتفع سقف الايوان الى سطح البناية بينما نجد ان البعض منها قد شيد فوقه غرف صغيرة ، وكمثال على ذلك (سرجلي مدرسة) في قونية عام ٦٤٠هـ-١٢٤٢م و (جيفتة مدرسة) في أرضروم عام ٦٥١هـ -

---

(١٤) هي مدينة كيراسون الحالية في تركيا والواقعة على البحر الاسود - المترجمان •

١٢٥٣م• ويتم عادة تسقيف هذه الردهات في مختلف المناطق بالنسبة الى حالة تلك المناطق بينما نجد ان الردهة المركزية تترك بدون سقف في المناطق الدافئة وتتمركز في وسطها نافورة المياه ويمتد حولها رواق كبير يعطى للبناية شكل اروقة متداخلة • وعندما تسقف البناية باكملها تضاء مداخلها بالعديد من النوافذ على شكل كوى في القبة المركزية • وتوجد غرف نوم التلاميذ عادة في الطابق الارضي ، وهي مجهزة بالمواقد وخزانـــات الملابس المبنيـــة في الجدران ـ كما يضم الطابق الارضي غرفا منعزلة لاستعمال موظفو المعهد وتحوى كذلك على قاعات للدراسة كما تستعمل الردهة الايوان للمحاضرات ولم تحتو مثل هذه البنايات على مطابخ بل كان يجلب الطعام من الخارج •

كان هذا الطراز من البناء عبارة عن تحوير طفيف لابنية ملاجـيء الايتام ودور العجزة أو مستشفيات المجانين • وقد تجاور مثل هذه المعاهد كما هو في (ديوريغي) الجامع ويعتبر جزء من المؤسسة ، وقد يلفت النظر هذا الازدواج الغريب ويعتقد انه ناتج عن تقليد أمر به الخليفـــة عمر بعد السرقة التي وقعت في بيت المال في قصر احد الولاة ، ولغـــرض الوقاية من السرقات التي قد تحدث في المستقبل اقتـرح ان يبنى القصـر مجاورا للجامع • ولما كان الجامع مملوءا بالناس ليلا ونهارا فيكون الناس خير ضمان لكنوزهم(١٥) • وعلى هذا وخلال القرنين التاليين اصـبح من المعتاد في العراق ، ان يبنى قصر الوالي في الجهة الجنوبية من الجامـــع المربع الشكل • وربما يعطينا هذا الشرح تفسيرا للطريقة التي اتبعت في مباني ديوريغي بعد انقضاء عدة قرون على ذلك، فنجد ان الجامع والمستشفى

(١٥) Creswell, A Short Account of Early Muslim Architect (London) , p.9 .

تحت سقف واحد •

خانات القوافل

نجد اروع فنون العمارة السلجوقية في منطقة الاناضول في الخرائب الخلابة لخانات القوافل العظيمة التي لا زالت تشير الى العديد من طرق التجارة القديمة ، تلك الطرق العامة التي كان لا ينقطع فيها سيل التجارة• وقد بنيت اغلب هذه المؤسسات خلال فترة التوسع العظيمة للتجارة التي اوجدها كيخسرو الاول وكيكاوس الاول وكيقاباذ الاول اي بين عامي (٦٠١هـ - ١٢٠٤م) و (٦٤٤هـ - ١٢٤٦م) • ومعنى هذا ان اغلبها يعود الى تلك الفترة الكلاسيكية ، وقد انشئت اعظم تلك الخانات التجارية بأمر من السلاطين ، فتمثل بذلك الطراز الامبراطوري المقتبس من عمارات العاصمة •

يكون الدخول الى جميع هذه الخانات دائما عن طريق بوابة رئيسة منفردة ، وقد يتبادر الى الذهن ان هذه الصفة المميزة مأخوذة عن مدخل الخيمة البدوية الوحيد ، ولكن من الارجح ا نااتخاذ القرار بجعل بوابة واحدة للعمارة ، انما كان للمحافظة عليها من الغزاة •

وقد اتخذت تدابير دفاعية لمثل هذه البنايات وذلك ببناء اسوار ضخمة حولها• وقد تم تقوية هذه الاسوار ببناء ابراج للمراقبة في زواياها• ونجد في بعضها ان لها ابراجا اضافية على جدارها الامامي ، ولبعضها الآخر عدة ابراج على اسوارها الاربعة • وتبنى هذه الاسوار عادة من الاحجار المنحوتة وتكسى اوجهها بالواح من الحجر المنحوت ، أو بالاحجار المقطوعة قطعا منتظما • وتستعمل في بناء بعض هذه الخانات الاحجار المنتزعة من

البنايات الاخرى ، بينما البعض الآخر تبنى باحجار حديثة القطع، وتختلف اشكال الابراج بعضها عن الآخر ولكنها بصورة عامة تكون مربعة الشكل قائمة الزوايا أو مستديرة واحيانا مثمنة الزوايا والجوانب • وتفتح لهـا نوافذ على شكل كوة في اعلى الاسـوار كاحتياط اضافي ضـد السـراق والمعتدين •

زينت بوابة المدخل بالعديد من النقوش الرائعة والصخور أو الاحجار المنحوتة ، وكان يبعث منظرها لدى المسافر المتعب على الراحة والاطمئنان • وعندما يعبر المسافر عتبة المدخل المؤدى الى بركة النافورة كما في (خان السلطان عـام ٦٢٧هـ-١٢٢٩م / ٦٢٨هـ-١٢٣٠م) يلقى نفسـه امـام الجامع الصغير الذي يحتل مركز المربع الوسطي لصـحن الخـان ، حيث يرتفع الجامع من على قاعدة على شكل اربعة اقواس محدبة مثل حـدوة الحصان ، وترتفع نهايته وكأنها معلقة في الفضاء ، يصل اليها درج مقوس يواجه مدخل البوابة •

ويبعث منظر احجار بناية الجامع الدقيقة الصنع المزخرفة زخرفة متشابهة على الاعتقاد بأنها مجموعة من أحجار كريمة باهضة الثمن ، ويقع الجامع احيانا في الخانات الاقل فخامة اما على يمين أسكفة البـاب أو فوقها مباشرة ، حيث يمكن الصعود اليه بسلم داخلي • وتنتشر على جانبي صحن الخان الغرف التي يستعملها حاجب الخان وموظفوه • وتقع خلفها المضاجع التي تمتد بينها الاروقة المسقفة أو المسالك المكشوفة وتتـاثر على أحـد جانبيها غرف النوم والراحة وعلى الجانب الآخر الحمامات والمقهى والمطابخ ومحلات ادامة القوافل وغرف المخازن • وتجهز غرف النوم عادة بالمدافيء

المحفورة في الجدران وخزانات الملابس والاسرة ، وتكون غرف النوم هذه - عادة - ذات طابقين أو تكون في الطابق العلوي فقط ، ويستعمل الطابق السفلي كمخازن اضافية أو زرائب للخيل ، وتوجد عادة في نهاية صحن الخان على الجهة المقابلة لبوابة المدخل تماما - واحيانا في الزاوية اليمنى منها - بوابة صغيرة تؤدي الى ردهة واسعة ذات اعمدة ودعامات منسقة بصفوف مستقيمة لتسند المماشي المتقاطعة ذات السقوف شبه المقوسة ، ويكون الممشى المركزي عادة افخمها ، اذ يحوي القبة المركزية التي تكون أما دائرية الشكل أو مخروطية ، نوافذها اشبه بالكوى وتنير الردهة شبابيك صغيرة تكون عادة في اعلى البناية ، وفي هذا المكان الهادىء المعتم تربض الحيوانات أمام مرابض حجرية ، وقد يغري شكلها على الظن بأنها تستعمل لنوم البغالة في اشهر الشتاء القارصة . وقد لا نستغرب ذلك .. اذ ان روعة شكلها تضاهي غرف المطاعم في جامعتي اوكسفورد وكمبرج . فقد جهز الخان الموجود في (تركان) بمطبخ ضخم لا يضاهيه أي مطبخ في ذلك الزمان في الغرب ، وله موقد كبير يضاهي تلك المواقد الموجودة في فونتفرو (Fontevrault) وفي كلاستوبري (Clastobury) ومن مظاهر البذخ في تركان ايضا ذلك الاصطبل ذي الاقواس الخاص بالابل المرتفع السقف وهو على شكل حدوة الحصان وذو سقف عال .

التحصينات

كان لاغلب المدن الاناضولية التي سقطت بأيدي السلاجقة تحصينات ضرورية متينة ، لذا لم يتجه المحتلون لبناء مثل هذه التحصينات بل عملوا على اصلاحها وتقويتها وكانوا يضيفون في أغلب الاحيان مساندا أو ابراجا لاسناد النقاط الضعيفة فيها . ولغرض التميز بين تلك الاضافات السلجوقية

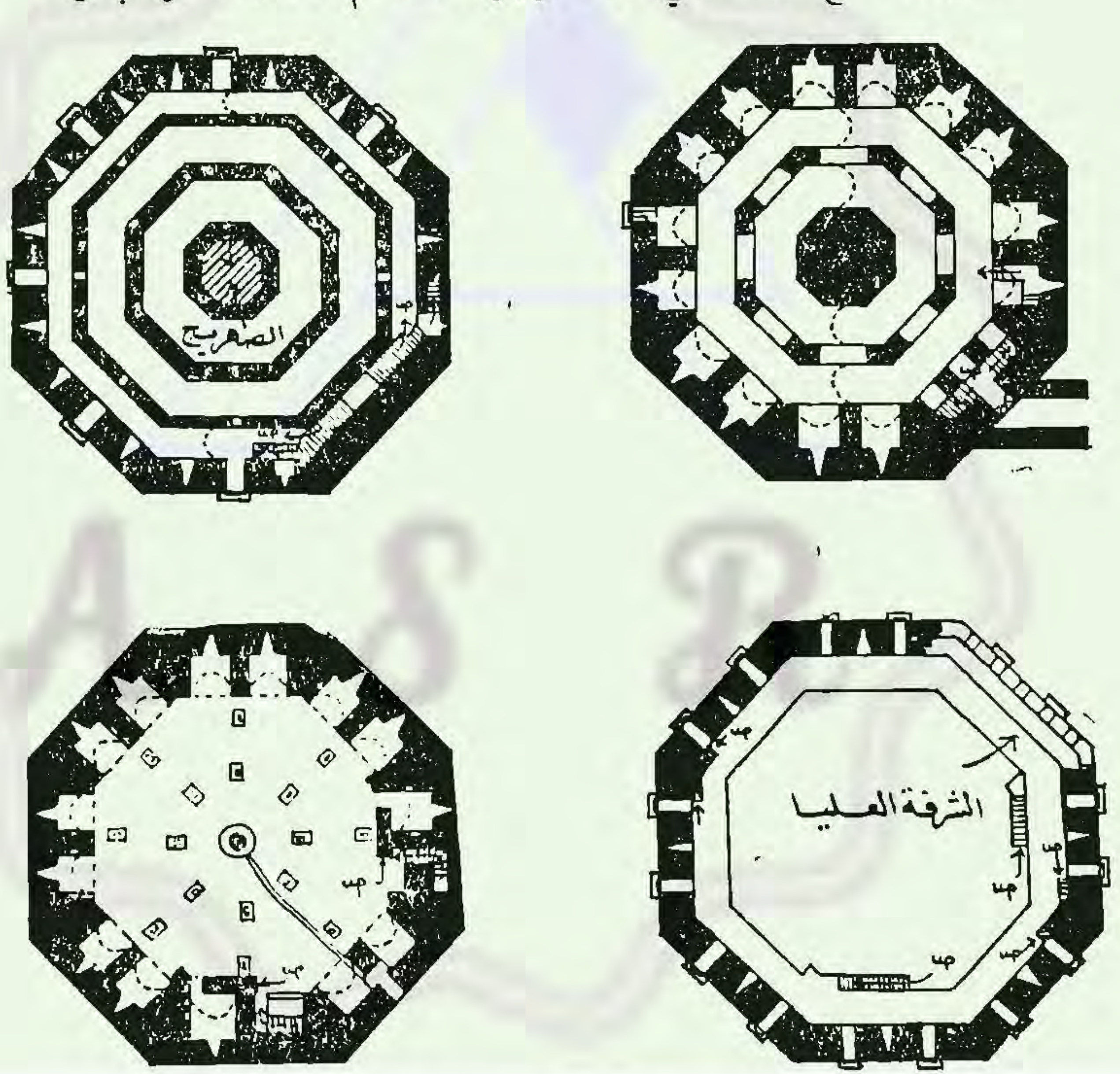
وماكان موجودا منها قبلا ، يتطلب الامر دراستها دراسة دقيقة ، خاصة وان اغلب الاقسام السلجوقية المضافة قام بنائها نفس السكان المحليين ـ وعلى الاغلب المسيحيون منهم ـ وهم نفس الصناع الذين استخدمهم البيزنطيون في بناء وسائل الدفاع هذه • ولكن الكتابات الاسلامية التي وضعها السلاجقة على مداخل التحصينات والتي اضافوها الى القلاع التي كانت موجودة قبلهم تؤكد بما لا يقبل الشك بان من قام بنائها كان مسلما ولم يكن يونانيا ،وتستثنى من ذلك أسوار مدينتي قونية وسيواس اذ انها بنيت جميعا أو أعيد بناؤها بأمر من كيقباذ الاول، وعلى كل حال فان آثارها قد اختفت الآن وتنحصر معرفتنا بالتحصينات السلجوقية فيما تبقى من آثار دار الاسلحة البحرية والتحصينات الارضية في (علائي) وجزء قليل مما بقي من الاسوار البحرية في سينوب • وقد توفر للسلاجقة خلال حروبهم



مقطع لقيزل كول (أو البرج الاحمر) في علائي (٦٢١هـ ـ ١٢٢٤م)

المتعددة الفرصة للاستفادة من مناعة الحصون السورية وهذا السبب هو الذي دعى كيقباذ الاول الى ان يضع معمارا سوريا ليكون مسؤولا عن الانشاآت

التي قام بها في (علائي) وفي (سينوب) فقد تطلبت وسائل الدفاع الجديدة في (علائي) توسيع التحصينات الموجودة وتطوير الميناء واحتاج التنظيم الجديد الى اقامة برج ضخم في زاوية الحصن عرف باسم « قيزيل قوله » أو « البرج الاحمر » وصمم للمحافظة على حوض السفن الكبير وليكون في نفس الوقت مركزا للاسوار الجديدة التي تتجه نحو التل المجاور ، الذي تتصل قمته مع القلعة التي كانت موجودة آنئذ ثم تنحدر نحـو البحر .



مخطط طوابق وسطح قيزل كول في علائي

وقد بني هذا البرج المثمن الجوانب الرائع المنظر حول دعـــامة مركزية استعملت اقسامه العليا كصهاريج للمياه ، وتضمن البرج خمسة طوابق ، الطابق الارضي والطابق الاول ، ثم الطابق الوسط المخفي والطابق العلوي الذي يضم الحائط ذا الابواب ، ثم يأتي السطح ذو الستائر المنسقة تنسيقا منظما والذي يختلف تصميم بعضه عن البعض الآخر ، وتم تقسيم الفراغ الموجود داخل الجدران الجديدة الى ستة اقسام •

كان من اهم اقسام هذا التصميم المسفن أو ما يعرف باسم (الترسانة) والذي انشيء في الجهة الجنوبية من الميناء وحفر له نفق في الجرف عـلى عمق (٢٦٢) قدم ، واحتوى عرضه البالغ (٣١٨) قدما على خمسة دهاليـز مسقفة ، وكان شكل هذه الاروقة التي كونت الدهـاليز كحدوة حصان ، صنعت سقوفها من الآجر ، وترك وسطها فارغا لتتمكن السفن الكبـيرة الاختفاء فيها وكذلك لامكان بناء سفن بصورة سرية داخل هذا الملجـأ • وبنيت الواجهة من أحجار منحوتة مربعة الشكل وضعت بعنـــاية دقيقة ، وكانت البناية متينة الصنع ولا زالت هذه الدهاليز تستعمل من قبل صيادي (علائي) حتى يومنا هذا[١٦] •

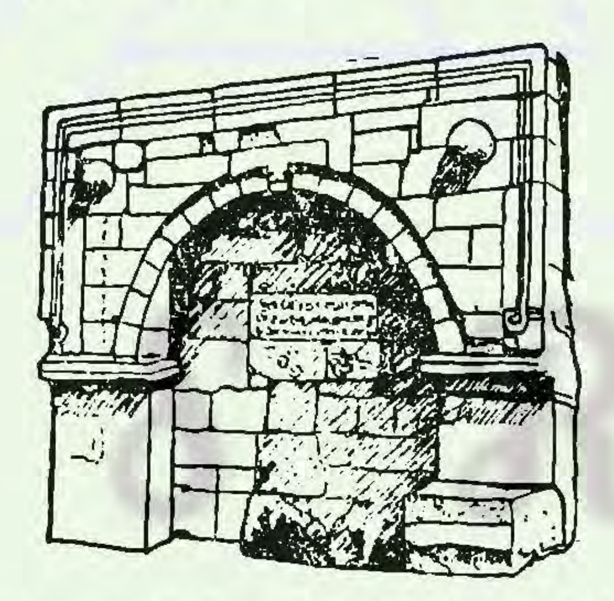
تخطيط المدن

بدأ شكل الضواحي التي انتشرت حول الميناء الذي أعيد بناؤه وحول المدن الجديدة مثل قونية وغيرها من المـدن التي انشـأها كيقبـاذ الاول في (قباد آباد) على ساحل بحيرة (باي شهر) وفي (قباد ايي) قرب قيصرى

---

(١٦) لغرض التوسع في هـذا الموضوع راجع كتـاب سيتون لويد وديـ• ستورم رايس تحت كلمة Alanya علائيـــــة - (Ala'iyya في
The British Institute of Archeology at Ankara, London, 1958).

اشبه بمدن آسيا الوسطى من مدن آسيا الصغرى • فقد احتلت مساحة شاسعة من الارض وفصلت بين بيوتها الاسواق وحدائق الزهور كما احتوت شوارعها قنوات المياه الجارية والنوافير والبرك ، كما انشيء بعض هذه النوافير على الجدران الخارجية للبنايات العامة المهمة ، لتعيد الى الاذهان طراز مداخل البيوت السلجوقية واعتبرت الحمامات العامة من ضرورات جميع المدن ، فجهزت بها وكانت أغلب هذه الحمامات مزدوجة قسم للرجال وآخر للنساء وعلى عكس الحمامات الرومانية ، فلم يكن للحمام التركي في العهد السلجوقي مغاطس بل استعيض عنها بالمياه الجارية التي تنصب من صنبور أو ميزاب مركب على النافورة يصب في حوض صغير •



نافورة في الجدار الخارجي لمدرسة صاحبي في قيصرى (١٢٦٧م - ٦٦٦هـ)

كان السوق يقام في المدن الصغيرة في الخان الكبير ، ومن الطريف ان نلاحظ ان البدستان[١٧] أو « المركز المسقف المقام على عمود وسطي في

---

(١٧) بدستان : هذه الكلمة محرفة عن بزازستان توبزستان (اسلام انسلكيوبهديسي /١٦/ ٤٤٠) ولكننا نعتقد بانها تحريف لكلمة بيزستان التركية (التي تعني بائع البيز - والبيز نسيج قطني شعبي

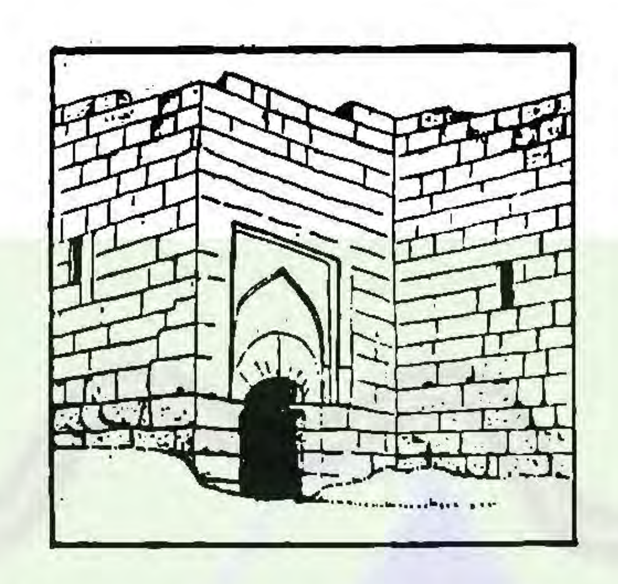
الاسواق أو الخانات » والذي كان يستعمل كحوانيت لبائعي المجوهرات قد تطور تدريجيا ، فأصبح نواة للخان الرئيس ، وعندما توسع السوق اكبر فاكبر ابتلع الخان وحل محله .

كشك حيدر بك

لا تزال الدور السلجوقية ماثلة للعيان في ضواحي قيصرى حيث انشئت هناك أول دار من هذا النوع وبني في عام ٦٤٩هـ - ١٢٥١م مايعرف الآن باسم (كشك حيدربك) ولعل فكرة انشاء مثل هذا النوع من الدور قد وصلت السلاجقة من آسيا الوسطى أو من بلاد ما بين النهرين على السواء .. فقد كان للامراء الصغديين أمثال هذه القلاع الريفية منذ القرن الثامن وما بعده ، بينما كان لدى الخلفاء الامويين امثال هذه المساكن الريفية في تاريخ اقدم من هذا . وكانت هذه القلاع الريفية في آسيا الوسطى تبنى كتلك المنشأة فيمدينة (مغ (Mug)) فياعلى حوض زرافش(Zaravsh) (١٨) ذات أسوار مبنية من الحجر المنحوت المربع الشكل وذات غرف داخلية مسقفة تسقيفا مقوس الشكل ذات شبابيك اشبه بالكوى ليس الا . بينما نجد ان كشك (حيدر بك) بني جميعه من الحجر المنحوت على قاعدة مربعة قائمة الزاوية ، يجاوره برج ملاصق له لغرض الدفاع عن الكشك

كان معروفا لدى الاوساط الشعبية حتى بداية القرن العشرين والحرب العالمية الاولى - ويؤيد ذلك ان هذا الأسم اطلق اول الامر على المحلات التي كانت تبيع هذا النسيج ثم عمت هذه التسمية بحيث شملت الاسواق عامة والاسواق المسقفة (قبالي جارشي) خاصة - المترجمان .

(١٨) A. L. Mongait, Arkeologia CCLP (Moscow,1955), p. 286.



كشك حيدر بك في قيصرى (١٢٥١م ـ ٦٤٩هـ)

ويحتوي هذا البرج على ردهة في المدخل ودرج حجري أنيق يؤدي الى اعلى البرج ، أما بقية البناية فهي ذات طابق واحد وردهة كبيرة وسطية تحيطها العديد من الغرف ذات السقوف المقوسة ونوافذ صغيرة الفتحات ، مما أدى الى ان تكون الغرف مظلمة ، ولا نجد الا القليل من التزويق والنقوش الموجودة على أسكفة الباب وفوق المدخل المؤدي الى صحن الدار وعلى حافات الدرج فقط .

القصـــور

لم يبق لنا عدا كشك حيدر بك شيء من آثار الدور السلجوقية لتلقي ضوءا على طريقة حياة الترك القدماء الذين اقتبسوا الحياة المدنية ، اذ لم يقم سلاطين السلاجقة بناء قصورهم حتى القرن الثالث عشر . وقد بني البعض منها بعيدا عن العاصمة في مواقع مختارة ، روعي فيها الناحية المناخية ، اذ قد خصص البعض منها لموسم الشتاء والبعض لآخر لموسم الصيف . وقد رأى بعض الباحثين في هذا الاختيار نوعا من الرغبة للعودة الى غريزة الترك المتأصلة فيهم في الهجرة الفصلية ، ولكننا اذا نظرنا الى

هذا الاختيار ككل فان هذه العادة ليست غريبة عن الترك • ولا يعرف الآن عن بعض القصور التي انشئت في سيواس الا اسماؤها فقط ، اما مواقع غيرها كتلك التي كانت في (علاى) وانطالية ، فلا يمكن تحديدها ، وقد تم حديثا اكتشاف بعض القصور التي بناها كيقباذ الاول واطلق عليها اسمه في (قباد اباد) و (قبادايي) بين عامي ٦١٧هـ-١٢٢٠م/٦٣٣هـ-١٢٣٥م •

وعلى الرغم من ان دقائق هذا الاكتشاف لم تنشر بعد فان مخطط هذه المساكن كبيرها وصغيرها في قباد اباد تدل على انها كانت مستقيمة الابعاد ، تحتوي على غرف تشرف على صحن البناء •

قلعة قونية

مما لا شك فيه ان العاصمة قونية تحوي احسن واروع ما بني في ذلك العهد ، ومما يؤسف له ان اغلب عماراتها قد زالت معالمها في ايامنا هذه ، وقد استطاع (لابورد) عند زيارته للمدينة عام (١٨٣٠) ان يضع تخطيطا مفصلا لقلعتها[١٩] • وبعد ثلاثين عاما كانت القلعة والاسوار الخارجية لا تزال ماثلة مما مكن (تكسييه) ان يضع دراسة عنها[٢٠] ، وقد وجد ان المدينة كانت على شكل مربع زواياه مدورة ، كما كانت لا تزال مئة وثمانية ابراج حجرية ضخمة يفصل بين الواحد والآخر (٤٦) قدما ماثلة على اسوارها ، أما مقاييس كل برج فقد كانت بعرض (٣٢) قدم وعمق (٢٦) قدم ، واقيمت القلعة في مركز المدينة تجاور الرابية التي يقف فوقها جامع علاءالدين وقصر السلطان • ونتيجة للدراسةالتي قام بها(هورت)[٢١]

(١٩) L. Laborde, Voyage en Asia Mineure (Paris,1838)

(٢٠) Ch. Texier, Asie Mineure (Paris, 1862) .

(٢١) C. Huart, 'Epigraphie Arabe d'Asia Mineure, Revue Semitique (Paris, 1894), pp. 151—65 .

للقلعة في نهاية القرن الماضي ، وجد ان شكل القلعة كان خماسيا ، وتحمل احدى كتاباتها تاريخ (٦١١هـ-١٢١٤م) واول جامع فيها بدأ بنائه السلطان مسعود (٥١٠هـ-١١١٦م / ٥٥١هـ-١١٥٦م) واكمل بناؤه على عهد قليج ارسلان الثاني الذي يعود تاريخ ضريحه الى عام (٥٨٤هـ-١١٨٨م) الذي بناه يوسف بن عبدالغفار الحوجاني • ثم عهد كيكاوس الاول عام ٦١٦هـ-١٢١٩م باعادة بناء هذا الجامع الى المعماري السوري (محمد بن قولان الدمشقي) الذي استخدم (أياس) الاتابكي كرئيس عمال له • والى هذا الضريح الذي يحوي الآن اجداث ثمانية سلاطين سلجوقيين جلب كيكاوس جثمان ابيه ليرقد فيه بعد ان ادى (ثيودور اللاسكاريسي) التحية الى عدوه المتوفى • وعلى كل فقد كان من نصيب اخى كيكاوس (كيقباذ الاول) اكمال الجامع في عام (٦١٧هـ-١٢٢٠م) والذي يحمل اسمه الآن• ويماثل تصميمه العام تلك الصروح الفخمة امثال الجامع الكبير في دمشق وجامع (ابن طولون) في القاهرة وجامع قرطبة وخاصة سقفه المسطح الذي كان يعتبر مثالا لمثل هذه الابنية القديمة •

انشيء البرجان الرئيسيان المقامان فوق المدخلين الرئيسيين لقلعة قونية على حساب (كيقباذ الاول) في عام (٦١٨هـ - ١٢٢١م) وقد سجلت اريحته هذه باحرف من ذهب ترصع بوابتي هذين المدخلين وطلب من نبلائه بان يحذوا حذوه وليقوموا بانشاء الابراج الاخرى ، فسجل اسماء القائمين بهذا العمل على أسوار القلعة •

وقد عبر عن غبطته في الشهنامة وكذلك في التماثيل البشرية الصغيرة وبعض المقتبسات المأخوذة من الشهنامة نفسها والتى نقشت احجار الاسوار

وفوق المدخلين الرئيسيين كانت هذه التماثيل المنحوتة ذات طراز هلّيني والبعض الآخر بيزنطي الطراز • وتضمنت هذه النقوش البـارزة تابوتا من حجر نقش عليه منظر يصور الاسكندر الكبير في (سيكروس) وقد حفظت هذه النقوش الآن في متحف المنحوتات في قونية كما تضمنت ايضا عشرين شكلا من اشكال الاسود والعديد من النسور المنحوتة والتي كان البعض منها ذا طابع سلجوقي ، اما ابدع ما فيها فهو ذلك الذي يمثل زوجين من (الجن المجنح) او (الملائكة المجنحة) وضع كل زوج منها فوق كـل مدخل وعلى الرغم من بقاء هذه المنحوتات حتى الآن ، فلم يبق شيء من النسور أو المداخل سوى بعض الاحجار من بناية القصر التي سقطت من البوابة الرئيسية التي يعتقدانها كانت قرب سور جامع علاء الدين •

الكشـــك

كان لا يزال هناك سرادق واحد في قونية عندما زارها (تكسييه) وكان يعرف باسم (الكشك) ثم حدثت هزة ارضية عام (١٩٠٦) دمرت القسم الاكبر منه وعندما قام (سار) بزيارة قونية[٢٢] بعد مدة قليلة من الزلزال كانت لا تزال بعض جدران هذا الكشك موجودة ، وكان يبلغ ارتفاع البعض منها (٥٠) قدما وبعرض (٣٢) قدما او ما يقارب من ذلك • ويستدل من الملاحظات التي سجلها (تاكسييه) و (سار) على ان الكشك كان في الاصل بناء ذو طابقين من الاجر المحلي ، ممزوجا بالكلس وقد ثبت الاجر بعضه مع البعض بالملاط على اسس كلسية ، واحتوى طابقه العلوى

---

(٢٢) F. Sarre, Der Kiosk Von Konya (Berlin, 1931) ; وكذلك كتاب Reise in Kleinasien (Berlin, 1896). للمؤلف نفسه •

على قاعة كبيرة ذات شرفة في احدى الجوانب ونوافذ على الجانب الآخر . وقد سلمت نافذتين من زلزال عام ١٩٠٦ في كل من الجدارين الجانبيين . وكانت النوافذ مثبتة ضمن اطواق على شكل حدوة حصان يحيطها طوق كبير من نفس الطراز ، ويحتوي على بعض النقوش والكتابات ويؤطر هذا القوس الباب المؤدي الى الشرفة ، واستدل (سار) من النقوش والكتابات الموجودة على انها تعود الى زمن قليج ارسلان الرابع وعلى هذا يعود تاريخ هذا الكشك الى الفترة الواقعة بين عامي (٦٤٤هـ - ١٢٤٦ / ٦٦٣هـ - ١٢٦٤م) اما سقف الكشك فقد كان منهارا في زمن سار ولكن (تاكسيه) كان قد القى نظرة فاحصة عليه واعجب بالنقوش المرسومة المتقنة الصنع والتي يبدو انها مشابهة لتلك الزخارف الموجودة في كنيسة (باراتينا) في بالرمو . وعندما قام (سار) بالتنقيب في هذه البناية كانت شرفتها قد سقطت ولم يبق منها الا الدعامات الساندة لها والتي كانت ترتفع نحوا من (٢٩) قدما عن الارض . وقد نحتت قاعدتها على شكل نتوآت ستالاكتايتية فبدأ شكلها اقرب الى خلية النحل كما تمكن من تتبع نقوشها المرسومة عليه ، ولا تزال النقوش التي كانت فوق باب الشرفة تحمل بعض القاشاني الازرق والابيض ، ولا تزال بعض قطع الجبس الذي يشبه الاجسام الهندسية والشخوص البشرية وبعض من القاشاني المزجج المصنوع على شكل نجمة باقيا في الاقسام العلوية من الجدران ، كما لا تزال بعض أقسام المساند المرمرية وتمثالا لاسد موضوع في مشكاة رابضا لحراسة هذه الخرائب ، وقد نقلت بعض قطع هذه الآثار الى متاحف قونية ولكن يصعب للناظر اليها ان يتذكر ان هذه التحف والسرادق الرائعة بنيت خلال سنوات خلت عندما كان المغول مسيطرين على شؤون السلاجقة ، وعندما كان كل

اخ من الاخوان الثلاثة[٢٣] يدير الحكم الثلاثي في البلاد ظاهريا ويسعى في الخفاء ليكون حاكما منفردا .

(٢٣) تقصد المؤلفة بالاخوان الثلاثة ابناء كيخسرو السلجوقي : عز الدين وركن الدين وعلاء الدين الذين حكموا قونية سوية (١٢٤٦ ـ ١٢٥٧) وعرف حكمهم بالحكم الثلاثي ـ المترجمان .

الفصل السادس

الفنون الصغرى

كان السلاجقة معجبين بفن الزخرفة ، وقد هدتهم غريزتهم الحكيمة بان يتحفظوا في استعمال هذا النوع من الفن ، ولكننا نجدهم لدى استعمالهم اياه في واجهات العمارات التي انشأوها قد احدثوا ثورة عميقة الجذور في النماذج التي ابدعوها ، ونزع فانوهم الى الاهتمام بالناحية الشكلية لفنهم اكثر من اهتمامهم بالناحية الانطباعية ، ولم تنقص هذه الغريزة من نوعيه ونتيجة انتاجهم بل منحت هذه الطريقة صفة خاصة لانتاجهم ، فعبرّ الاسلوب السلجوقي في النحت ـ بصرف النظر ان كان النحت على الحجر او الخشب او المرمر ـ عن علاقته الوثيقة بالزخرف المصنوع من الجبس والذي وجد قديما في كل من بلاد فارس وما بين النهرين ، كما ان الطريقة الاصيلة في صنعه تبدو اقرب الى فن النحت الخشبي منها الى النحت الحجري أو المرمري . ويبدو من الطريقة التي استعملت في هذا النحت انها تعكس اعجاب القبائل الآسيوية منذ القدم بانسجة السجف والستائر التي يعلقونها على الجدران[1] ، فهي التي دعتهم الى ان ينحتوا ويزخرفوا حواشي مداخل عماراتهم كما انهم وفي عهد لاحق

---

(١) T. Talbot Rice, The Scythians (London, 1937), pp. 61, 140—156 and 161.

وتحت التأثير الفارسي والبيزنطي قاموا بزخرفة حواشي نوافذهم وقمم جدران بناياتهم • فتبدو الاحجار المزخرفة المبنية على واجهة الجدران الملساء وكأنها بساط معلق على حائط اجرد • وقد كون التباين الناتج عن تجاور الاوجه الملساء مع الاوجه المزخرفة مظهرا مؤثرا يبين بصورة فعالة تأثير الضياء والظل للشمس المشرقة الصافية ، حيث تجعل الطبيعة الناظر يرتاح لهذا التباين ، ويبدو ان السلاجقة كانوا يرتاحون جدا لهذا المنظر ، فاتجهوا بمرور الزمن الى التشديد على تعميق وتجسيد نتوآت نحتهم • ففي قونية على عهد كيقباذ الاول وعندما كان التأثير السوري لا يزال واضحا ، فقد اتبعت هذه الطريقة وزيد عليها باستعمال بروزين للمرمر بدلا من تقليل حفره • ومثال ذلك رواق بوابة جامع علاء الدين في قونية ومدخل خان (زازادين) (٦٢٣هـ - ١٢٣٤م / ٦٣٣هـ - ١٢٣٥م) ولم يستعمل هذا الطراز بصورة واضحة بل وجد هنا وهناك في بلاد سلاجقة الروم • ثم ظهر مرة ثانية في قونية عام (٦٤٩هـ - ١٢٥١م) على مدخل (بيوك قراطاي مدرسة) ، وحتى عندما ظهرت الصفة المميزة السورية في النحت فقد بقي التأثير الفارسي هو المسيطر اكثر من السوري نفسه، كما كانت صفة آسيا هي البارزة اكثر من الطابع العربي ، وربما استعملت الزخارف على شكل رصائع واحزمة لاول مرة في واجهة بناية ضريح (اسماعيل الساماني) المتوفي عام ٢٩٥هـ - ٩٠٧م في مدينة بخارى •

المرحلة الاولى

تطورت الزخرفة السلجوقية عبر مراحل ثلاث : ففي المرحلة الاولى التي حوت البنايات المهمة امثال جامع علاء الدين في قونية وخانا (التي نابا) و (اونو) (بني كلاهما عام ٥٩٨هـ - ١٢٠١م) نجد ان المناطق المزخرفة

محددة بطابع رزين مكبوت غير منطلق ، وقد بدأ التأثير الفارسي في الطراز الستالاكتيتي في الزخرفة وكذلك في شكل المشكاة التي توضع على جانبي العديد من مداخل العمارات ، وكذلك الاتجاهات النحتية التي تبدو على شكل مروحة او على شكل ازهار • فقام السلاجقة بالجمع بين هـذين التصميمين الفارسيين مع غيرهما من التصاميم آخذين بنظر الاعتبار موقع مدنهم الجغرافي ، فانتخبوا ما يلائم لها من تصاميم مأخوذة من آسيا الوسطى أو من المصادر الغربية ، ويعود الى الاولى العديد من أشكال تمثل رأس الفأس أو الاشكال الثلاثية أو ذات زوايا أو أشكال هندسية ثلاثية أو طرازا يشبه ثنية حافة السلة • ويعود للثانية اصناف الاعمدة المربعة وتيجـان الاعمدة التي تنتصب على جانبيها المداخل السلجوقية والاشكال الحلزونية أو تلك التي تشبه المفاتيح الاغريقية أو أسنان الكلب • فكانت تصاميمهم في الحقبة الاولى لكل هذه الاتجاهات بسيطة ومجربة ، وما عدا تلك التي وجدت في قيصرى فقد كانت جميعها ذات تاج بسيط وحوت بعض الرصائع اشكالا نباتية وعلى الرغم من انها تبدو ذات تأثير فارسي فيمكن اعتبـارها ذات أصل صيني وظهرت كذلك الزخارف والنقوش على شكل الازهـار وأوراق الاشجار ومما لا شك فيه ان هـذا الطراز الذي كان من بين ما استعمله ابن طولون[٢] سرعان ما ظهر كطابع مميز لفن الزخرفـة السلجوقية واصبح مألوفا ايضا في الصناعات المعدنية في تلك الفترة ، وقد

---

(٢) أحمد بن طولون مؤسس السلالة الطولونية التركية في مصر ، وقد عينه الخليفة العباسي المعتز بالله سنة ٢٥٤ للهجرة واليا على مصـر واقطعه اياه ولخلفائه ، وقد تمكن ابن طولون بعدئذ من الاستيلاء على اقاليم الشام وحلب وانطاكية • ودامت سلطنة هذه السلالة حتى سنة ٢٩١ للهجرة (قاموس الاعلام / ٤ : ٣٠٢٥) ــ المترجمان •

شمل على سلسلة من التصاميم التي يعود اصلها الى البلاد القفقاسية[٣] حتى ان معمارا ومصمما قفقاسيا قد استخدم لهذا الغرض في مدينة (ديوريغي) •

المرحلة الثانية

استمرت المرحلة الكلاسيكية أو المرحلة الثانية للفن السلجوقي حوالي (٣٥) سنة ، ولكنها ضمت اعظم عماراتهم ومنها خان السلطان وكذلك خان قراطاي (٦٣٨هـ - ١٢٤٠م/٦٣٩هـ - ١٢٤١م) فقد اتسعت حجم الجدران المزخرفة فيها حتى اصبحت فيما بعد ذات أهمية بالغة وضرورية معا ، وانتجت منحوتاتهم الشبيهة بالاحزمة او المشابك زخارف متشابكة بعضها مع البعض دقيق الصنع متقنا اتقانا رائعا ، وتنافست ريازتها مع التصاميم ذات الاصل الفارسي واستعملوا في نفس الوقت مظهرا خفيفا من مظاهر الفن الفارسي عن طريق نحت بروزات دقيقة تمثل حيوانات او نبايات او ازهار مختلفة •

شكل يمثل الاسس الزخرفية الموجودة على ضريح الوزير صاحب عطا في قونية (١٢٨٢م - ٦٨١هـ)

فملأت المساحات الصغيرة والتي كانت تترك عادة على تلافيف النقوش الكبيرة البارزة ، وكانت قونية المركز الذي انتج الطراز الرئيسي لهذا الفن المعقد ، بينما نجد اصوله قد نشأ في سيواس وقيصريه •

---

(٣) Niko Tchubinashvili, Gruzinskaya rezba po derevu (Tbilisi - Tiflis) , 1958 .

وتمثل فترة الانتقال من المرحلة البدائية بصورة واضحة ذلك الزخرف الموجود في جامع علاء الدين في قونية الذي تطور الى الطراز الكلاسيكي الكامل ويمكن ملاحظة هذا النوع من الزخارف للمرحلة التطورية باجلى مظاهره على واجهة (بيوك قراطاى مدرسة) في قونية فنجد هنا وقار المرحلة البدائية منعكسا على قلب المقص الذي يتكون من مثلث مقام على رواق المدخل • وقد اتسعت فتحة المدخل لتسمح باضافة قناطر مقوسة مدببة على شكل خلية النحل ذات طابع سلجوقي ، بينما بدت انصاف الاعمدة المربعة الجانبية وتيجانها ذات طابع كلاسيكي ولغرض الزخرفة فقط ، اذ ان فناني السلاجقة لم يلاحظوا في اغلب الاحيان التأثير المعماري لهذه الاضافات بل كانوا يستعملونها لغرض التشويق او لغرض زيادة تفخيم طابع البناء ذاته ، فنجد على بوابة (قراطاى مدرسة) ان تناسق الزخرفة الموجودة في القاعدة تتنافر مع ثلاثة نقوش للرصائع المنحوتة في اعلى البناية ، وكانت هذه الطريقة من مميزات هذا الطراز من النحت وقد تؤدي احيانا الى تناقض بيّن في هياكل الابنية • وقد راجع بعض الاخصائيين وجود هذا النوع من النحت في البنايات السلجوقية الى تأثير صناعة التعدين البيزنطية بينما اشار غيرهم الى كونها نتيجة للتأثير البابلي في زخرفة واجهات العمارات المزدانة بالالواح الحجرية المزججة •

ولعل اقرب ايضاح لوجود مثل هذه النقوش البارزة هي تلك الملاحظة التي ابداها (آرتين باشا)(٤) بان الشعارات القديمة التي كانت مستعملة في المشرق قد ظهرت على دروع رؤساء القبائل والامراء المسلمين ، وعندما

---

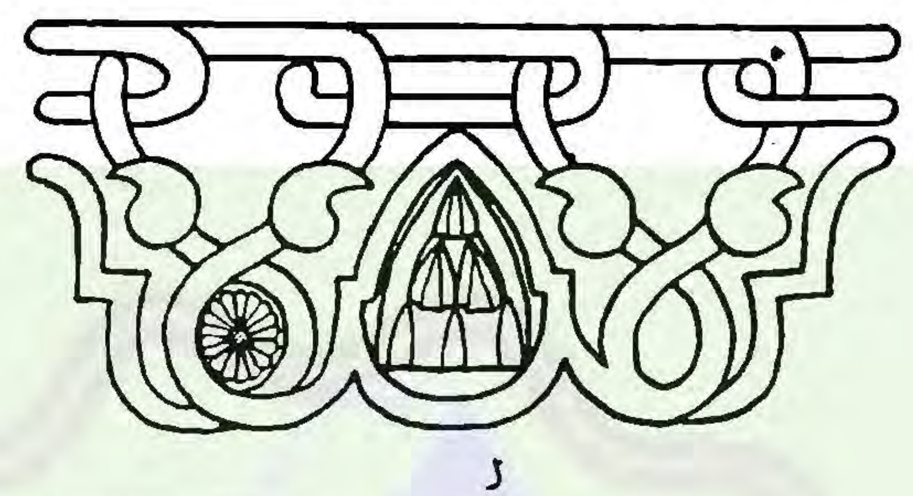
(٤) Artin Pacha, Contribution a l'etude du blazon en Orient (London, 1902), p. 43.

أصبحت هذه النقوش مظهرا من مظاهر الشارات الشخصية او التي عرفت بعدئذ بالطغراء على أبواب ومداخل دور هؤلاء الامراء والرؤساء بدت هذه الشعارات تظهر على شكل دائري حول حافة الدرقات حيث رصعت بمثل هذه النقوش البارزة ، فان صح هذا القول فقد تؤدي بنا الدراسة الدقيقة لاصول هذه النقوش البارزة الى الكشف عن انها منقولة عن شعارات خاصة بالدروع والاسلحة كانت تستعمل قديما .

يعود تاريخ بوابة (سرجهلى مدرسة) في قونية (٦٤٠هـ - ١٢٣٢م) الى حوالي نفس التاريخ الذي تعود اليه (قراطاي مدرسة) بينما نجد ان التأثير الشرقي فيها اكثر وضوحا وقد لا نستغرب ذلك اذا عرفنا ان احد معماريها المعروف باسم (محمد) وعرف كذلك باسم (عثمان بن محمد) قد نقش اسمه على العمارة واضاف اليه انه من (طوس) .

المرحلة الثالثة

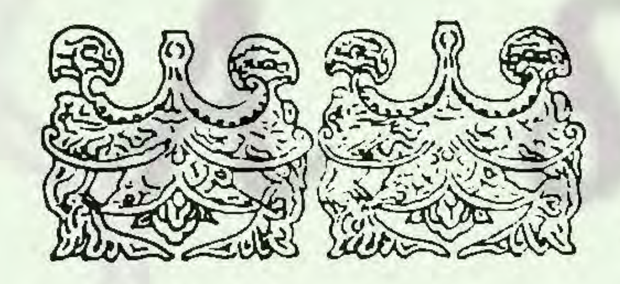
تمثل المرحلة الثالثة والاخيرة في بوابة (صاحب عطا) أو جامع (لارنده) في قونية (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) واعمال (عبدالله بن كلوك) وفي (جيفته مدرسة) في سيواس (٦٧٠هـ - ١٢٧١م) تلك التي امتازت بالمشكاة ذي الطراز الستالاكتيتي اكثر من شكلها المسطح وان تغلب عليها الشكل الدائري الحلقي وكذلك صناعة القاشاني المزجج ذي الدقة المتناهية في النحت ، والتي عرفت بالطراز (الشراعي) ويعود تاريخ الزخارف النحتية في الجامع الكبير ومستشفى الامراض العقلية في (ديوريغي) الى عام (٦٢٦هـ - ١٢٢٨م) وتبدو فيها وفرة الالوان الزاهية الصارخة ذات الطابع البدوي البربري .



أ

ب

ج



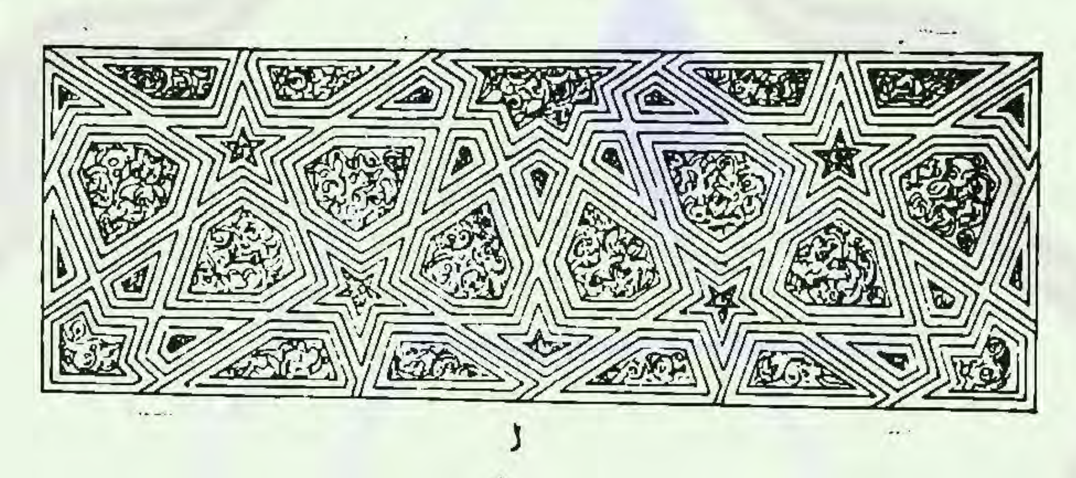
د



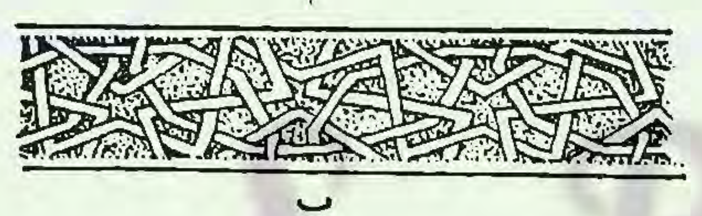
هـ

اشكال نحتية من الجامع الكبير ومدرسة الامراض العقليـــة في ديوريغي (١٢٢٨م ـ ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ـ ٦٢٧هـ) أ ـ تاج عمود ٠ ب ـ زخرفة عمود وبجانبها ولغرض المقارنة ٠ ج ـ شكل نحتي زخرفي من خان السلطان على طريق قونية ـ آقسراي ٠ د ـ زخرفة عربية أساســـها مجموعة من الاهـــلّة ٠ هـ ـ شكل هندسي يعتمد الرسوم البنائية اساس لـــه ٠

تظهر الصفة الاسيوية في زخرفة تيجان الاعمدة بصورة خاصة على الرغم من امكان تقدير هذه المقارنة بسهولة بملاحظة النزعة الواضحة في كيفية نحت أعمدة مستشفى الامراض العقلية مع تصاميم الفترة الكلاسيكية المشابهة له والموجودة في خان السلطان ويشـــمل تأثير صناعة المرمر في (ديوريغي) ذات الاصـــل الهمداني عمـــارات (رباطي مالك) قرب بخارى(٥) (٤٤٢هـ ـ ١٠٥٠م / ٤٧٣هـ ـ ١٠٨٠م) أو (كومبتي صرح)



أ



ب

أ ـ حفر على الخشب لباب من القرن الثالث عشر الميلادي تختلط فيـــه الرسوم الهندسية بالزخرفة العربية ٠أبعاده ١م و ٧٠سم في ٩٠سم تقريبـا ٠

ب ـ رسم هندسي مشتق من الخط الكوفي ، من مدرسة بيوك قره طاي في قونية (١٢٥١م ـ ٦٤٩هـ) ٠

---

(٥) كانت مدينة بخارى من اعظم واشهر مدن آســيا الوســطى في القرون الوسطى وهي تقع في حوض نهر زرافشان وعلى بعد (٢٨٠) كيلو مترا غربي مدينة سمرقند وكان فيها في تلك الفترة (٣٦٠) جامعا ومسجدا ٠ وهي تقع الآن ضمن جمهورية اوزبكستان السوفيتية (قاموس الاعلام / ٢ : ١٢٤٧) ـ المترجمان ٠

في مراغة[٦] (١١٤٧) بالأضافة الى ان الطراز يعكس ذوقا هنديا يبـــدو واضحا في زخرفة النقوش البارزة ، كما يعكس لمسات من الحلى الهندية التي تبدو في نزعة استعمال انصاف الاقمار والتي تلعب دورا متكررا متواترا في الزخرفة ذاتها •

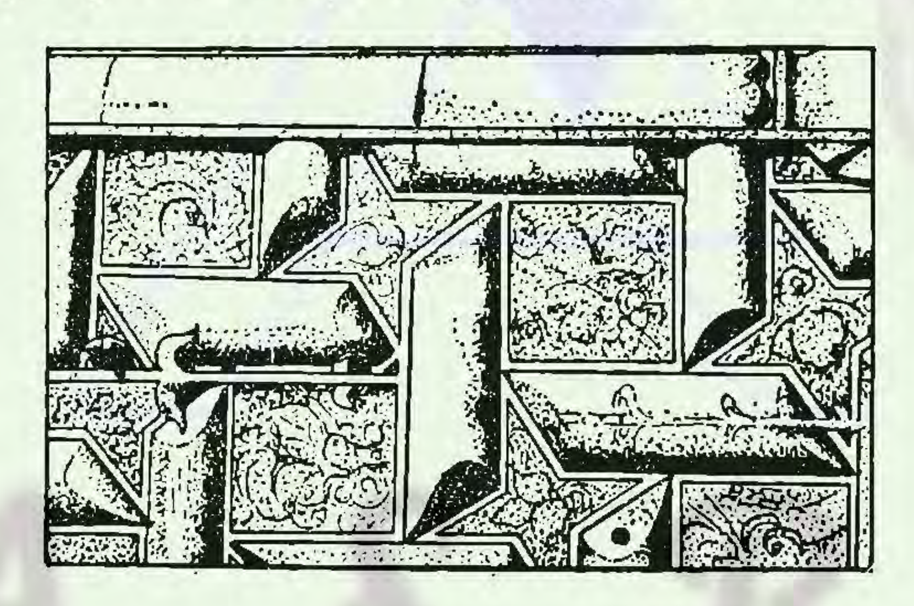
أما في (آماسيا) حيث أغلب الزخارف اشتقت من النماذج الخراسانية والقفقاسية فانها تميل الى التركيز على نوع واحد من الزخرفة في منطقــة واحدة معينة وتكرر مناطق هذه الزخارف حتى تكون لوحة مزوقة تعيد للذاكرة تأثير القاشاني المزجـــج في بعض العمارات الاخرى • ولا يزال بعض نماذج هذا الطراز موجودا عـــلى ضريح (تورومتاى) ولا تزال نماذج قفقاسية ماثلة في قيصرى كما يوجد البعض منها في سيواس ايضا ، ونجد ان فناني قيصرى كانوا مغرمين جدا بالاشكال الهندسية المتعددة والتي ضمنوها زخارف اسلامية متقنة مستعملين نقوشا للتأكيد عـلى اشكال من المباني وخاصة ما يتعلق منها باسس المنائر والنوافذ والبوابات وليكونوا منها حواش زخرفية لتلك المباني • وقد يقوموا احيانا باضافة اشكال حيوانية أو نباتية اليها كما هو موجود في (دونر كومبت ـ القبة الملتفة) وقد وصلت الزخارف التي تمثل اشكال الضفائر والسلال والنقوش المزدوجة الى كل من قيصرى وديوريغي من منطقة القفقاس • ولاشك بان هذا الطراز مـن الزخارف قد ظهر اول الامر في خراسان •• اذ انه قد اعيد نقشه عـــلى الحجارة بشكل وكأنه كان موجودا على القرميد •

---

(٦) تقع هذه المدينة في اذربيجان الايرانية وعلى مبعدة(٨٠) كيلو مترا جنوبي تبريز • وكانت مدينة كبيرة في القرون الوسطى حيث اتخذها هولاكو عاصمة له ••• واشتهرت بعد بناء رشيد الدين الطوسي للمرصد فيهـــا (قاموس الاعلام / ٦ : ٤٢٥٦) ـ المترجمان •

النقوش المترابطة

نجد ان ترابط النقوش في منطقة سيواس تكون على شكل احزمة متقاطعة اكثر من كونها على شكل ضفائر متشابكة كما هي الحال في الاشكال القفقاسية ... فمثلا نجد ان الضفائر المتشابكة التي تزين بوابة متحف (اينجه مناره لى مدرسة ـ المدرسة ذات المنارة الرفيعة) في قونية ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م مثالا اخرا لاعمال عبدالله بن كولوك وانها بمجموعها تختلف عن غيرها من أساليب الزخرفة . وتبدو لنا انها متأثرة بالزخارف



قطعة نحتية من الجامع الكبير في ديوريغي (٦٢٦هـ ـ ١٢٢٨م / ٦٢٧هـ ـ ١٢٢٩م) .

القرميدية التي وجدت في بعض العمارات العباسية في بلاد النهرين وفي بعض القصور الاموية كخربة المعفجة او في بعض الكنائس القبطية مثل الدير السرياني في مصر السفلى الذي اكتشفه الاسقف موسى النصيبي في القرن العاشر والمزخرف بنفس الزخارف الرائعة الموجودة في (اينجة مدرسة) بالاضافة الى تشابه النحت مع المسجد الجامع في (ديوريغي) وبرج

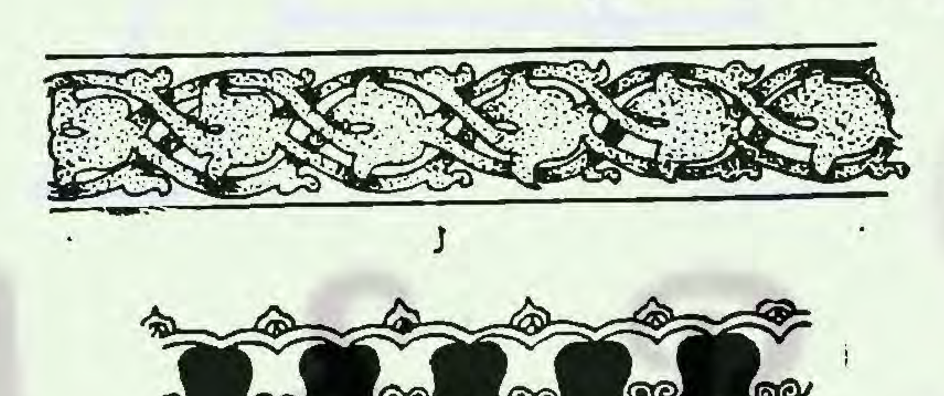
(محمود)[٧] في غزنـــة ، مما يدعو الى الاعتقاد ان التأثير الفني لآســـيا الوسطى قد وصل الى مصر •

اشكال الزخارف

وثمة شكل آخر للزخرفة على هيئة أوراق الكرم والذي يبدو انـه



تلافيف على شكل اوراق شجرة العنب من مدرسة بيوك قره طاي في قونية (٦٤٩هـ ـ ١٢٥١م) •



أ

ب

ا ب

اشكال متنوعة من ازهار الخزامى واللوتس :
أ ـ حفر على الخشب لباب من القرن الثالث عشر الميلادي في كشك چينلي في اسطنبول •
ب ـ من خان السلطان على طريق قونية ـ آقسراي (٦٢٧هـ ـ ١٢٢٩م)•

---

(٧) اي محمود الغزنوي ـ المترجمان •

انتقل الى السلاجقة من بلاد الشرق لا من الغرب • اذ وجد في الفن المزدكي منذ القدم كرمز للحواريين(٨) وتبرز فيه بصورة خاصة أشكال الشقائق التي يبدو انها وضعت لتكون بديلا لزهرة (اللوتس) ومن بين هـــذه المجموعة المتعددة المتباينة من الاشكال يبدو الكثير منها غريبا عن الشرق واكثر انتسابا للغرب ، بينما للبعض منها جذور في الحضارات التي سادت الشرق ، ويبدو تأثير الاشكال السلجوقية بارزة بصورة خاصة • فقد قـــام



شكل اساسه ورقة ذات فلقتين

السلاجقة بايجاد وتطوير هذه الاشكال واستعملها فنانوهم بصورة متكررة وعلى نطاق واسع حتى يمكن ان تعتبر بانها علامة فارقة للفن السلجوقي ، وتتضمن تصاميم هذه الاشكال اوراقا نباتية بسيطة اكثر من احتوائها عـلى أوراق نباتية مركبة ، وقد تحتوي على أوراق ثلاثية التركيب ذات بروز في وسطها ويتعمد الفنان السلجوقي اطالة احد اطراف الورقة النباتية ليكون منها استطالة تشبه طرف اللسان ، وقد استعمل هذا الشكل ليخلق منـــه الفنان تلافيفا فنية أو رسوما شعائرية او ليكون منها نموذجا خاصا بهذا النوع

---

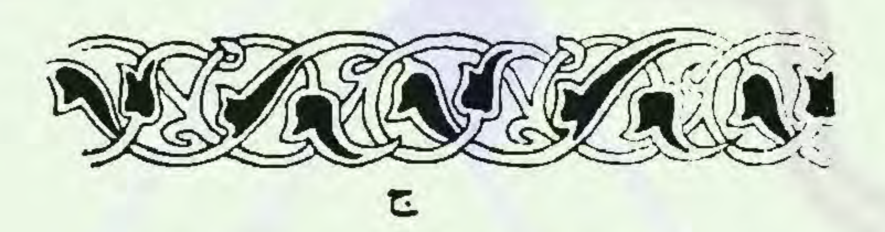
(٨) J. Strzygowski, 'Elements asiatiques dans I'art', Revue des Arts Asiatiques (Annales du Musee Guimet), Vol. 6, no. I, p. 27.



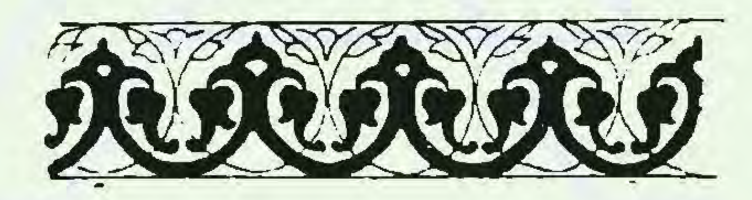
أ



ب



ج



اشكال متنوعة لمواضيع اساسها ورقة ذات فلقتين وزهرة اللوتس أ و ب من سرجالي مدرسة في قونية (٦٤٠هـ ـ ١٢٤٢م) ٠ جـ من جامع علاء الدين في قونية (٦١٦هـ ـ ١٢١٩م / ٦١٧هـ ـ ١٢٢٠م) ٠

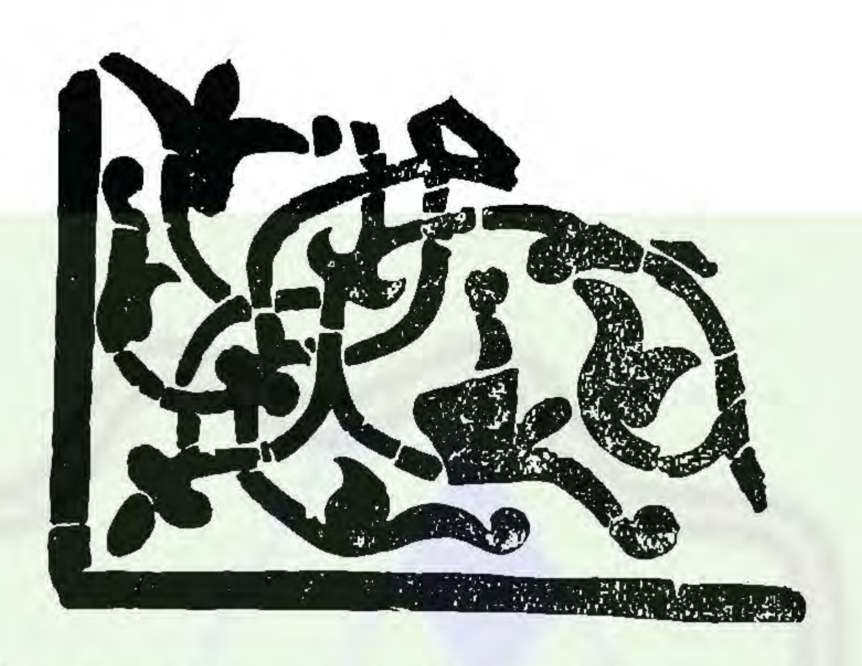
من الزخرفة ، وقد يستعملها احيانا لدى زخرفته مقابض سيفين متقاطعين كما هو ظاهر في مجموعة (قويون اوغلو) وقد قام السلاجقة كما فعل السلتيون والانكلو ساكسون فنانو الزخرفة البريطان بصنع هذه الزخارف المعقدة المتشابكة مستعملين مهارتهم اليدوية دون الاستعانة بالآلات الرياضية فانتجوا احيانا تصاميم غير متناسقة ٠



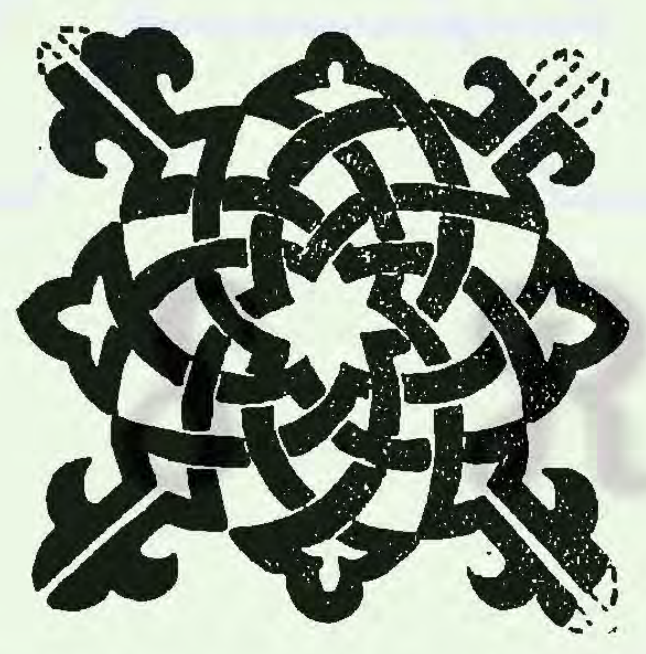
بلاطة مزججة من ضريح صاحب عطا في قونية (٦٨١هـ ـ ١٢٨٢م)
موضوعها اساسه ورقة ذات فلقتين • مقياس ١٨سم في ١٢سم تقريبا •



بلاطة فسيفسائية ذات لونين ، أزرق غامق وأزرق فاتح من سرجالي
مدرسة في قونية (٦٤٠هـ ـ ١٢٤٢م) عرضها حوالي ١٠سم •



بلاطة اساسها الزخرفي ورقة ذات فلقتين · مقياس ٢٠سم في ٣٠سم تقريبـا ·

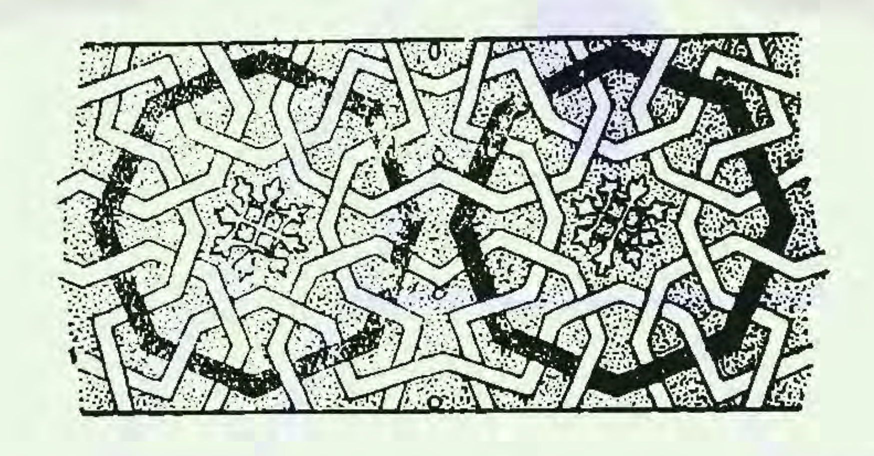


بلاطة مزججة ذات زخارف متعددة · مقياس ٢٠سم في ٢٠سم تقريبا

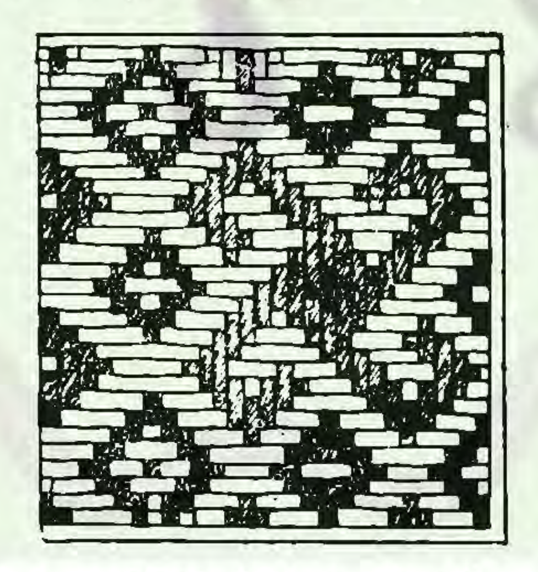
الاشكال الرمزية

ونجد في العصر السلجوقي ان العديد من الاشكال القديمة قـد حافظت على رموزها المكناة على نطاق واسع لاشتغالهم بالتنجيم ويفسر لنا هذا

تعدد النقوش الذي يبدو واضحا في فن هذه الفترة ، فتظهر لنا النجوم ذات الرؤوس من ذوات الخمس الى الاثني عشر بصورة مستمرة حتى انها نقشت على النقود وقد يظن انها تمثل (فينوس) ففي علم التنجيم تمثل لنا فينوس آلهة الحياة المتجددة ، بينما اذا اضيف اليها الهلال فتمثل لنا فينوس تواجه القمر ، ومن ناحية أخرى توحي لنا بعض فقرات الشاهنامة ان



بلاطة مزججة يبدو فيها شكل نجمة موضوعة داخل شكل ثماني الاضلاع تقاطعها حزم متشابكة • قياس ٧٢سم × ٢٠سم تقريبا •



شكل مكوّن من علامة السواستيكا واشكال معينية من واجهة سرجالي مدرسة في قونية (٦٤٠هـ ـ ١٢٤٢م) •



عمود من چيفتة مدرسة في ارضروم يكسو قسما منه تصميم نجومي الشكل (٦٥١هـ ـ ١٢٥٣م) ٠

وجود الشمس والقمر يفسر لنا اتجاها سياسيا اكثر من كونه اتجاها تنجيميا سحريا • فقد أشار (كيخسرو) الذي حمل لواءه كلا الجرمين بأنه سمع الموابذ[٩] يقولون عندما يصل قمر الطورانيين (الاتراك) قلعة

(٩) جمع موبذ : لفظة فارسية كانت تطلق على الرئيس الديني للمجوس ، وهي محرفة عن كلمة مكوبات Magupat الفارسية وموبذ معربة عن الكلمة المذكورة وجمعها موابذ ٠ وقد ذكر المسعودي في (كتاب التنبيه والاشراف ج ٧ : ١٠٣) بان الكلمة المذكورة تعني (حافظ الدين) أو (حامي الدين) حيث ان هذه الكلمة مؤلفة من مقطعين (مو) ويعني (الدين) و (باز) يعني (حامي أو حافظة) بالفارسية ٠ كما ذكر اليعقوبي

فلكة فستنتصر عليه شمس ايران • وعلى هذا فليس من باب الصدف ان تنقش الشمس والقمر على مستوى واحد في اغلب الزخاف كما هو الحال في مستشفى دار الشفاء في سيواس ، أو في (آق خان) •

الزخارف الحيوانية

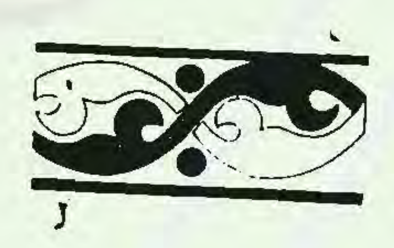
لقد مثلت لنا المثابرة على نقش اشكال الحيوانات في الزخارف السلجوقية آخر مرحلة من مراحل فن نقش الحيوانات الذي برز في آسيا الوسطى وفي الشرق القديم منذ أوائل التاريخ • ويمكن لنا ان نربط هذه المرحلة بالفن البدائي السكيتي والالطايي وخاصة تلك التي تمثل الحيوانات الراقدة كما هو موجود في تلك اللوحة المقامة على مدخل تكية (كوره‌كى) الكبير في نيكسار والتي يعود تاريخها الى القرن الثالث عشر • كما ان النقوش ذات التلافيف المتعددة قد اشتقت بلا شك من الاشكال النباتية التي تأثرت بالرسوم المتباينة المستقاة من فن الزخرفة الحيوانية التي جاءت من تلك المناطق ، وقد وفدت اليهم من جهة ما النقوش الاخرى التي تمثل النسور والاسود والصقور عبر تلك المناطق ايضا والتي يرجع سبب استعمالها من قبل السلاجقة في نقوشهم على الاسلحة والدروع الى اعتبارها رمزا لبواعث معينة اذ يمثل الاسد القوة والشجاعة والنسب النبيل وقد استعمل السلجوقي كلمة اسد (ارسلان) مع اسمه[١٠] في كثير من الاحيان للتأكيد على اتصافه بتلك الصفات • وقد كان الاسد ركنا مهما من اركان

في تاريخه (ج١ : ٢٠٧) بانها تعني (عالم العلماء) وقد ذكر الفردوسي في القسم الاخير من شهنامته معلومات وافية عن الموابذ (للتفصيلات انظر دائرة المعارف الاسلامية ـ الترجمة التركية ـ ج ٨٣ : ٣٩٤ ـ ٣٩٧) •

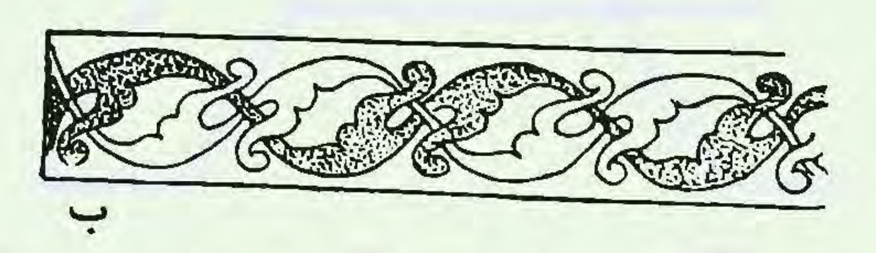
المترجمان

(١٠) مثل الب ارسلان وقليج ارسلان وغيرهما ـ المترجمان •

الفن السلجوقي، ففي النحت نجد الاسد باشكال متعددة•• يبدو البعض منها ذو اصل (حثي) والبعض الآخر ـ كما هو موجود في قلعة ديوريغي ـ اقرب الى الاصل السكيتي بينما البعض الآخـــر ذو اصـول هيلينية ولكن الرسوم السلجوقية الحيوانية نقشت بطريقة النقاط والفوارز التي تمثل الفن الألطايي •



أ



ب

أ ـ قطعة من بلاطة فسيفسائية ذات لونين ، ازرق غامق وازرق فاتح من سرجالي مدرسة في قونية (٦٤٠هـ ـ ١٢٤٢م) عرضها ½٩سم تقريبا•
ب ـ تفصيل لرسم مأخوذ من ضريح الوزير صـاحب عطا في قونيـــة (٦٨١هـ ـ ١٢٨٢م) ولعل كلا الموضوعين مشتقين من منظر واحد لحيوانين يتصارعان •

تنوعت الزخارف السلجوقية بالنسبة للاشكال الحيوانية الاخرى كما هو واضح من الفيل المزوق الذي كان يزين قلعة قونية ، ويعـود اصـل استعمال الصور شبه الحيوانية في مفاصل الزخارف الى الطريقـة السكيتية التي تبتدىء اغلب الاحيان بحافة ورقة نباتية وتنتهي بجزء من جسم حيوان ويكون على الاغلب ذنب سمك أو تنتهي بالطريقة السلجوقية اي على شكل

ورقة مركبة أو برأس حيوان ، وهـذه المفاصل يغلب عليها في كثير من الاحيان شكل التنين •

ان استعمال التنين كما هو موجود في الرسم المنقوش على اللوحـة الحجرية الموجودة في متحف (قرهطاى) ليس غريبا على الفن السلجوقي أو الاسلامي وان انتشاره بين سلاجقة الروم قد يعود الى تأثرهم بالرسوم المسيحية ولكننا نجد الفردوسي يفسر لنا اسباب وجود التنين في الشاهنامة كرمز للمحارب التركي واصفا اياه بالتنين الرهيب الذي ينفث نارا وينفخ اعصارا ويمطر شؤما ، وبهذه الروح قام الخليفة الناصر (العباسي) عـام ١٢٢٧ برسم تنينين يتصارعان على باب الطلسم في بغداد يمثل احدهما المغول والآخر شاه خوارزم وكلاهما عدويه اللدودين • وانتشر استعمال الرسوم النسرية في الفن السلجوقي كاستعمال الاسود لتكون رمزا للقوة والعظمـة فكانت نقوش النسر اما ذات رأس واحد أو رأسين ، ذات وجه نسر أو اسد أو عنقاء • وقد استعملت طريقة التنقيط والفوارز في اغلب هذه النقوش تقليدا للجيل السابق والبعض الآخر كان أقرب للطبيعة بينما كانت الاشكال الاخرى تقليدا للفن البيزنطي •

الاشكال التشخيصية

تمثل لنا الكثير من النقوش الحيوانية السلجوقية فنا متقنا رائعا • وقد يصح هذا القول ايضا بالنسبة الى نحت الرسوم البشرية وكذلك بالنسبة الى الاشكال البشرية التي وجدت في صناعة الفخار من أهم المنحوتات التـي تمثل الاشخاص ذلكما الجنيان المجنحان اللذان كانا موضوعين فوق المدخل الرئيسي لقلعة قونية • ولعل فكرة هذا التمثال جاءت من مصدر ساساني

أو روماني وان كان يغلب الاعتقاد على ان الفكرة مقتبسة من جناحي النسر اللذين كانا مقامين فوق بوابة قاينجيون الكبيرة في القسطنطينية والتي كانت تطالع الزائر حال وصوله المدينة ، اذ لعلها قد أثرت في فهم أثر زيارتهم لهذه المدينة ، لان نحت الجني كان بشكل متقن ، بينما كانت بقية اجزاء النحت من عمل محترف وليس فنان وهي تشبه الى حد بعيد تلك اللوحة الموجودة في متحف الفن التركي الاسلامي فياسطنبول والتي تمثل محاربين يرتديان الدرع المزرد والخوذة الحديدية والتي نسبها الفردوسي للسلاجقة .

ونجد في متحف (اينجة منارة) في قونية لوحة معقدة غريبة الشكل وقد نحت فيها رجل جالس على كرسي وقد حمل صقرا بيده ذات القفاز بينما تداعب يده الاخرى وجه شخص قميء ولعلها تمثل ملكا يكلم احد اخصائه من الخدم .



رسم ماخوذ عن بلاطة نجومية الشكل من موقع قصر قونية يبدو فيه زي ذلك العصر . مقياس ٧سم × ٦سم تقريبا .

ويعيد شكل اللوحة الى الاذهان صورة الالواح الرومانية ، بينما تمثل الصور الاكثر شرقية شخصا متربعا على الارض ممسكا بشيء كروى

الشكل ، فمثل هذه الاشكال ليست غريبة عن الفن الاسلامي ذات المصدر الساساني ، وقد ذكر كوهنل[١١] ان الخليفة المقتدر (العباسي) (٢٩٥هـ – ٩٠٧م/٣٢٠هـ – ٩٣٢م) قد استعمل صورة عواد على احد جانبي نقوده (المضروبة في بغداد) •



قطعة من بلاطة مزججة من قونية يبدو فيها شكل الرداء مختلف عن الزي في الشكل السابق • طولها ٧سم تقريبا •

وبمجيء العصر السلجوقي اختفت الاصول والاشكال الساسانية التي تمثل شخصا جالسا وهو ممسك بكأس بيده وحل محل الكأس الساساني شكل كروى اعتبره البعض تفاحا • ومن الغريب ان هذه الشخوص الموجودة على الاحجار الاناضولية لا ترتدى العمامة على رأسها بينما المعروف ان نوعا خاصا من الصوف كان يستورد خصيصا لصنع عمائم

---

(١١) E. Kuhnel, 'Der Lautenspieler in der islamischen Kunst des 8 bis 13 Jahrhunderts,' Berliner Museum Berichte (new Series, 1951) , Vols 3 and 4, pp. 29—35 .

السلطان ووزرائه • فالزي الذي استعمله الفنانون السلاجقة يشابه الى حد بعيد الزي القرغيزي الذى كان معروفا في القرن التاسع عشر اكثر من الزي الفارسي في العصور الوسطى • ولعل الطبقات الموسرة فيآسيا الصغرى كانت ترتدى الزي الفارسي بينما يرتدى عامة السلاجقة الزي الخـــاص بالاتراك الشرقيين •



اناء من الفخار رسمت عليه صورة رجل ذي ملامح ايغورية

تمكنت الدائرة الاسلامية في متحف برلين من الحصول على تمثـال سلجوقي يمثل عوادا مصنوعا بشكل متكامل من المرمر وقد اعتبر من اصل اناضولي على الرغم من ان مركزه الاصلي لم يكشف عنه النقاب بعد ، وقد اشار كوهنل الى ان العوادين[١٢] معروفون في الاوساط الشعبية من العالم الاسلامي منذ العهود الساسانية حتى الآن ، فقد ظهروا في الفن الفاطمـي في مصر في العصور الوسطى كما وجدوا في الفن التركستاني ايضا وقـد شغف صناع المعادن الموصليون بحفرهم ونقشهم على الاواني المعدنية التي كانوا يصنعونها • وظهروا كذلك في الرسوم الموجودة في كنيسة (بلاتينا)

---

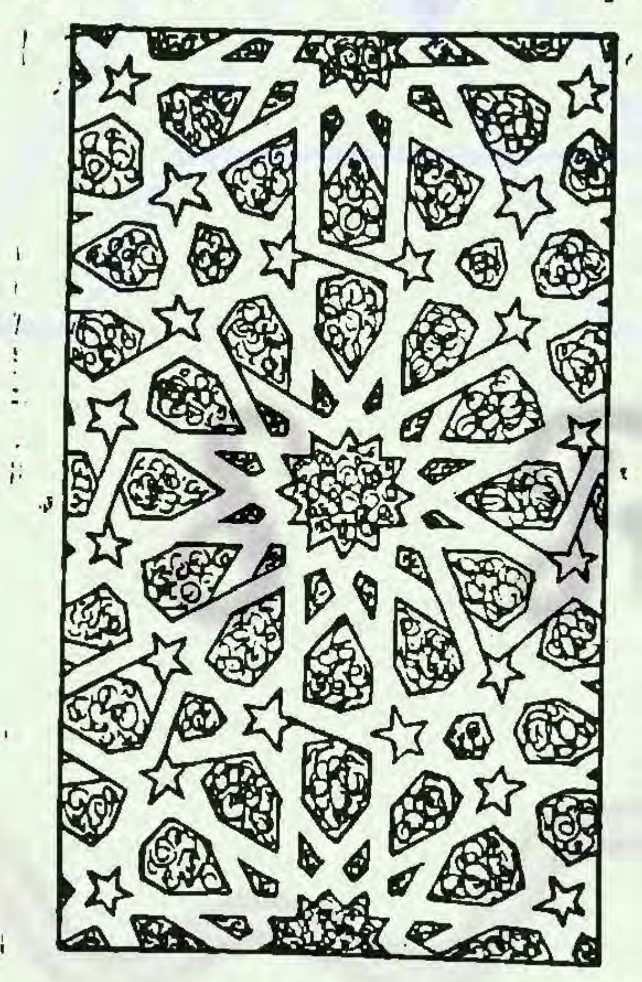
(١٢) تقصد المؤلفة بالعوادين الاتراك (شعراء الساز) الاتـراك أو (الشعراء العشاق) كما يطلق عليهم في الادب الشعبي التركي — المترجمان

في باليرمو • كما استعملتها رسوم الموسيقيين في صناعة الفخار في العهـد السلجوقي في كل من بلاد فارس والاناضول • واعتبر النحت الاناضولي ليس دقيق الصنع فحسب بل رائعا وبديعا بتناسقه وفنه • وقد ضاهى النحت الاناضولي النقوش التي صنعت من الجبس والفخار وخاصة تلك التـي وجدت في (قباد آباد) وفي موقع قصر قونية • ويوجد منها بقايا في متحف (قراطاى) في قونية ولعل ابرز ما فيها (الابريق) الموجود في المتحف الاتنوغرافي بانقرا والمزين بنقوش بارزة مستديرة لا يقل فنهـا عن تلك الاواني الفخارية الفارسية التي كانت موجودة في تلك الفترة ، ويختلف طلاؤه عن الفخار الفارسي ويمتاز عنه بشكل نقوشه المزخرفة ، كما يختلف اختلافا بينا عن امثاله من الفخار الاناضولي المعروف • ونجد ان الفخـار الذي كان يصنع للاستعمال اليومي يكون سميكا وخشن المظهر ، فالانـاء الموجود في متحف قيصـرى قليل التزجيج لا يختلف عن مثيله الفارسـي فألوانه وصناعته بصورة عامة تشبه الى حد بعيد الاشكال الفخارية غير المتقنة والتي كانت موجودة آنذاك في العالم البيزنطي والتي كان يستعملها فقـراء النـاس •

حفر الخشب ونقوش الجبس

احتلت الاخشاب المحفورة والنقوش الجبسية مركزا هاما في تزيين الابنية من الداخل ، فالنقوش التي حفرت على ظلف الابواب تشابه المنحوتات الحجرية المستعملة في تزيين العمارات من الخارج • فقد زخرفت منابـر الجوامع الخشبية المصنوعة من خشب الابنوس المتشابك بزخارف معقدة ، ولعل اقدم واجمل منبر ابنوسي هو ذلك المنبر الذي حفره حاجي منكبرتي الاخلاطي عام ٥٥٠هـ-١١٥٥م في القلعة الاولى لجامع قونية ، ولا يختلف

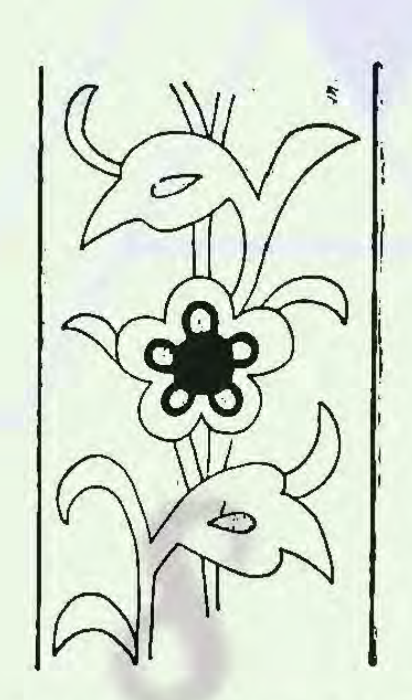
اسلوبه تقريبا عن اساليب الحفر التي سبقته والتي لا يزال بعضها باقيا في جورجيا وأرمينية ، ولا يعني هذا ان هذه الصناعة قد نشأت في منطقة القفقاس بالذات قبل نشؤها في آسيا الصغرى اذ لعلها وفدت اليها من آسيا الوسطى ، ثم تطورت في كل من المنطقتين تطورا مماثلا • وأصبحت زخرفة المحاريب ميدانا للفنانين لاظهار نبوغهم وقابلياتهم ، ولعل اجمل الزخارف كانت تلك المصنوعة من الجبس أو البلاط المزجج أو كليهما معا ، وقد صنعت الاقسام الجبسية لتكون بروزا استالاكتيا أو فنا اسلاميا دقيقا رقيقا واشكالا هندسية تعيد للمذاكرة الطريقة الفارسية أو الطريقة العربية في



نقوش من منبر الجامع الكبير في ديوريغي

الزخرفة ولعبت الآيات القرآنية الرائعة الصياغة دورا بارزا في هذا التزيين

والزخرفة واختلفت طريقة استعمال الجبس هنا عن طريقة استعماله في هوامش اللوحات المثبتة على واجهة جدران قصور كيقباذ . اذ ان هـــذه الاخيرة كانت لاغراض دنيوية حيث تضمنت اشكالا حيوانية وبشرية بشكل سائد على الرغم من ان هذه الاشكال كانت صغيرة الحجم غريبة الشــكل مثل البعض منها لوحات تصويرية ظهر فيها فرسان متبارزين أو يطاردون اسودا أو تنينا ، ويمكن مشاهدة امثال هذه اللوحات في المتحف الاثري باسطنبول(١٣) .



بلاطة مزججة مع تحشية بالملاط من ضريح قليج آرسلان الثاني في قونية حوالي (٥٨٨هـ ـ ١١٩٢م) العرض ١٠سم تقريبا .

نجد في بلاطات الممرات جمالا اخاذا ولعل من اجملها تلك التـــي لازالت قائمة في جامع علاءالدين بقونية وهي من اقدم هذه النماذج ، حيث صنعت حواشيها من الملاّط الموزاييك ذى الالوان الثلاثة الزرقاء المتباينة ،

(١٣) F. Sarre, Seldjukische Kleinkunst (Leipzik,1909), Plate 3, and Bir Selcuk Kabartmasi (Istanbul, 1936).

فنقوشها الرائعة تتدرج من أرضية فيروزية اللون الى خطها الكوفي الأزرق الغامق ، ولعل المحراب من صنع كريم الدين اردمشــاه والذي قام ايضـا بزخرفة قبة الجامع وظهر اسمه في احدى نقوشه ونجد محراب (كولوك جامع) في قيصرية ٦٠٧هـ-١٢١٠م على نفس المستوى من الفن الزخرفي ، وان صناعة الملاط الموجودة في جامع صاحب عطا في قونية ٦٥٦هـ-١٢٥٨م / ٦٥٨هـ-١٢٥٩م لم تفقد روعتها بمرور الزمن •

البلاط المزجج

تغلب السلاجقة على الصعوبات الفنية التي تعترض سبيل ايجاد بلاط وآجر مزجج فاستعملوه بمهارة فائقة لتغطية مســاحات كبيرة في داخل - وفي خارج - عماراتهم • فكانت البلاطات المستعملة في الابنية الدينية ذات الوان زرقاء فيروزية أو تحوى احيانا نقوشا نجمية أو زهرية الاشــكال • اما تلك المستعملة في بنايات السكن فقد حوت شخوصا بشرية أو حيوانية ،



بلاطة من قونية لوجه ذي ملامح ايغورية ارتفاعها ٨سم تقريبا

ولعل السلاجقة فقد اقتبسوا صناعة البلاط من الفرس ولكنهم برزوا عليهم في هذه الصناعة في آسيا الصغرى مستعملين طينا ممزوجا بالسليكا • واقتصروا على استعمال الوان رئيسية ثلاثة تتراوح بين الازرق الفاتح والازرق الغامق اي الازرق الذي يميل الى السواد والنيلي والفيروزي بشكل متدرج ، وقليلا من اللون القرمزي والاصفر - بشكل نادر - الذي استعيض عنه في القصور الملكية بالذهب نفسه •

استعملت هذه الالوان في العصور الوسطى في العالم الاسلامي كشعارات سياسية، إذ تقول الشاهنامة ان اللون الازرق المتدرج من الفيروزي الى اللازوردى كان شعارا وطنيا فارسيا ، والاسود والبني الغامض كان شعارا لكل من الغز والعباسين ، بينما كان الابيض شعارا للامويين ولشخص الرسول (ص) والذي استعيض عنه بعدئذ باللون الاخضر الذي أصبح شعارا لاولئك الذين يرجع نسبهم الى الرسول (ص) • ونستدل من ذلك على ان اقتصار صناع السلاجقة على هذا اللون لم يكن نقصا في قابلياتهم الفنية بل كان عن رغبة للتأكيد على هذا النظام اللوني بالذات • وان السلاجقة استعملوا الالوان الثلاثة هذه والتي لا زالت تعتبر مظهرا سياسيا بارزا في العالم الاسلامي - الازرق والابيض والاسود - ليظهروا مكانتهم وشخصيتهم • ولعل التأثير البيزنطي جعلهم يستعملون اللون القرمزي مظهرا من مظاهر الامبراطورية والتأثير الصيني جعلهم يستعملون اللون الاصفر الذي تدرج الى استعمال الذهب بدلا عنه •

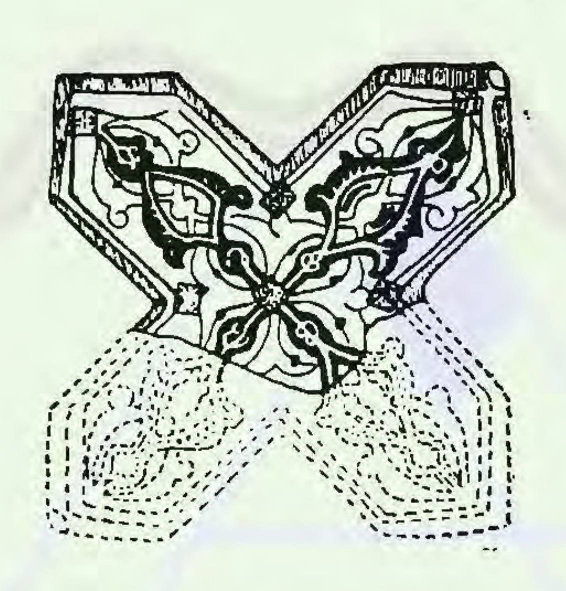
ان احسن انواع البلاط السلجوقي لا يقل جودة عما انتجه غيرهم من الحضارات بل لعل البلاط المزجج والفخار فاق غيره من صناعة الشعوب الاخرى جودة واتقانا ، فلصنع البلاط المزجج والفخار تقطع البلاطات



جزء من بلاطة ـ قونية

الى اشكال مختلفة ثم يعاد تركيبها بدقة متناهية ويصبح العمل اكثر عناء وتعقيدا عندما يراد بها الزخرفة الكتابية ذات الالوان المتعددة فتقطع الى قطع صغيرة وتكتب الاحرف عندما تكون البلاطة طرية ثم تزجج وتفخر بالنار . ويمكن للقارىء ان يستدل على مهارة الصناع من مشاهدته تلك البلاطات التي تزين القصور الملكية ، فالبعض منها صنعت على شكل نجيمات تتطلب حفرا بسيطا في جوانب البلاطة وبروزا في جانب البلاطة الاخرى لتتداخل البلاطات بعضها مع البعض الآخر . وقد اوجدوا الوانا متوهجة لعب فيها اللون الذهبي دورا كبيرا لتجيد هذه الزخارف البلاطية المتوهجة ، فكانت زخارفهم المزججة تتضمن فنا اسلاميا أو خليطا من الفن الاسلامي والاشكال

الثلاثية أو بقية الاشكال الهندسية ، ذات الزوايا المدورة غير المدببة • وملئت اوساط البلاطات برسوم لشخوص بشرية أو زهرية فجاءت رسومها ثابتة لا تتغير لكنها رائعة وبديعة •



جزء من بلاطة ـ قصر قونية مقياس ٦سم × ٦سم تقريبا

النقش

ومن سوء الطالع لم يبق لنا من نقوش العهد السلجوقي الا نقش واحد وهو الموجود على الواجهات الداخلية لحامل القرآن الذي اهداه جمال الدين صاحبي الى جلال الدين الرومي عام ٦٧٧هـ-١٢٧٨م وعلى الرغم من التلف الذي اصابه فانه لا يزال يحتفظ بالنقوش التي تمثل زهورا ونسورا واسودا تشبه الى حد بعيد تلك النقوش التي تزين كنيسة بالاتينا في بالرمو ، ونستدل من ذلك ان زخارف كشك قونية كانت مشابهة لها • ومهما يبلغ فهمنا لفن النقش فاننا لا نستطيع ادراك نوعية المقتنيات الثمينة التي كانت لدى اغنياء السلاجقة الذين كانوا مغرمين في اقتنائها ، اذ لم يبق منها

شيء الآن. ويتحدث الناس عن الساعة المائية العجيبة التي صنعها جزيرى[(١٤)] Djaziri الميكانيكي الكبير لاحد حكام الاورتوكيديين حوالي عـــام ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م ، بينما كان لدى حكام السلاجقة مقتنيات اكثـر ندرة واعظم فنا من تلك الساعة التي لم يبق منها شيء .

صناعة المعادن

برز الارتاك في صناعة المعادن منذ عصر الاورخونيين حتى يومنا هذا على الرغم من النماذج القليلة التي وصلت الينا من العهد السلجوقي اذ لم يبق ما هو ذو قيمة تذكر ولعل أهم قطعة ثمينة وصلت الينا من آسيا الصغرى ذلك الاناء البرونزي المطلي بالميناء الذي صنعه احدهم لسوكمان احد حكام الاورتوكيد في النصف الاول من القرن الثاني عشر . والاناء محفوظ الآن في متحف اينزبورج وتعكس زخارفه المينائية وشكله العام التأثير البيزنطي مع بعض التأثير من الفن الفارسي . وكذلك تلك القطع من عيارات الاوزان الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس ، وبعض عيارات الاوزان السلجوقية الموجودة ضمن مجموعة (قويون اوغلو) غير متقنة الصنع . ولكن المشبك الذهبي الموجود في متحف برلين يظهر لنا مهارة فنية اكثر دقة . فشكله أقرب الى التماثيل القفقاسية من البرونز الارتوكيدى أو الحلي الفارسية ، فهو شبيه بصناعة الحفر الحجرية الاناضولية مما يدعو الى الاعتقاد بانـه من آسيا الصغرى .

النسيج

نستدل من البقايا القليلة للانسجة الحريرية السلجوقية المطرزة على

---

(١٤) H. W. Haussig, Kulturgeschichte Von Byzanz (Stuttgart, 1959), p. 253 .

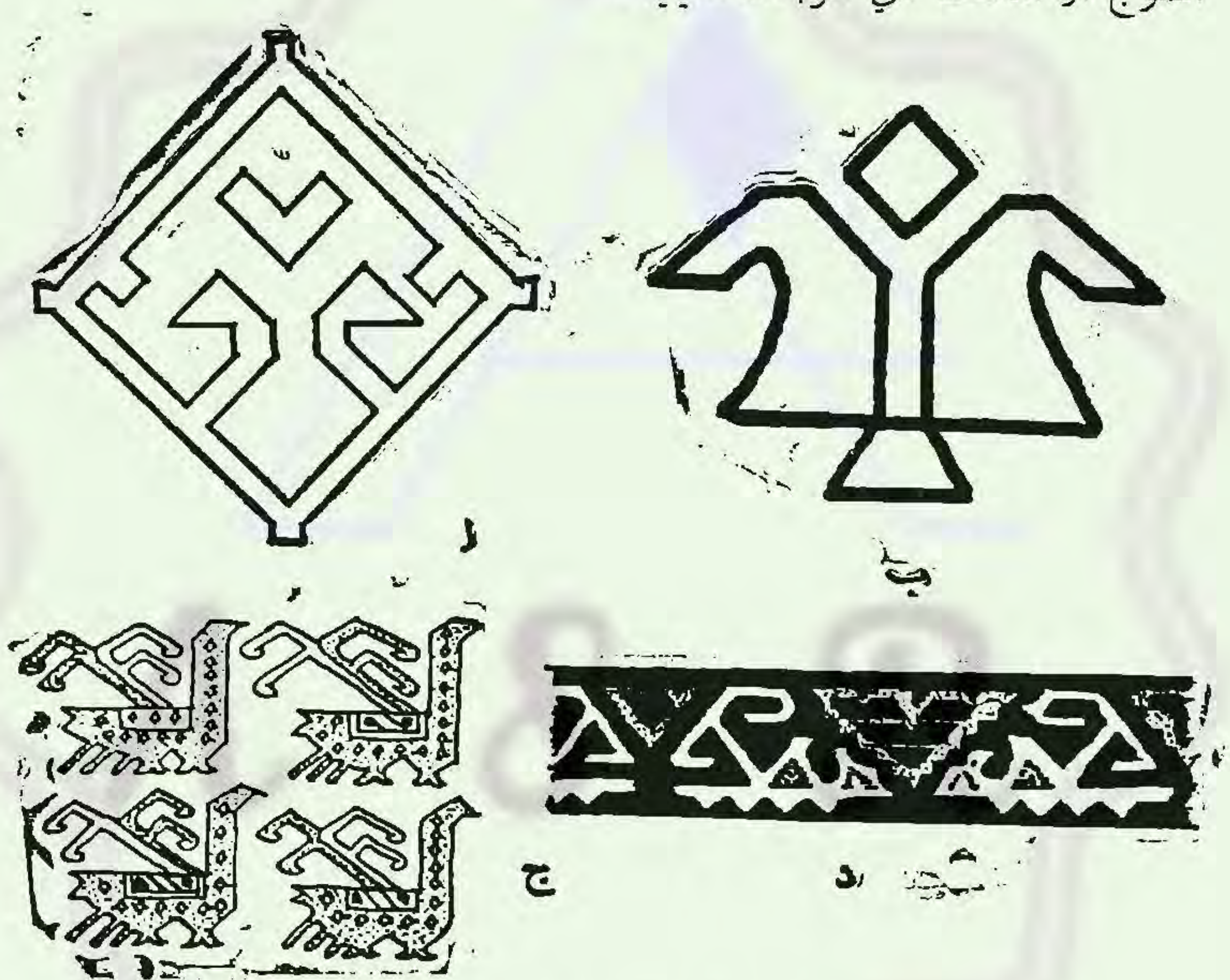
كفاية الحائك السلجوقي في هذا المضمار • اذ اهتم السلاجقة اهتماما كبيرا بنوعية الملابس أو الاقمشة التي استعملونها ، وعلى الرغم من تلك العبارات المبهمة التي جاءت في رحلات (ماركوبولو) والتي يستدل منها ان السجاجيد السلجوقية كان يصنعها العمال المسيحيون ، وعلى الرغم من ان العامل المسيحي كان يعمل جنبا الى جنب مع الصانع المسلم في مصانع السجاد ، فمن غير الممكن اطلاقا ان نعزو تصاميم ونقوش هذه الانسجة الحريرية المطرزة الى غير المصممين المسلمين • فالقطع البالية الرائعة والموجودة في متحف النسيج في مدينة ليون تحمل في اطرافها اسم علاءالدين كيقباذ ، وتصاميمها سلجوقية بحتة وكذلك القطعتان من القماش التي لا تقلان مهارة في الصنع عن سابقتهما والموجودة في المانيا نجد في وسط تصميمها نسرا مزدوج الرأس داخل معين على شكل قلب وهو يشبه المعين الموجود على اناء قيصري • وعلى الرغم من ان هذا الطراز من الرسم ذى ارتباط وثيق بالنقوش الموجودة على الدروع الغربية فقد كانت موجودة بصورة لا تقبل الشك على الدروع الاسلامية ايضا فانها على الاغلب كانت تمثل رمزا لقسم من أقسام الجيش والتي نسي الناس معناه الآن[١٥] • ومع ان اطرافها قد بليت تماما فان النتيجة لا تخرج عن كونها قد نسجت في منطقة الاناضول لاحد الامراء الحاكمين ، وعلى الاغلب فقد جرى نسجها في المصانع الملكية ايضا •

ان نماذج هذه المنسوجات نادرة الوجود في الوقت الحاضر ولكننا نستدل من السجلات الاثرية الموجودة ، انه كانت لدى سلاطين آل عثمان

---

(١٥) L. A. Mayer, Saracenic Heraldry (Oxford, 1932), pp. 8, 19; figs 33, 34.

ذلك الوشاح الذي اهداه كيخسرو الثالث الى عثمان بك[١٦] ، وقد وصف بانه قصير الاردان مصنوع من اقمشة (دكربي) ذات النقوش الهلالية • وقد ضاع هذا الوشاح ، ولكن بقايا ملابس السلطان ولد بن جلال الدين الرومي لا تزال معروضة في متحف مولانا في قونية ، وهي من الحريـــر المموج أو المخطط ذي المربعات المعينية •



رسوم حيوانات ويرجح انها رسوم خيل ، وضعت ظهرا لظهر •
أ ـ من سجادة جامع علاء الدين في قونية •
ب ـ من سجادة قونية وجدت في مصر •
ج ، د ـ من بساطين وجدا في جامع علاء الدين في قونية •

(١٦) Tahsin Oz, Turkish Textiles and Velvets (Ankara, 1950), pp. 14—15.

كان السجاد السلجوقي ذائع الصيت والشهرة في ذلك الزمان والقول بان المسيحيين كانوا يقومون بنسجه قول مردود من اساسه ، اذ ان صناعة البسط كانت صناعة بدوية خالصة .

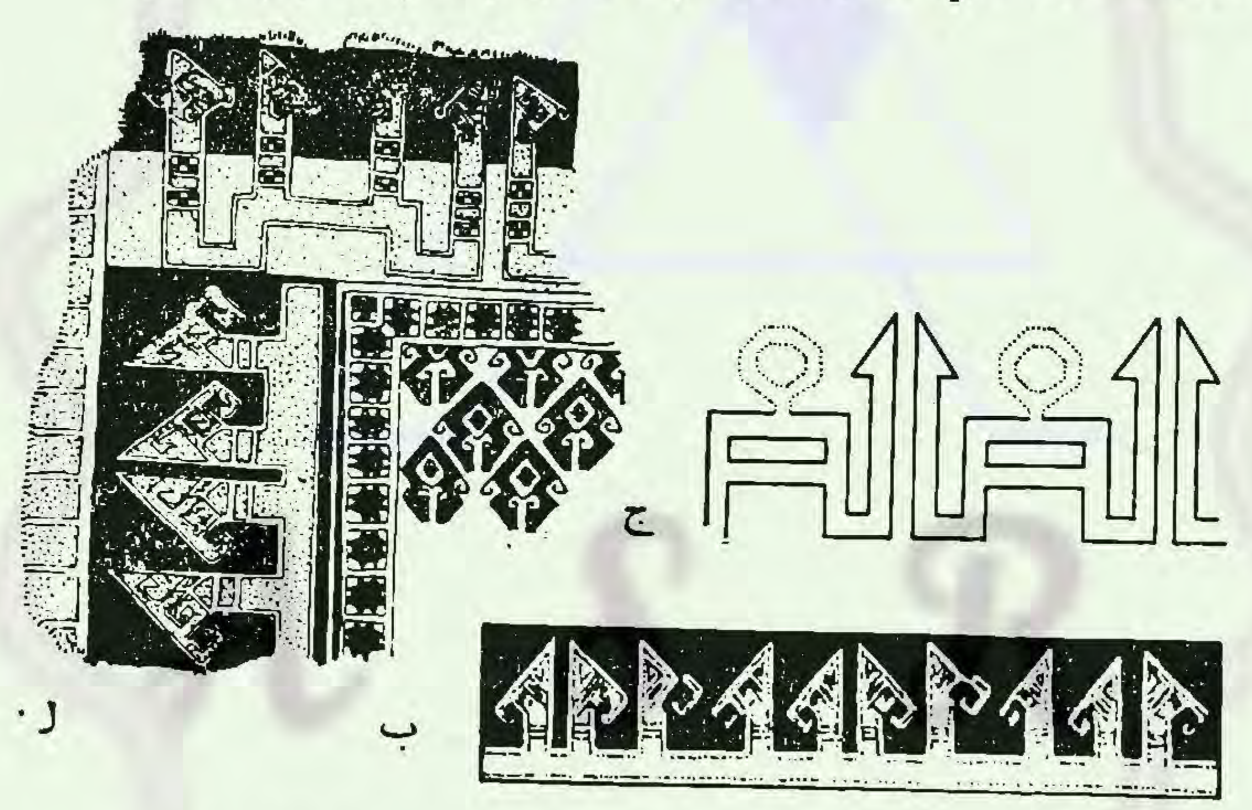
وعلى الرغم من شهرة بيزنطية في عالم الصناعة انئذ فانها لم تصنع البسط اطلاقا ـ ولدينا مجموعة من السجاجيد يعود تاريخها الى زمن السلاجقة تعرف باسم سجاجيد قونية وهذه المجموعة مكونة من ثمانية بسط يعود أصلها الى جامع علاءالدين في قونية وثلاث سجاجيد تعود الى جامع (اشرف اوغلو) في بايشهر والتي لم تكتشف اهميتها الاعام ١٩٠٥ وهي موجودة الآن في متحف مولانا في قونية ، ونجد كذلك في متحف الفن التركي والاسلامي في اسطنبول نماذج من هذه السجاجيد تم شراؤها من مصر وهي ذات أصل اناضولي والبعض الآخر محفوظ في بلاد السويد وكلها مصنوعة من طبقتين من الصفوف ذات عقد تبلغ ثلاث وثمانون عقدة في كل انج مربع واما الالوان البارزة في هذه السجاجيد فهو اللون البني الفاتح والغامق والدميري واللون الاحمر الفاتح والغامق واللون الازرق الفاتح والغامق والقرمزي والاخضر بينما تكون أرضيتها من ضفائر غير كاملة[١٧] . ولكبر مساحة اثنتين منها والتي جلبت من جامع علاءالدين ظن (ايردمان)[١٨] انهما صنعتا في نول خاص ، وقد ساقه هذا الظن بانهما قد صنعتا في مصنع حياكة ملكية . وتحوى اغلب هذه البسط اشكال نجوم

---

(١٧) C. J. Lamm, 'The Marby rug and some fragments of carpets found in Egypt',SvenskaOrientsalls kapets arsbok (Stockholm, 1937), pp. 52—130.

(١٨) K. Erdmnn, Der Turkische Teppich des 15 Jahrhunderts (Istanbul) .

وورود حتـى يظن الرائـي انهـا حلى مدلاة وبعض الاشـكال تبـدو وكأنهـا طيـور وحيوانات أو رسـوما بشـرية[١٩] وفي البعض الآخـر حـروف كوفيـة تكون حواشـي السـجاجيد وقـد ازدحمت بعضـها بالبعض الى درجة لا تكاد تقرأ ، مكونة بعضها مع البعض اشكالا تبدو وكأنها متأثرة بالفن الالطايي • بينما بدت الاشكال الاخـرى وكأنها مشـتقة من العلامات الفارقة التي كان يستعملها البدو والغز في وسم مواشيهم والتـي



أ ـ جزء من بساط كامل تقريبا من جامع علاء الدين في قونية عرضـه ٣م تقريبا •
ب ـ تفصيل لحاشية نفس البساط ويبدو فيه اساس الزخرفة المكون من استعمال الخط الكوفي بصورة مسرفة •
ج ـ حاشية من الحروف الكوفية المتعددة لسجادة قونية من القرن الثالث عشر عثر عليها في نوستار •

(١٩) Turk Etnografya Dergisi (Ankara, 1956), Plate XL III.

تشبه الى حد بعيد الزهرة المدورة أو اشكالا ثلاثية تمثل علامات التركمان المعاصرين وقد ذكر آرتين باشا ان نساء آسيا الوسطى في زمنه كن ينسجن في سجاجيدهن العلامات الفارقة التي كان يستعملها ازواجهن في وسم مواشيهم •

ولعل اغلب هذه الرموز القديمة قد جاءت الى آسيا الصغرى مع البدو الرحل فاقتبسها الصناع واستعملوها في سجاجيدهم دون ان يعرفوا معناها •

عامل الزمن الفن السلجوقي في آسيا الصغرى معاملة قاسية ، اذ على الرغم من اندثار الكثير من الآثار الرائعة وخاصة فنونهم الجميلة التي اندثرت تماما ، فان ما بقي منها يرد على مؤرخي القرن التاسع عشر الذين ادعوا بان السلاجة لم يكونوا الا جماعة من البرابرة الوحوش تنقصهم الكفاءة الانشائية والمهارة الفنية • وهكذا كلما وقفنا متأملين تاريخ السلاجقة القصير المضطرب لنحبث عن منجزاتهم في ميدان الادارة وننظر الى ما خلفوه في ميدان الفن والادب يأخذنا العجب كيف استطاع شعب بدوى صغير ان يبرز خلال نهاية قرن وبداية القرن التالي وان يكون له مملكة في بقعة منتزعة من مخالب الدول الكبيرة المحيطة به واستطاع ان يؤثر في حضاراتها بحضارته ويلقن شعوبها درسا في كيفية المحافظة على قوميته التي استطاع بها ان يخرج من نير الاحتلال المغولي بروح عالية •

وقد لعبت القابلية السلجوقية العظيمة على قصر مدتها دورا كبيرا في تطوير العالم الاسلامي في العصور الوسطى الى حقبة رائعة مزدهرة من تاريخ الفن والحضارة الاسلامية •

شـرح الصور

١ ـ جامع الخاتونية في قونية ـ لم يبق منه سوى المنارة ، قام ببنائـه بدرالدين سوتاش عام ٦٢٨هـ-١٢٣٠م ، ولعل بنائه لهذا الجامع ادى الى ان يعهد اليه بعد خمس سنوات بناء قصر قوباداباد الملكي • ووضع بدرالدين اسمه مضيفا اليه كلمة (والي) ولكن اسم المدينة التي كان واليا عليها لم تظهر في النقش •

٢ ـ كشك علاءالدين في قونية كما يبدو في اوائل هذا القرن ويقع ضمن اسوار القلعة بقرب من جامع علاءالدين وعندما زار تاكسيه قونية في القرن التاسع عشـر كان اغلبه موجودا • وذكـر سارّ في كتابـه Der Kiosk Von Konya المطبوع في لايبزغ عام١٩٣٦ انه من الثابت ان تأريخه يعـود الى عهد قليج ارسـلان الرابع (٦٤٤هـ-١٢٤٦م / ٦٦٣هـ-١٢٦٤م) وكان الكشك مزخرفا زخرفـة رائعـة والبعض من زخارفه تشابه تلك الموجودة في قصـر ريال في باليرمو وقد كسـيت جدرانه بالبلاط المزجج باشكال والوان وتنسيق مبالغ فيه • واعتلت الكشك تماثيل لأسود كان احدها لازال في مكانه عند التقاط هـذه الصـورة •

٣ ـ جامع علاءالدين في قونية الذي يقع مع الضريح والقصر ضمن اسـوار القلعة ويشكل قلب السلطنة • بدأ بانشاء الجامع السلطان مسعود (٥١٠هـ-١١١٦م / ٥٥١هـ-١١٥٦م) واكمل بناؤه على عهد كيقباذ الاول بين عامي (٦١٧هـ-١٢٢٠م / ٦١٨هـ-١٢٢١م) ولقد استخدم السلطان كيقاباذ المعمار الدمشقي محمد بن قولان لاكمال البناء ويبدو الذوق السوري واضـحا في استعمال الرخـام ذو اللونين للزخرفـة الخارجية • وكان للجامع ثماني من سجاجيده الاصلية حتى عـام ١٩٠٥ • وقام بصنع المنبر عام (٥٤٠هـ-١١٤٥م / ٥٤١هـ-١١٤٦م) الحاج منجبرتي الاخلاطي ولا زال قيد الاستعمال حتى الآن ويعتبر محراب الجامع من اجمل ما موجود في ذلك العصر •

٤ ـ مدرسة بويوك قرهطاي في قونية ـ اسسها الوزير جلال الدين قرهطاي عام ٦٤٩هـ-١٢٥١م وتستعمل الآن معرضا لمجموعة متحف مولانا للفخار وللصناعات اليدوية الاخرى • ولقد تم تزيين القسم الاعلى من البوابة على الطريقة السورية والتي تحاكي النقوش الخارجية لجامع علاء الدين في قونية الذي بني قبل ثلاثين سنة ، بينما نجد ان النحت الحجري للمشكاة التي تشبه خلية النحل قد تأثر بالطراز الغربي الذي كان سائدا وقتئذ •

٥ ـ إنجه منارة مدرسة (أو مدرسة المنارة الرشيقة) في قونية : سميت كذلك لمنارتها الشاهقة الرشيقة ، اسسها الوزير فخر الدين صاحب عطا وشيدها كوليك بن عبدالله عام ٦٥٦هـ-١٢٥٨م لتكون كلية لاهوتية وتضم الآن مجموعة متحف مولانا من التماثيل والنحوت السلجوقية • وزينت منارتها بالأجر المزجج والبلاط ولقد اصابتها صاعقة في اوائل هذا القرن فدمرتها ، وقد بنيت اغلب جدران المدرسة بالاجر وهو لا ينسجم مع طريقة البناء التي كانت مستعملة في تلك الفترة ولكن بوابتها الرائعة النحت بنيت من الحجر •

٦ ـ تفاصيل بوابة إنجه منارة مدرسة في قونية : تعتمد زخرفتها بصورة اساسية على استعمال النقوش والكتابية منها بصورة خاصة ، ويلاحظ ان جزءا منه يشكل حزمتان تكونان اشبه ما يكون بالشريط • كما ان الزوايا المدورة للمشكاة قد ملئت بنقوش نباتية على شكل زخارف وبلا شك وعلى طريقة كوليك البنائية فان الشيء البارز في النقش هو الزخرفة البارزة •

٧ ـ اسوار قلعة قونية كما كانت عليه عام ١٨٢٥ نقلا عن كتاب Voyage en Orient, I, 1839 تأليف L. de Laborde

٨ ـ چيفته منارهلي مدرسة (أو مدرسة المنارة المزدوجة) في سيواس اسسها عام ٦٧٠هـ-١٢٧١م شمس الدين الجويني وزير المغول ايلخان الفارسي ذات الطراز المعماري المتداخل • قارن زخرفة القسم الاعلى من شكل برج المنارة على الجهة اليسرى القصوى بقاعدتها والتي تظهر بصورة مفصلة في اللوحة رقم (١٠) بينما يظهر قسم البرج على الجهة اليمنى القصوى بتفاصيله في اللوحة رقم (١١) •

٩ - گوك مدرسة (أو المدرسة الزرقاء) في سيواس واشتق اسمها من البلاط الازرق الذي زينت به • اسسها الوزير صاحب عطا وقـام ببنائهـــا كيلوك بن عبدالله في ٦٧٠هـ-١٢٧١م / ٦٧١هـ-١٢٧٢م وتعتبر من اروع ما موجود من امثالها في تركية • وتشبه المنحوتات الموجودة في واجهتها تلك الموجودة قبلها في جامع لارانده في قونيـــة والتي قام ببنائها نفس المعمار • تؤدي الباب الى ردهة ذات سـقف ثلاثي العقاقيد ، وعلى جهة اليمين يقع جامع مقبب مزين بالبلاط الملون وخلفه بركة ماء تقع في منتصف الباحة الخارجية وللأورقة الجانبيـة ردهات على شكل ايوان تحتضن في اطرافها ست غرف بنيت بطابقين•

١٠- يبدو هنا بصورة واضحة تفاصيل الاسلوب الزخرفي لتاج العمـــود والذي يتميز بدقة الزخرفة وغرابتها وباصطناع الاشكال الملتويـــة والذي يظهر فيه الاسلوب السلجوقي في الزخرفة في النصف الثـاني من القرن الثالث عشر المأخوذ من چيفته مدرسة في سيواس ، ويصل عمق اخدود الحفر في النحت الى ١٦ سم تقريبا •

١١- تفاصيل اخرى من چيفته مدرسة في سيواس حيث تتشـابه حـزم الاشرطة الملتفة لتلك الموجودة في انجه منارة مدرسة في قونية (الشكل رقم ٦) وقام ببنائها نفس المعمار قبل ما يقارب من اثنى عشر سنة ، وتكون هذه الاحزمة الملتفة موضوع التصميم •

١٢- بوابة خان السلطان على طريق قونية - آق سراى ، ويبدو من فتحتها الجامع • انشئت محطة القوافل هذه وهي من المؤسسات المكية ، عام ٦٢٧هـ-١٢٢٩م واكمل بناؤها عام ٦٣٤هـ-١٢٣٦م • ونلاحظ التأثير السوري في بناء الأسكفة - عقدة البوابة العليا - المتكونة من لونين من الرخام ، بينما نجد ان المشكاة بشكلها الطولي اشبه بحدوة الحصان وكذلك انصاف الاعمدة المربعة ذات سمة اناضولية بارزة ، تشابه الزخرفة الهندسية النجومية الشكل للحواشي الجانبية ، كما ان كل من تخطيطها والعديد من زخارفها كثيرة الشبه لتلك الموجودة في خان السلطان على طريق سيواس / قيصري •

١٣- جامع خان السلطان على طريق قيصري/سيواس ، وهو من المؤسسات الملكية ، انشيء عام ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م واكمل بناؤه بعد عشر سنوات، ويقف الجامع في منتصف الباحة ، ويرتفع برشـاقة من على قاعدة مكونة من اربعة اطواق على شكل حدوة الحصان والداخل اليه يرتقي صفين من الدرجات التي تحيط بالطاق المواجه لبوابة الخان .

١٤- تفاصيل أخرى للزخرفة الافعوانية من طاق آخر لنفس القاعدة من نفس الجامع ، ولقد اعتبر السلاجقة الافعى كشعار لاسكولابيوس Aesculapius إلاه الطب الاغريقـي ، واستعملت بنفس المعنى من قبلهم . وقد اختير التمثال المنحوت المقام للمستشفى الذي اسسه الاتابك جمال الدين فاروق عام ٦٣٣هـ-١٢٣٥م في مدينـة Cankiri جانكيري (أو جانكرا حاليا) والذي كان مديرا لمستشفيات سيواس عام ٦١٧هـ - ١٢٢٠م ، كرمز لجامعة استانبول الجديدة . ويعتبر نموذج خان السلطان من اروع نماذج ذلك العصر .

١٥- محطة القوافل في تركان - تعود هذه العمارة كما يعود الضريح المجاور لها الى بداية القرن الثاني عشر ، ولم يكن لهذا الخان الكبير المربـع الزوايا نوافذ خارجية بالاصـل ، حيث شوهت جدرانـه المستقيمة المنسقة بابراج عالية مدببة الرؤوس بنيت على مسافات منظمة والتي تشبه بشكلها نوعا من نصب المقابر المستعملة قديما في شمال بلاد فـارس .

١٦- الرواق المسقف لخان تركان - ويسمح ارتفاعه الشـاهق بدخول قوافل الجمال بالاضافة الى اصطبلات خاصة للخيل والبغال ، ويلاحظ - كما هو الحال في المسجد الجامع في ارضروم - خلوه من المنحوتات الزخرفية ، تلك الخاصية التي تسـاعد على التمييز بين العمـارات السلجوقية عن تلك التي كان السلاجقة مسؤولون عنها ، وعلى الرغم من خلو التزويق فيه ، فان اصالة تخطيط الخان ودقة تقسيمه والمهارة الواضحة في بنائه تجعله في مصاف أجمل وأروع محطات القوافل التي كانت موجودة عهدئذ .

١٧- رواق خان السلطان على طريق سيواس/قيصري وتبدو روعة التنسيق والبناء بارزة في رونق الممر الوسطي الشاهق •

١٨- جسر طوقات الذي انشيء عام ٦٤٨هـ-١٢٥٠م على نفقة الحاجب حامد بن عبدالقاسم بن الوزير الطوسي ونفقة الامير سيف‌الدين ، وقد سجلت هذه الحقيقة في الكتابة المحفورة على قاعدة الحجارة في منتصف الجسر • ولا زال الجسر يستعمل حتى الآن من قبل مختلف وسـائط النقـل •

١٩- جيفته مدرسة (اي المزدوجة) أو خاتونية مدرسة في ارضروم - قامت بانشائها عام٦٥٣هـ-١٢٥٣م هواند خاتون‌ابنة علاءالدين كيقباذ الثاني وتستعمل الآن كمتحف • وقد توج مدخلها بمنارتين مزينتين بالملاط ومنهما اشتق اسمها ، وتعيد الى الاذهان شبيهتها جيفته مدرسة في سيواس (لاحظ اللوحة رقم ٨) ويحيط الرواق المعمّد بفناء قـائم الزوايا والذي يحتوى على الردهات المركزية التي تشمل على سـت غرف بطابقين ويحتل ضريح هواند خاتون الجهة القصوى منه ، وتكرر الطاقة الصماء المقامة على السقف المخروطي شكل الطوق العريضـة المقامة على الجدران الجانبية ، ونلاحظ ايضا ان اغلب اقسام البنـاء منحوتـة •

٢٠- جامع اشرف أوغلو في بايشهر - قامت بتأسيسه عائلة معروفة بنفس الاسم عام ٦٩٦هـ-١٢٩٦م / ٦٩٨هـ-١٢٩٨م والتي برزت بعد انهيار حكم السلاجقة كحكام للبيلوك أو الامارة التي تحمل اسمهم ، وعلى الرغم من ان الجامع يعود لتاريخ متأخر فان طرازه ذا الطوق وشكله العام وجدرانه المستقيمة التقليدية ومنارته وتربته وسقفه المنبسـط تدل على مدى تأثير العمارة السلجوقية في آسيا الصغرى •

٢١- قيزيل كول (أو البرج الأحمر) - ويشكل المحور الاساسي لاستحكامات (علائية) • شيد البرج من الاحجار المربعة المنحوتة عام ٦٢٤هـ-١٢٢٦م وقام ببنائه المعمار السوري ابو علي بن ابي الرقة الكتاني الحلبي ، ويبلغ قطر هيكله المثمن الاضلاع (٩٥) قدما وارتفاعه الى اعلى نقطة فيه (١٠٨) أقدام • ومخططه الداخلي معقد بشكل منفرد غريب ، وتتصل طوابقه بسلم حجري يقود الى شرفة السطح • ولزيادة المعلومات انظر كتاب Alanya لمؤلفيه D. Storm Rice and Seton—Lloyd المطبوع في لندن عام ١٩٥٨ •

٢٢- واجهة دار الاسحلة البحرية أو المسفن (الترسانة) في علائي - بنيت عام ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م اي بعد سنتين من بناء قيزيل كول الذي كان حصنا لها ، ولا يشاهد منها من الخارج سوى سورها البحري بفتحاته الخمس التي تشبه حدوة الحصان وكذلك شرفات تحصيناتها، ويبلغ طول هذا السور ١٨٧ قدما • وتقود الاقواس هذه الى خمس ردهات مسقفة تنزل الى عمق ١٣١ قدما تحت الصخور • وقد بنيت هذه الردهات بالآجر المفخور وانيرت بواسطة فتحات في سقوفها على مسافات منتظمة • وقسمت الاسوار التي تفصل الردهات بعضها عن بعض بواسطة اربعة اقواس أو أطواق وكانت كل ردهة من السعة بحيث تستطيع استيعاب السفن الكبيرة للاختفاء فيها أو بنائها سرا في الداخل ولا يزال الصيادون يستعملون هيكل الدار هذه حتى يومنا هذا •

٢٣- رسم من عمل الراهب رابراكس للخيام التي شاهدها عند زيارته لبلاط المغول عام ٦٥١هـ-١٢٥٣م نقلا عن كتابه الذي اعاد طبعه (دي بيرگيرون) • ولعل شكل هذه الخيام هي التي اوحت للسلاجقة بناء أضرحتهم على مثالها •

٢٤ـ دونركمبت في قيصري ويعود تاريخها الى عام ٦٧٥هـ-١٢٧٦م وعلى الرغم من شكلها التقليدي فانها تتميز بروحية زخرفتها النحتية المتقنة • وقد بنيت كضريح للاميرة شاه جيهان خاتون وهي من اكثر القباب زخرفة • وتحوي زخارفها على مزيج من الزخارف العربية والهندسية فضلا عن العديد من الاشكال الحيوانية كالاسد والنسر والطيور التقليدية الاخرى وسعف شجرة النخيل التي ترمز الى شجرة الحياة •

٢٥ـ ضريح انشيء عام ٧٢٢هـ-١٣٢٢م على ضفاف بحيرة وان في منتصف طريق وان ـ اختاوان بأمر من عزالدين لزوجته الاميرة حليمة ، ولا ينم عن زمنه المتأخر سوى شكل اطواقه الصماء ومشكاته على واجهة جدرانه المثمنة الشكل •

٢٦ـ عمود وتاجه من رواق چيفته مدرسة في ارضروم عام ٦٥١هـ-١٢٥٣م يبين الاستغلال الناجح للاشكال الهندسية على اسطوانة العمود وتناسق الاشكال النباتية على تاجه •

٢٧ـ خرائب جامع دنياشهر (وتعرف حاليا بأسم قوچحصار) ـ كان في زمنه من أهم محطات القوافل ، وتبين لنا هذه الخرائب بصورة واضحة الاساليب المتعددة التي استعملها السلاجقة في عماراتهم •

٢٨ـ تفاصيل من البوابة الشمالية للجامع الكبير في ديوريغي ـ انشاءه أحمد بن ابراهيم التفليسي وخرامشاه بن محيد الاخلاطي عام ٦٢٦هـ ـ ١٢٢٨م ، وتبين اغلب اشكاله التأثير الهندي اكثر من الطابع القفقاسي • ولعل الزخرفة الوسطية المركزية قد تأثرت بشكل من اشكال الدروع القديمة ، لاحظ دقة الكتابة النحتية الموجودة حول قمة التاج الستالاكتي الشكل •

٢٩ـ تفاصيل أخرى من نفس البوابة ـ ويبدو هنا تأثير آسيا الوسطى وشمالي فارس واضحا ، ويعيد نمط هذه التفاصيل الى الاذهان صناعة الملاط في همدان وبصورة خاصة زخارف القبة العلائية فيها •

٣٠- مقبض برونزي على شكل رأس ثور من مجموعة قوينغلو في قونيـة ابعـاده ٦سم × ٦سم ٠

٣١- تفصيل من واجهة آق خان في آقسراي - بنيت بين عامي (٦٤٨هـ - ١٢٥٠م / ٦٥٩هـ - ١٢٦٠م) ٠ ويلاحظ ان شـكل الطائر يختلف عن مثيله في قرهطاي خان ، فهو اشد استقامة وصـرامة وحـدة في الشكل ٠ واستعيض بالزخرفة الهندسية بما يشبه الاشرطة كحياكة السلّة مكونة من دوائر وانحناءات ٠ كما ان الرسوم المثلثة الزوايا على الحواشي ذات سمة من آسيا الوسطى وتشابه الى حد كبير تلك الموجودة في جامع خان السلطان على طريق سيواس - قيصري ٠

٣٢- تفاصيل من واجهة ضريح تورمتاي في عماسية يعود تاريخه الى عـام ٦٧٧هـ-١٢٧٨م/٦٧٨هـ-١٢٧٩م ٠ وتضم هذه العمارة ذات الطابقين البقايا المحنطة لجثمان سيف‌الدين تورمتاي أمير عماسـية ٠ وقـد زخرفت الاقسام العليا من جدران الضـريح بحواشـي واشـرطة ذات احجام متباينة مكونة سمات متكررة ٠

٣٣- عيار برنزي من المصنوعات الاورتقيدية محفوظ في المتحف الوطني في باريس ويوجد شـبيه له في المتحف الاسكتلندي الملكي في ادنبره ، ويظهر في كلا النموذجين التأثير الفارسي ٠
ولكننا نجد ان العلامات الموجودة على جسم الحيوانين الخرافيين ذي الرأس البشري ، على الكثير من الحيوانات ذات الشكل الاناضـولي والصناعة السلجوقية ٠

٣٤- عيار برونزي من مجموعة قوينغلو في قونية يبلغ قطره ١٢سم ، ان زخرفته البسيطة المتكونة من نجمة واشـكال نباتيـة ذات اصـالة سلجوقية ٠

٣٥- تمثال أسد من الحجر المنحوت مأخوذ من كشك علاءالدين في قونية ، وعلى هذا يمكن اعتبار تاريخه يعود الى الفترة الواقعة بين عامي (٦٤٤هـ-١٢٤٦م / ٦٦٣هـ-١٢٦٤م) ٠ وهو محفوظ الآن في متحف الفن التركي والاسلامي في اسطنبول ، يبلغ ارتفاعه ١م و ٥٦سم ويشابه الى حد بعيد النمط الحثي في النحت اكثر من النمط السيتي٠

٣٦- حاشية منحوتة من واجهة چيفتة مدرسة في ارضروم عام ٦٥١هـ - ١٢٥٣م تبين أسدين يقفان على جانبي شجرة الحياة وفوقها نسر ، كانت هذه المجموعة النحتية موضوعة على طاق شبيه بحدوة الحصان وتكون النقوش البارزة الاخرى التصميم بشكله الكامل ٠

٣٧- بلاطة منحوتة من الرخام تمثل نسرا - مأخوذة من قلعة قونية وعلى هذا يمكن اعتبار تاريخها يعود الى حوالي عام ٦١٨هـ-١٢٢١م ٠ تبلغ مقاييسها ٩٠سم × ٩٤سم وهي محفوظة الآن في متحف إنجه منارة في قونية وكانت موضوعة في الاصل فوق الجنين المجنحين المنتصبين فوق المدخل الرئيسي للقلعة ، ويشبه شكل النسر فيها مثيله الموجود على قطعة النسيج الحريرى في اللوحة رقم (٥٧) ٠

٣٨- حاشية نافذة - يرجعها كل من فان بيرخيم وشترايكو فسكي الى مدينة ديار بكر وهي محفوظة الآن في متحف الفن التركي والاسلامي في اسطنبول ويشكل الخط الكوفي والكتابة والمثلثات المواضيع الاساسية لها ، بينما تبعث اشكال الحيوانات الحركة فيها ٠ وفي نظر الباحثين المذكورين أعلاه والذي جاء في مؤلفاتهما المسمى Amida والمطبوع في هيدلبرگ عام ١٩١٠ وفي الصفحة ٣٥٧ منه ، ان الكتابة المحفورة فيه خالية من اي فائدة تاريخية وان تاريخ النحت يعود الى القرن الثاني عشر ، ولكن تشابه نوعية اجنحة الحيوانات الشبيهة بالاسد والمأخوذة من قلعة قونية قد يجعل تاريخها يعود الى بداية القرن الثالث عشر اكثر احتمالا ٠ ولعل هذه النظرية تكون اكثر ثباتا ان تمت مقارنة شكل الصقور في هذه المنحوتة بتلك الموجودة على واجهة خان آق في آقسراي - انظر الصورة رقم (٣١) ٠

٣٩- يزين هذا النحت البارز سور قلعة قونية والذي يمثل تنينا بجسم افعى ينتهي بذيل له رأس تنين آخر ، وعلى هذا يمكن ان يعود تأريخه الى حوالي عام ٦١٨هـ-١٢٢١م • وتبلغ مقاييسه ٣٣سم × ٩٦سم ويشابه شكل حيوانات تعود الى نفس التاريخ والتي كانت تزين باب الطلسم في بغداد حيث يصارع الخليفة الناصر لدين الله هذه الحيوانات والتي تمثل اعداءه كل من شاه خوارزم والمغول الغزاة • وعلى الرغم من ان استعمال شكل التنين في الفن قد وصل السلاجقة من الصين أو من العالم المسيحي على السواء ، فيمكن ايضا ان يعتبر ان استعماله اصيل في الفن السلجوقي ، اذ استعمله الفردوسي كرمز أو علامة فارقة لبدو أواسط آسيا الرحل من ذوى الاصل التركي •

٤٠- قطعة نحتية تبين حيوانا متوحشا يطارد فيلا كانت جزءا من سور قلعة قونية وعلى هذا يمكن اعتبار تاريخها يعود الى حوالي عام ٦١٨هـ - ١٢٢١م • وتبلغ مقاييسها ١٥٠سم × ٥٥سم وهي محفوظة الآن في متحف إنجه مدرسة في قونية• ويقارن سار Sarre في كتابه Kleinasiatischer Kleinkunst بين شكل الفيل في هذه المنحوتة بشكل غطاء الفيل المرسوم على ضريح شارلمان في مدينة آخن ويرجح ان الفنانين الذين رسموا هذه الفيلة قد تأثروا بفن النسيج الساساني ، وعلى كل حال فان الاتصال المباشر مع الهند عن طريق غزنة أو خوارزم يؤكد هذه التشابه وخاصة شكل النقطة والفارزة الظاهرتين على جسم الحيوان المهاجم في هذه المنحوتة ، لها نفس مثيلاتها الظاهرة في شكل الجواهر الهندية •

٤١- منحوتة مقياس ٩٠سم × ٩٠سم يبدو فيها جنديان يرتديان خوذة مدببة وزرد يعود تأريخه الى القرن الثالث عشر الميلادي ، وهذا النوع من الملابس العسكرية يطابق وصف الفردوسي للاجهزة العسكرية التركية والتي قال بان لونها كان اسودا • تبدو نوعية النحت خشنة وبدائية ولكنها لا تختلف عن مثيلتها الايغورية والتي نسبت الى الصناعة السلجوقية والموجودة ضمن مجموعة خاصة في امريكا والتي ضم صورتها Oktay Aslanape, E. Diez في كتابيهما Turk Sanati أما المنحوتة الاناضولية فهي محفوظة في متحف الفن التركي الاسلامي في اسطنبول •

٤٢ـ أحد زوجي نحتين حجريين مقياس ١٥٣سم × ٩٤سم كانا مقامين بالاصل فوق المدخل الرئيسي لقلعة قونية وعلى هذا يعود تاريخهما الى حوالي عام ١٢٢١م • وهما محفوظان الآن في متحف إنچه مدرسة في قونية • ولقد اعتبرهما تاكسيه بانهما يمثلان هرمزد واهريمن ـ الخير والشر ـ ويعيدان الى الاذهان العديد من الاشكال الكلاسيكية والبيزنطية للملائكة المجنحة مثيلها كمثال الجني الساساني الذي اقامه خسرو الاول عام ٦٢٠م في طاق بستان• ويشبه التاج الذي يعتمره هذا النموذج ، تاج الخليفة ناصرالدين في النحت المقام فوق مدخل باب الطلسم في بغداد عام ٦١٩هـ-١٢٢٢م والذي تم نسفه لسوء الحظ عام ١٩١٧م عندما كان برج الباب يستعمل كمخزن للذخيرة • ونلاحظ ان شكلي قونية يحملان منشفة في يدهما اليسرى وكذلك على الاغلب شكلا مستديرا ولعله كان يمثل الشمس والقمر أو العالم •

٤٣ـ منحوتة لعازف عود ، ويعود تاريخه الى القرن الثالث عشر محفوظ الآن في متحف ستايلج في برلين • وعلى الرغم من بساطة الشكل فان مهارة النحت تعتبر ذات مستوى عالي ، كما انه دقيق وجميل • وقد اهتم السلاجقة بالموسيقى وقام فنانوهم وبصورة خاصة الفخارون منهم بابراز اشكال عازفي العود (طنبور) • وتوجد بلاطة من قصر قوباداذ محفوظة الآن في متحف قرهطاي في قونية تمثل الطراز الفارسي لهذه الاشكال اكثر مما يؤديه هذا النحت •

٤٤ـ اناء من البرونز والميناء ، يحمل اسم الامير الآرتقي سكمان بن داود من حصن كيفا الذي حكم منعام ٥٠٨هـ-١١١٤م الى عام ٥٣٩هـ-١١٤٤م يلاحظ من شكله وطرازه ومن التطعيم النفيس الفخم بالميناء وبصورة خاصة النقش الوسطي منه بانه صناعة بيزنطية ذات صفة يونانية ، ولكن بعض اشكال الحيوانات الصغيرة قريبة الشبه بالنقوش التي تزين طيلسان توماس بيكيت والمحفوظة في فيرمو والتي اكد البرفسور ستورم رايس على اصالتها الاسلامية • وعلى فرض ان الاناء من صنع يوناني وهو ما يبدو محتملا ، فانه بلا شك قد صنع في مصنع اسلامي ولا يمكن ان يكون الفريد من نوعه في ايامه تلك •

٤٥- مشبك حزام ذهبي مقياس ٧½سم في ٦سم محفوظ الآن في القسم الاسلامي من متحف برلين الغربية • ان الشكل البارز للكائنات الظاهرة في هذا المشبك تنفي الانطباع السطحي لأصله الفارسي وتدل على صناعته الاناضولية • كما ان شكل اجنحة الحيوانات الشبيهة بأوراق الاشجار ورؤوس الملائكة ، تمثل العديد من تصاميم القرن الثالث عشر الميلادي ولكن شدة تشابه أشكال الكائنات الظاهرة في هذا المشبك بالحيوانين الخرافيين المتوجين والمصنوعين من الجص والمحفوظين في متحف اجميدزن ترجع ان للمشبك علاقة بكيخسرو الثاني ، اذ لشدة تعلقه بزوجته الجيورجية أهتم بابراز التأثير القفقاسي وعلى هذا يمكن فرض الفترة بين عامي ٦٣٤هـ-١٢٣٦م / ٦٤٤هـ-١٢٤٦م تاريخ صنع هذا المشبك •

٤٦- باب من الخشب المحفور لمنبر جامع أشرف أوغلو في بايشهر قد يعود تاريخه الى القرن الثالث عشر الميلادي • يلاحظ ان جوانب المنبر محفورة باشكال هندسية رشيقة منتظمة •

٤٧- باب من الخشب المحفور برسوم هندسية يعود الى القرن الثالث عشر ، كما يلاحظ ان تصاميم الازهار والريازة العربية نسقت مع الكتابة المحفورة فيه لتكوّن زخرفة متجانسة •

٤٨- محراب جامع صاحب عطا فى قونية مشيد من البلاط ، أسسه الوزير عام ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م وقام ببنائه كيلوك بن عبدالله ويعتبر من أروع النماذج من نوعه • تطلب فن بنائه من البلاط المزجج الفسيفسائي الى قطع البلاطات الى العديد من الاشكال الهندسية لتسهل أمر تركيبها في الجزء الداخلي منه وذلك لتأمين تثبيتها فيه بدقة •

٤٩- احدى ثماني سجاجيد سلجوقية يعود تاريخها الى القرن الثالث عشر والتي كانت لا تزال قيد الاستعمال في أوائل هذا القرن في جامع علاء الدين في قونية وهي محفوظة الان في متحف مولانا في قونية • وعلى الرغم مما أصابها فلا زالت محافظة على أبعادها الاصلية اذ يبلغ عرضها حوالى ثلاثة أمتار • وقد أبدى لنا البروفسور اردمان

في كتـــابه Der Turkische Teppich des 15 Jahrhunderts, Istanbul أسبابا مقنعة ليدل على ان السجادة صناعة قونية وعلى افتراض انها أهديت الى الجامع ، ان لم يكن من قبـل السلطان نفسه ، فمن قبل أحد وزرائه او حاشيته على الاقل •

٥٠ـ اهدى جمال الدين صاحبي حامل القرآن الكريم هذا الى جلال الدين الرومي عام ٦٧٧هـ-١٢٧٨م / ٦٧٨هـ-١٢٧٩م ، ويلاحظ ان الحامل مصنوع من خشب الجوز المحفور والمنقوش وهـــو محفوظ الآن في متحف مولانا في قونية ، وتبلـــغ مقاييسه ٩٤٫٥سم في ٤٢٫٥سم • الوجه الخارجي للحامل محفور بعناية فائقة وبريازة عربية متقنـــة تحيطها حاشية مربعة ، كما ان الكتابة المحفورة فوق القسم الاسفل منه قد تم حفرها بمهارة واعتناء دقيقين •

٥١ـ تفاصيل للزخرفة الملونة من الوجه الداخلي لحامل القرآن الكريم وتبين لنا هذا اللوحة نموذجا للنقش السلجوقي الاصيل • وقد تمت زخرفتها باللونين الذهبي والاسود على قاعدة حمراء • يبدو التصميم ضمن دائرة محاطة بحاشية مربعة وقد ملئت الفراغات في الزوايـــا برسوم نخيلية متقنة كما أحتوت الرصيعة الوسطية التي تمثـــل الحركة المركزية للشكل على نسر مزدوج الرأس دقيق التنسيق طوله ٣٥سم مرسوم في خضم ما يشبه شبكة العنكبوت مكونة من العديد من الريازة العربية على شكل ازهار متكررة ومعادة تبدو كغابة يظهر فيها أربعة عشر أسدا • ونلاحظ من هذا الوصف ان أسلوب الرسم الموجود في كشك علاء الدين في قونية والذي تم انشاؤه من قبل عشر الى عشرين سنة من هذا التاريخ ، كثير الشبه في نسقه ، ولما كان لهذا الرسم علاقة وثيقة بتلك الرسوم الموجودة في قصر ريـــال في بالرمو فعلينا اذن ان نلقي نظرة دقيقة وفاحصة على رسوم العرب المسلمين في صقلية لتكون لنا فكرة واضحة عما كانت عليه الرسوم السلجوقية في قونية •

٥٢- طاس للاستعمال اليومي من مجموعة متحف قيصري ، يبـلغ قطره ٥ر١٦ سم ويعود تاريخها الى أواسط القرن الثالث عشر الميلادي • لونت من الخـارج بالاخضر مع خطوط بنية ومن الداخل نقشـت الخطوط البنية على لون أصفر يعطى بريقا أخضر ، وأحتوت الرصيعة الوسطية على رسوم نباتية •

٥٣- بلاطة يظهر فيها بهرام گور وليلى يصطادان تبلغ مساحتها ٢٠سم[٢] ، وعلى الاغلب يعود أصلها الى قصر علاء الدين في قونية ، وهي محفوظة الآن ضمن مجموعة قوينغلو • وعلى الرغم من ان الصفات الايغورية والفارسية تبدو فيها لأول وهلة ، فان التصميم والتنسيق اناضولي أصيل ويشمل ذلك أيضا الطلاء وطريقة التلوين • ان اللون الغالب فيها هو الازرق مع مسحة خلفية من اللون الاخضر الخفيف ، لـون الحصان ضارب الى البياض مع مسحة خفيفة من اللون الارجواني على الغزال ويتناسب لون قماش السرج الازرق مع ملابس گـور التي تختلف ألوانها من اللون الارجواني الى اللون الازرق وذات مسحة من اللون الذهبي ، وكذلك مع لون ملابس ليلى ذات اللون الاخضر الفاتح • وهناك أيضا مسحة من اللون الاسود بصورة عامة •

٥٤- قطعة كبيرة من سجادة سلجوقية صغيرة من جامع عـلاء الدين في قونية ويعود تاريخها الى أواسط القرن الثالث عشر الميلادي • وهي محفوظة الآن في متحف مولانا في قونية • تحتوي المعينات ذات الشكل الالماسي على حركة مستقاة من تصميم أقدم تظهر فيه الحيوانات وقد جلست ظهرا لظهر (انظر الصورة رقم ٣٧) • ويتخـلل ذلك وفي صلب التصميم وبصورة منتظمة رسوم على شكل مجن أو قلب ذات طراز متميز •

٥٥- جزء من نسيج حريري ذي لون أحمر وذهبي وجد في احدى الاديرة في مدينـة أوفيرن وهـو محفـوظ الآن في المتحـف التاريخـي للنسيج في مدينـة ليـون • تحمل الكتابـة التي تكون الحاشـية على تاريخ سنة ٦١٦هـ ، أي حوالي عام ١٢١٨م/١٢١٩م وتشير الى السلطان كيقاباد الاول ابن السلطان كيخسرو الذي بنى معظم أجزاء مدينة قونية • وعلى الرغم من ان الفهود كانت أقل شعبية من الاسود

فقد استعملت تلك للدلالة على القوة الملكية ، ونلاحظ ان الفهـدين الظاهرين على هذا النسيج يقفان على الجانبين ولكن يتجـه وجهيهما الى الامام ، بينما تمسك مخالبهما على شكل يشابه شـكل تلك الافعى المشتبكة بمخالب نسر لتمثال من قلعة قونية • وقد ذكر لنا دليل متحف ليون في طبعته الصادرة عام ١٩٢٩ بانه يرجح ان يكون هذا النسيج من صنع مصر ، ولكن لا يوجد لدينا أي دليل على صحة هذا الادعاء اذ ان أسلوب الرسم وكذلك فان بقيـة الصـفات الاخرى في التصميم ذات خاصة اناضولية ، كما يمكن العثور على مثيـلاتها من التصاميم في العديد من البلاطات والتماثيل لقصر قونية •

٥٦ـ قطعة من نسيج ذهبي وأحمر من معبد أبوللنياري في مدينة سيگبرك وتعود الآن الى القسم الاسلامي من متحف برلين الغربية • وعلى الرغم من قطعة النسيج هـذا قد نسبت الى كل من باليرمو وبغداد فانهـا ذات اصالة سلجوقية ومن آسيا الصغرى ، وبالتأكيد على انها صنعت في قونية لأحد السلاطين او أحد أفراد حاشية بلاطة ، وتكوّن النسور والتي هي الشعار الملكي الظاهرة البارزة فيها وأما تنسيقها فشبيه لتمثال النسر الذي يمسك أفعى بمخالبه والذي ـ كما رسم تخطيطه لابارد ـ يعود تاريخه الى عام ١٨٢٥م (انظر الصورة رقم ٧) والذي يظهر فوق مدخل القلعة ، وعلى هذا الاساس فانه من المحتمل ان لهذا النسيج علاقـة بعلاء الدين كيقـاباذ الاول (٦١٦هـ ـ١٢١٩م / ٦٣٣هـ ـ ١٢٣٥م) أو خليفته ، وممـا يؤسف له ان حاشية النسيج مفقودة والتي كانت بلاشك تحمل بعض الكتابات • فالشكل المجني للرصيعة قد يبدو للناظر ذا اصالة غربية ، ومع هذا فان هذا الشكل كثير الاسـتعمال في الفن الاسـلامي ، وقـد ذكر لنـا ماير في بحثه عن الدروع العربية الاسلامية من انه يظن ان هذا الشـكل يمثل شعارا لمنصب في الدولة لا نعرف شيئا على ماهيته في ايامنـا هذه • كما ان هذا الشكل يظهر كذلك على الطاس الموجود فى متحف قيصري (أنظر الصورة رقم ٥٣) •

٥٧ـ وجه مجموعة من النقود السلجوقية بحجمها الطبيعي • وهي كما يلي من اليسار الى اليمين •
الصف الاعلى : ١ ـ عملة فضية لقليج آرسلان الثاني ـ قونيـة

٥٨٢هـ-١١٨٦م ٠

٢ ـ عملة فضية لمسعود الثاني ـ ماردين / بيبرت ٦٨٧هـ/٦٨٩هـ ـ ١٢٨٧م/١٢٨٩م ٠

٣ ـ عمـــلة فضية لكيخسرو الثالث ـ قونيـــة ٦٧٤هـ ـ ١٢٧٥م ٠

الصف الاوسط : ١ ـ عمله فضية لقليج أرســلان الرابع ـ سيواس ٦٤٦هـ ـ ١٢٤٨م ٠

٢ ـ عملة فضية لكيخسر الثـــاني ـ سيواس ٦٣٨هـ ـ ١٢٤٠م ٠

٣ ـ عمـــلة فضية لكيكاوس الاول ـ قونيـــة ٦١٠هـ ـ ١٢١٢م ٠

٤ ـ عملة فضـــية لكيخسرو الاول ـ قونيـــة ٦٠٤هـ ـ ١٢٠٥م ٠

الصف الاسفل : ١ ـ عمـــلة فضـــية لسليمان الثـــاني ـ قيصرى ٥٩٧هـ ـ ١٢٠١م ٠

٢ ـ عملة نحاسية لسليمان الثاني ـ بدون تاريخ أو مكان ضربها ٠

٣ ـ عملة نحاســـية لمغيث الدين طغرل شـــاه ٦١٣هـ ـ ١٢١٥م ٠

٤ ـ عمـــلة فضية لكيكاوس الاول ـ قونيـــة ٦١٠هـ ـ ١٢١٢م ٠

٥٨ـ الوجه الآخر للنقود السلجوقية المذكورة اعلاه (اللوحة رقم ٥٨) ٠

المحتويات

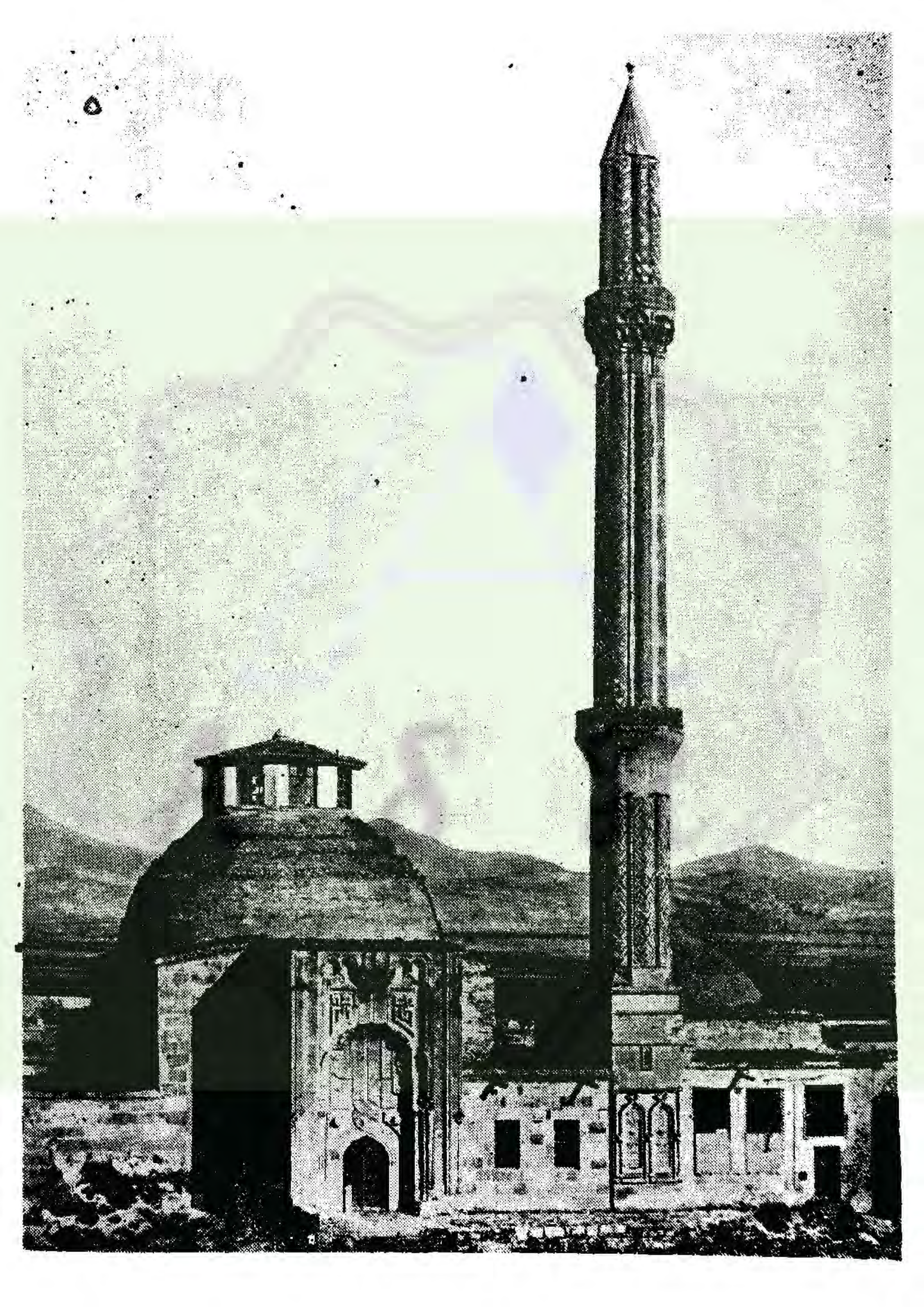
منشورات مكتبة بغداد

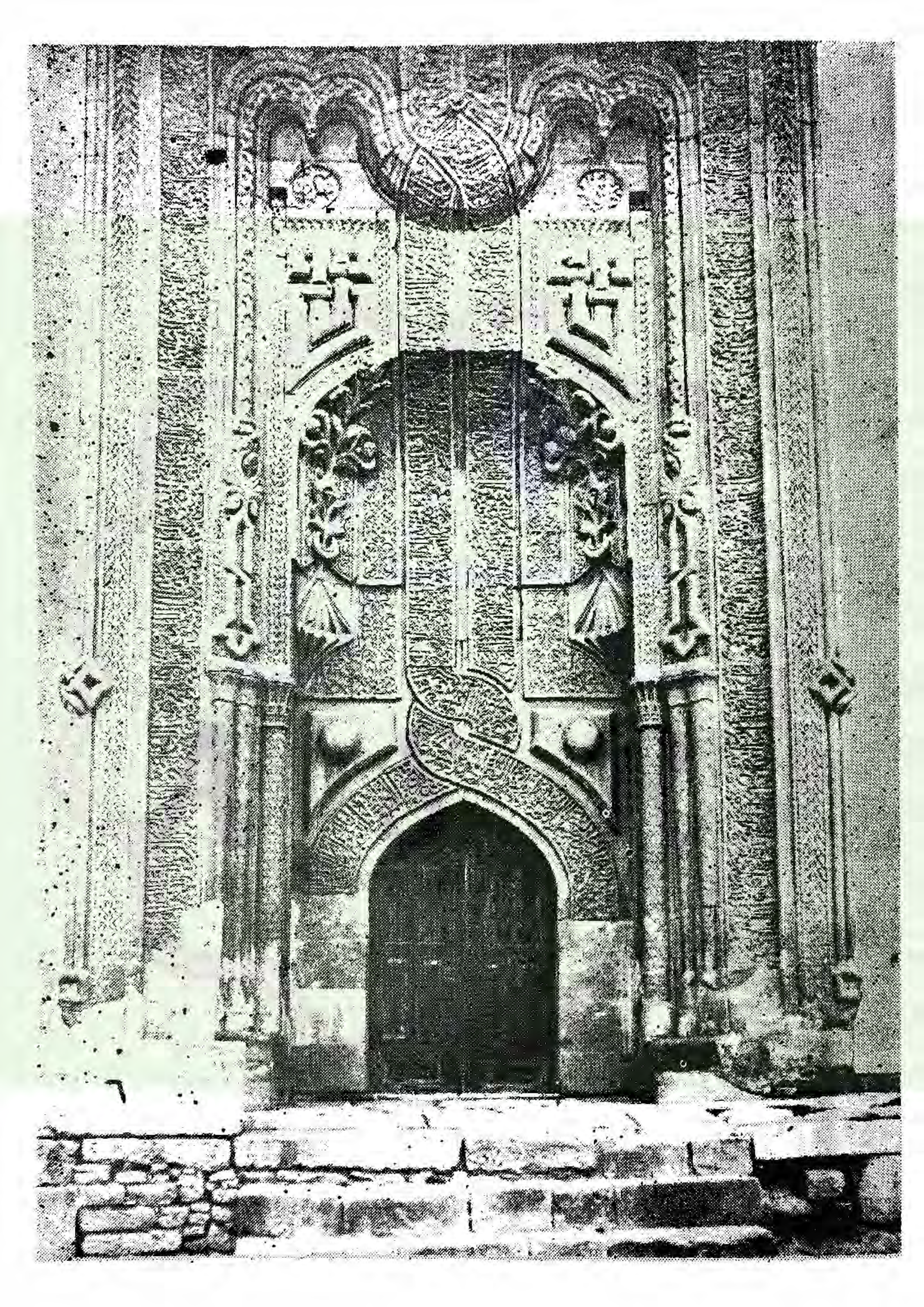
٢١/٢٠٠٠/١٩٦٨



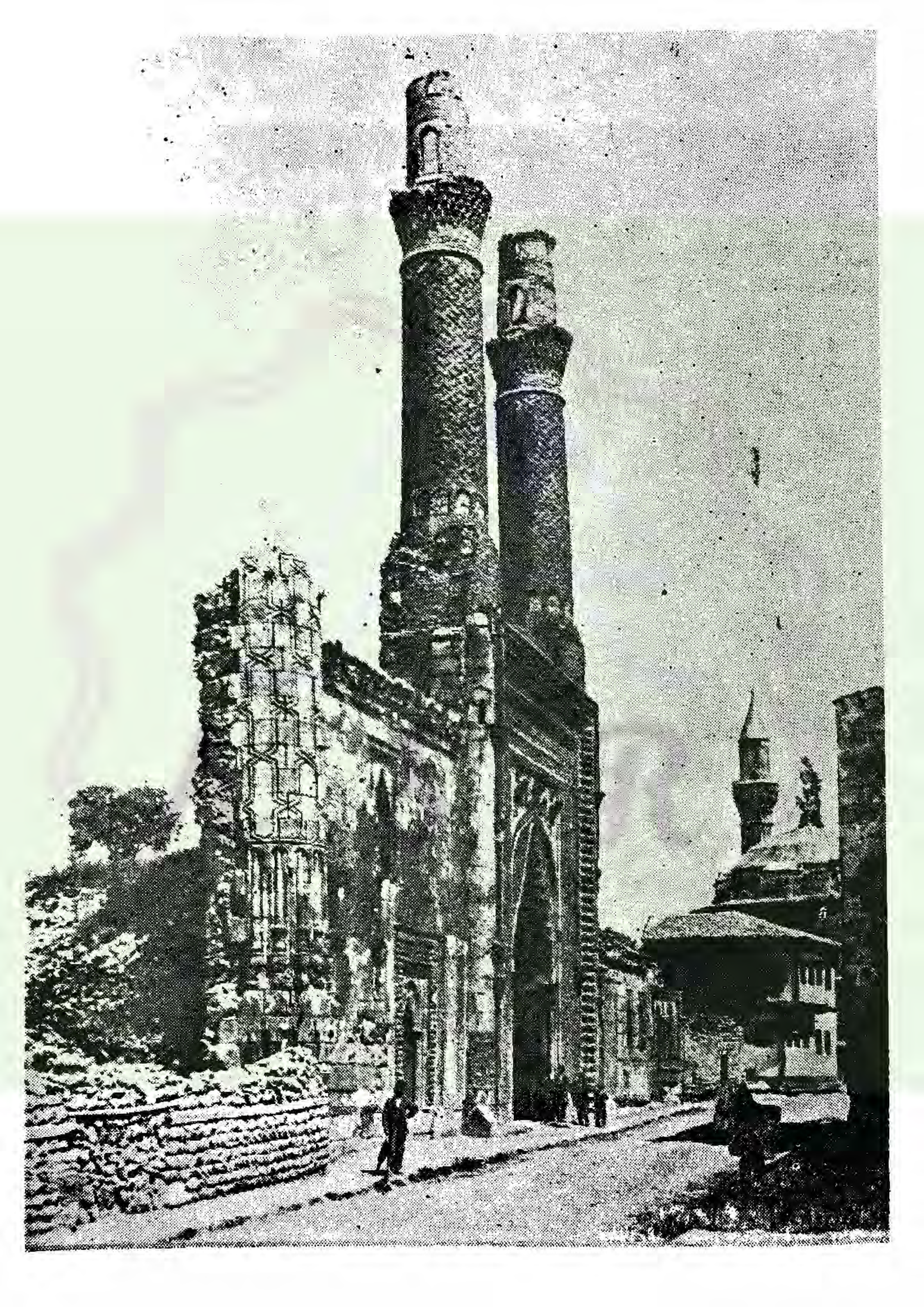


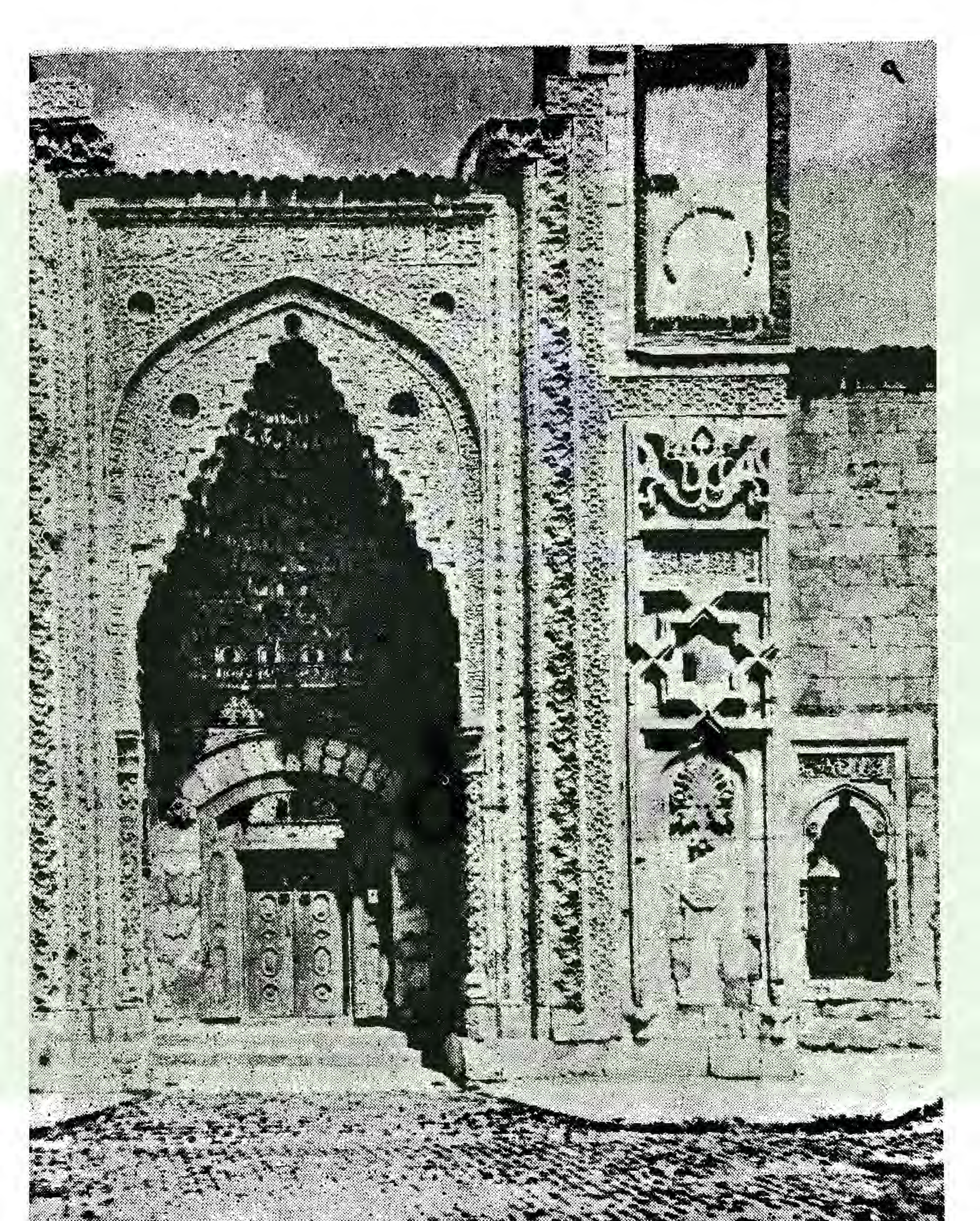


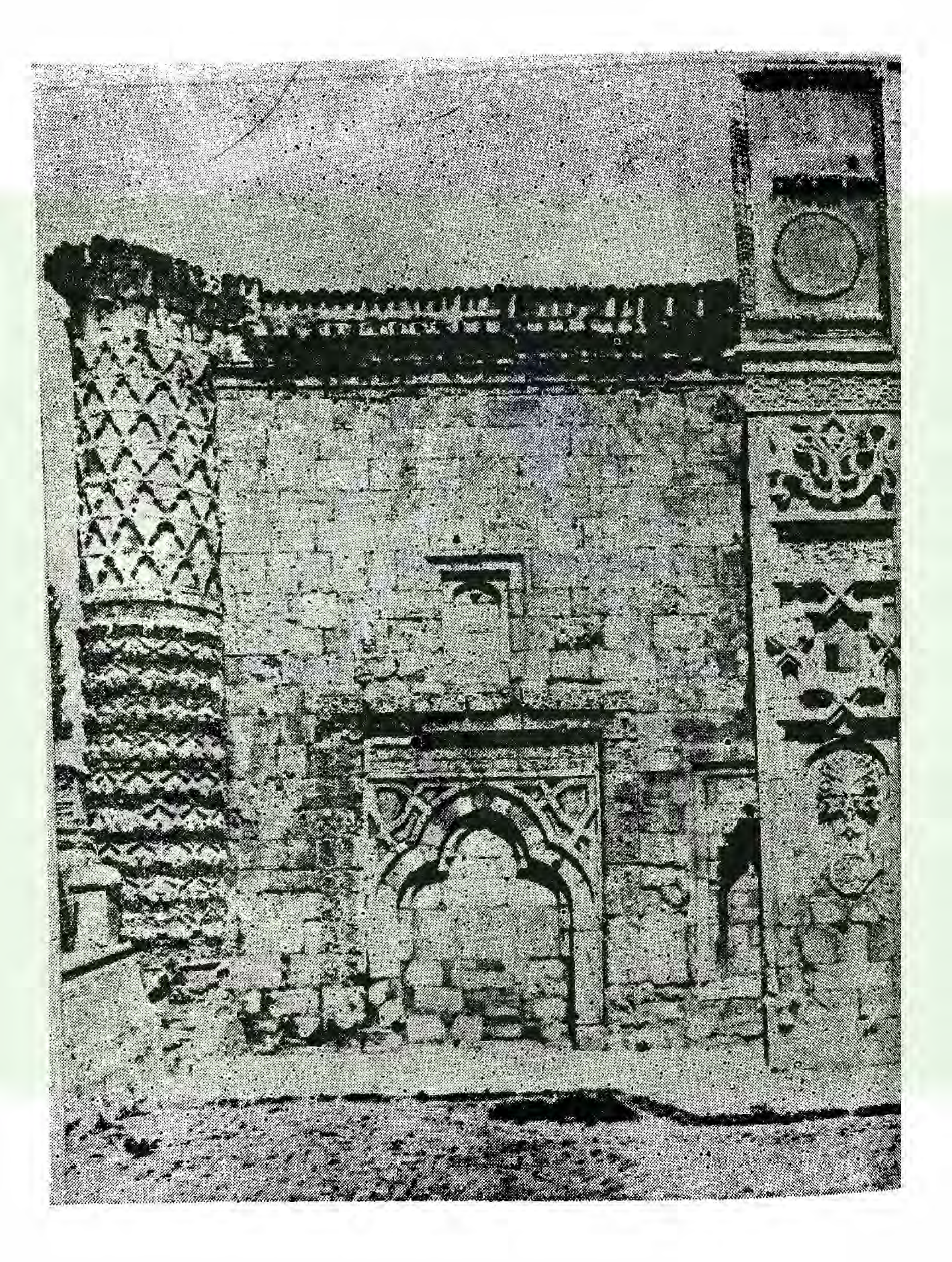


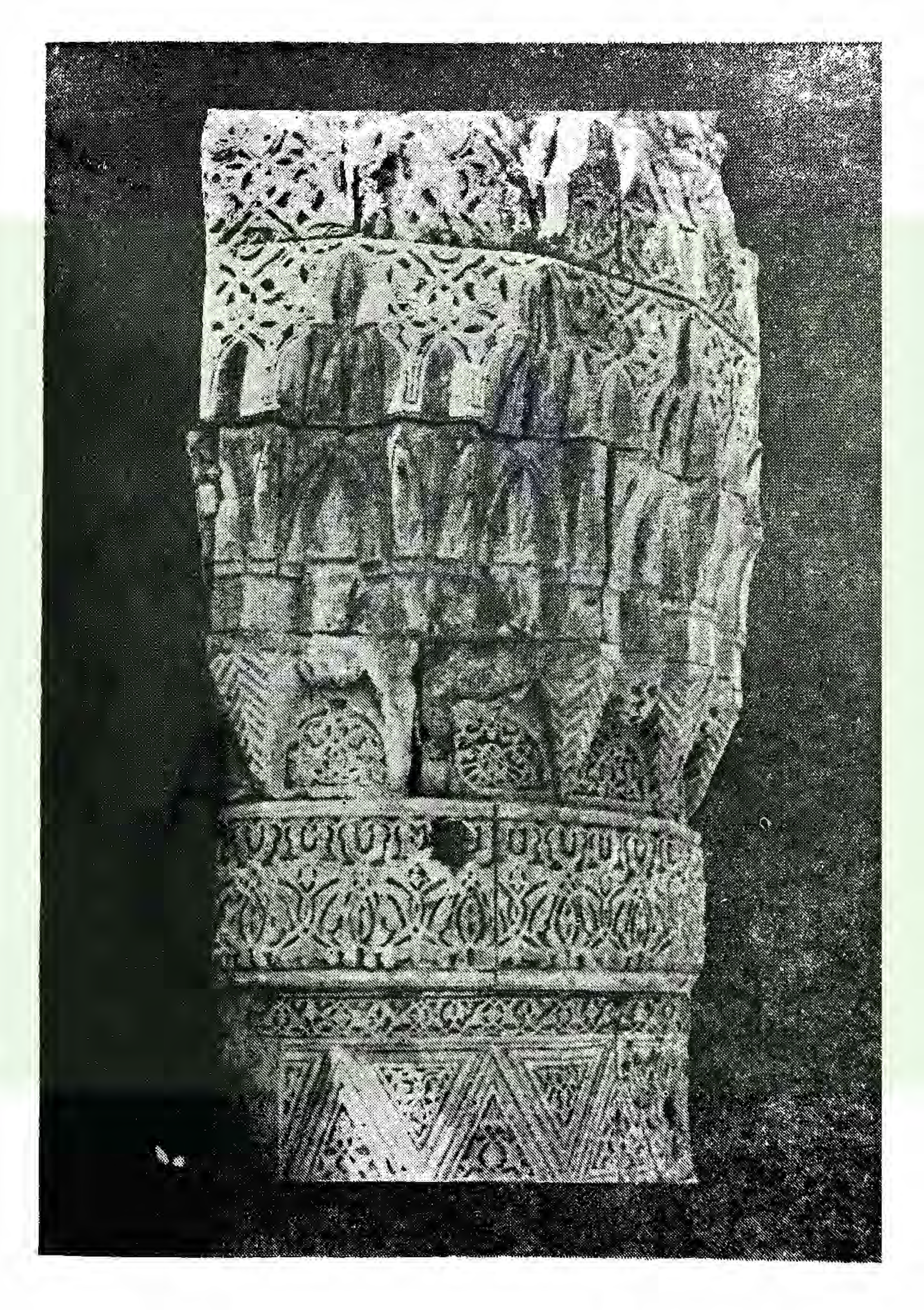






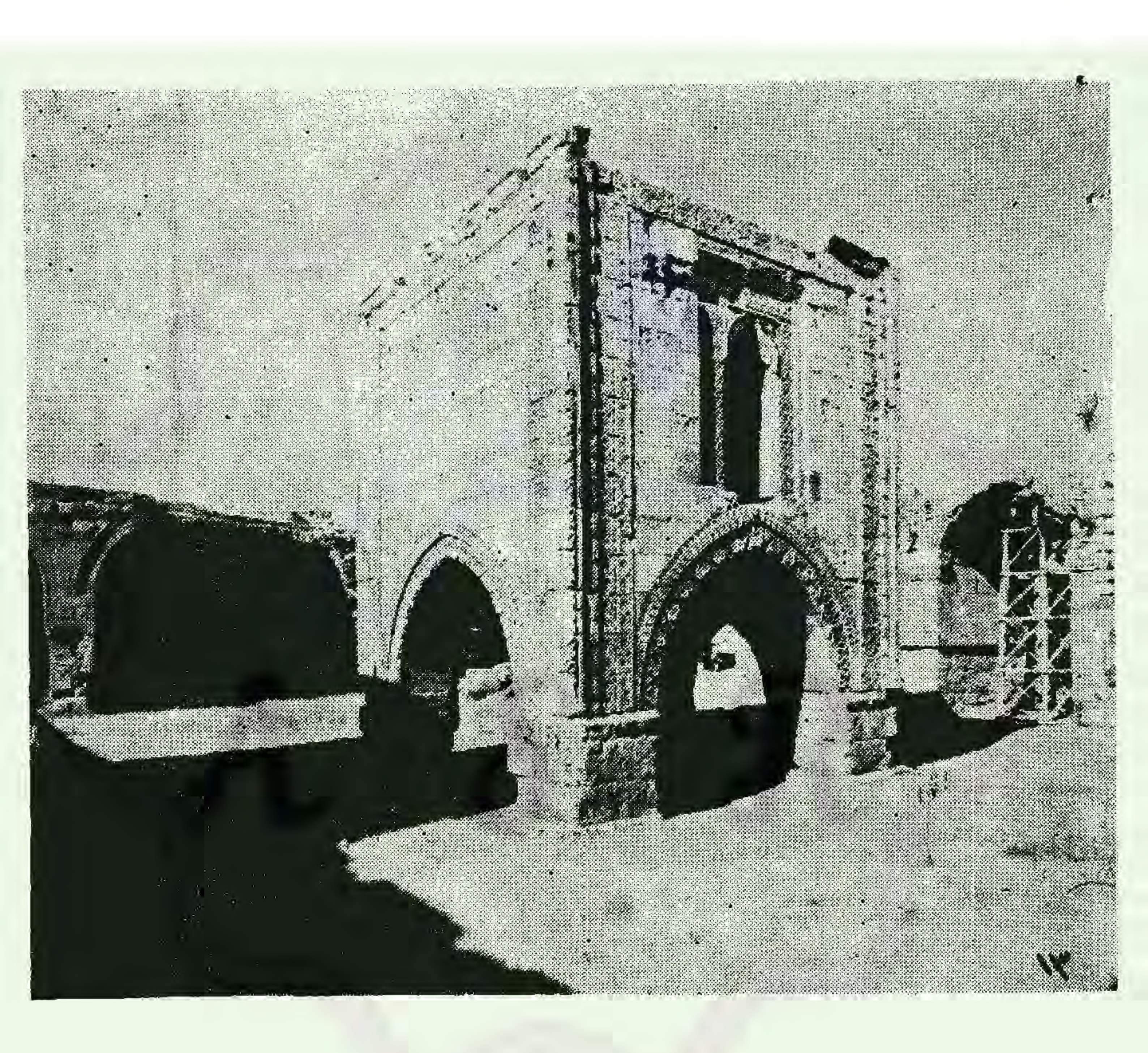












١٥

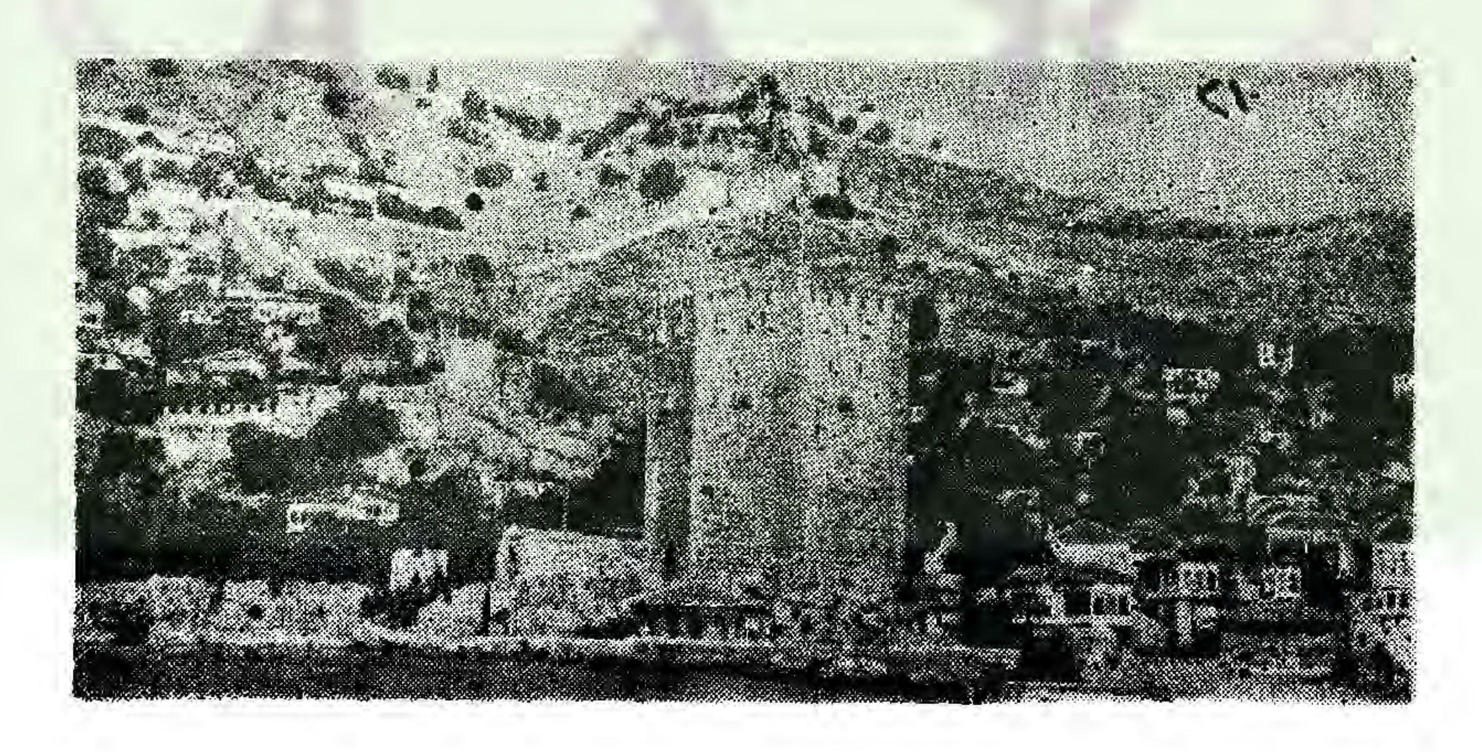
١٧

١٨

١٩

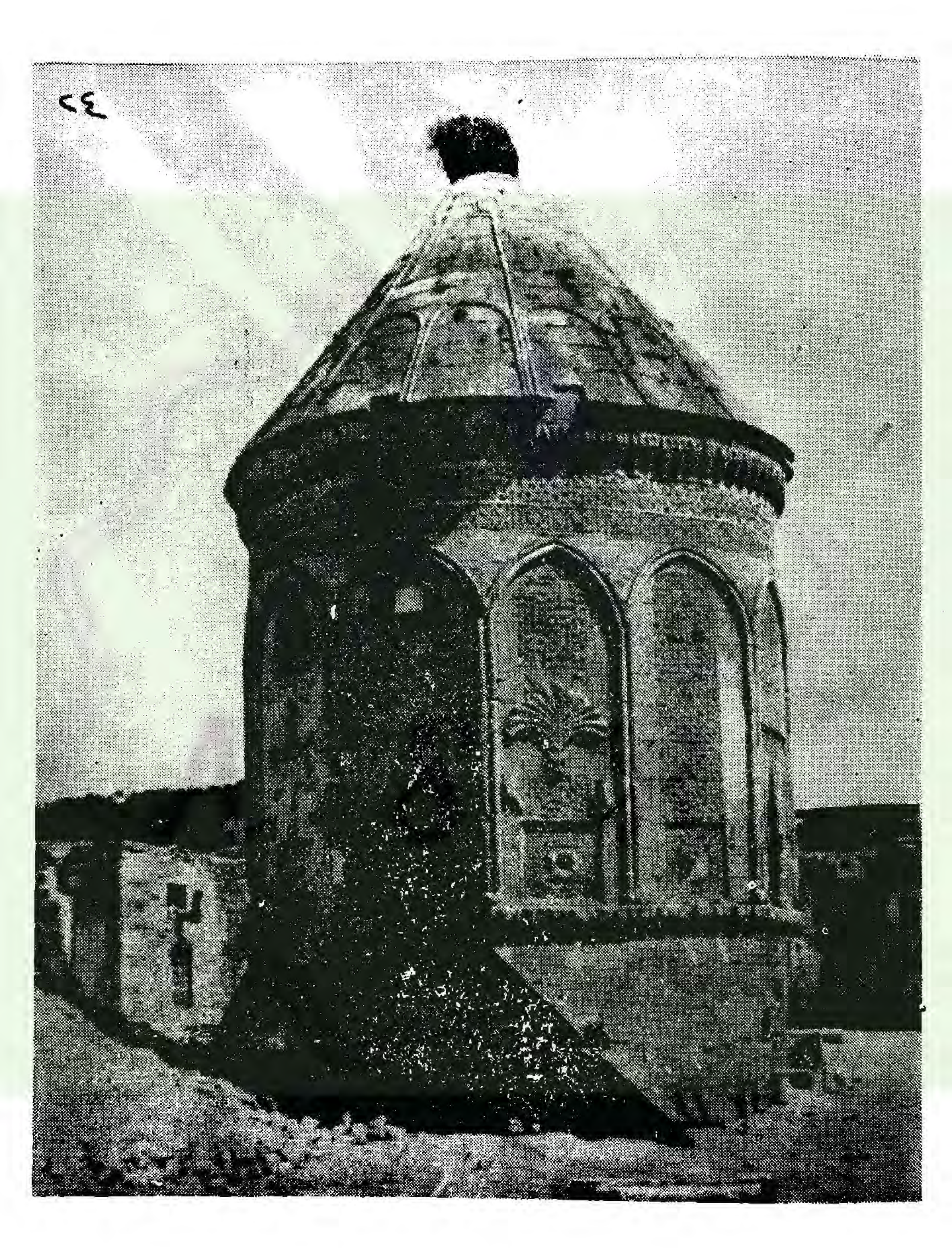
١٤

١٦

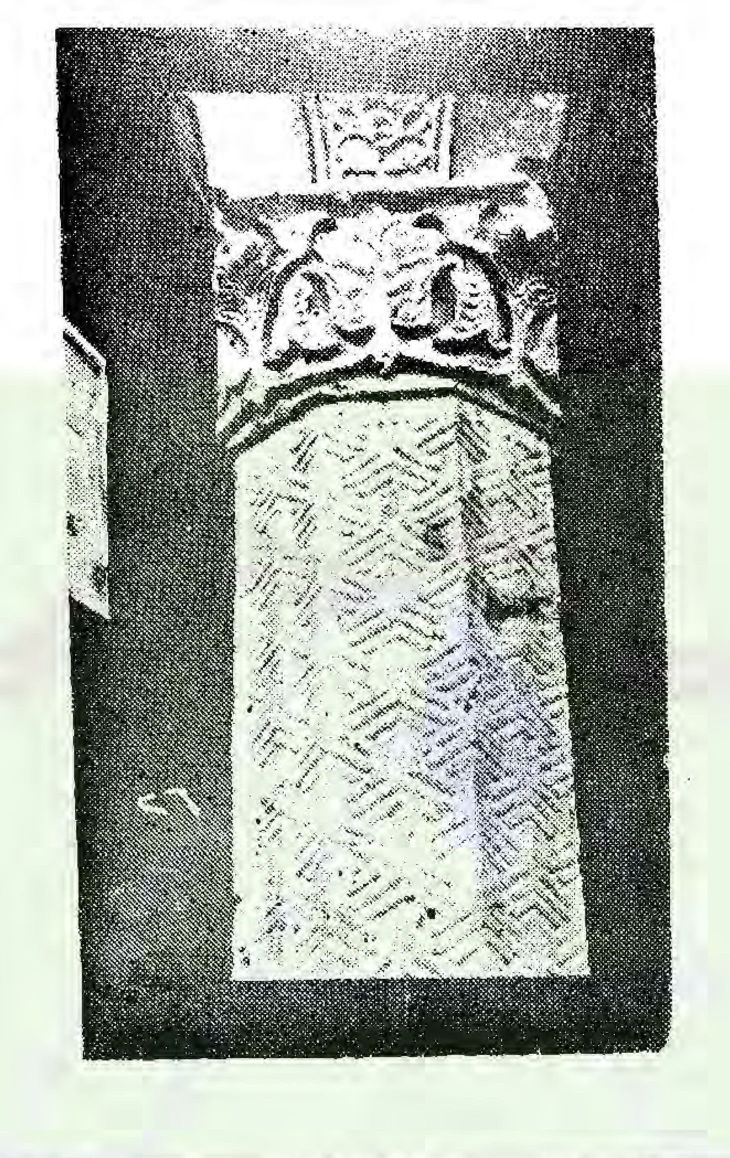


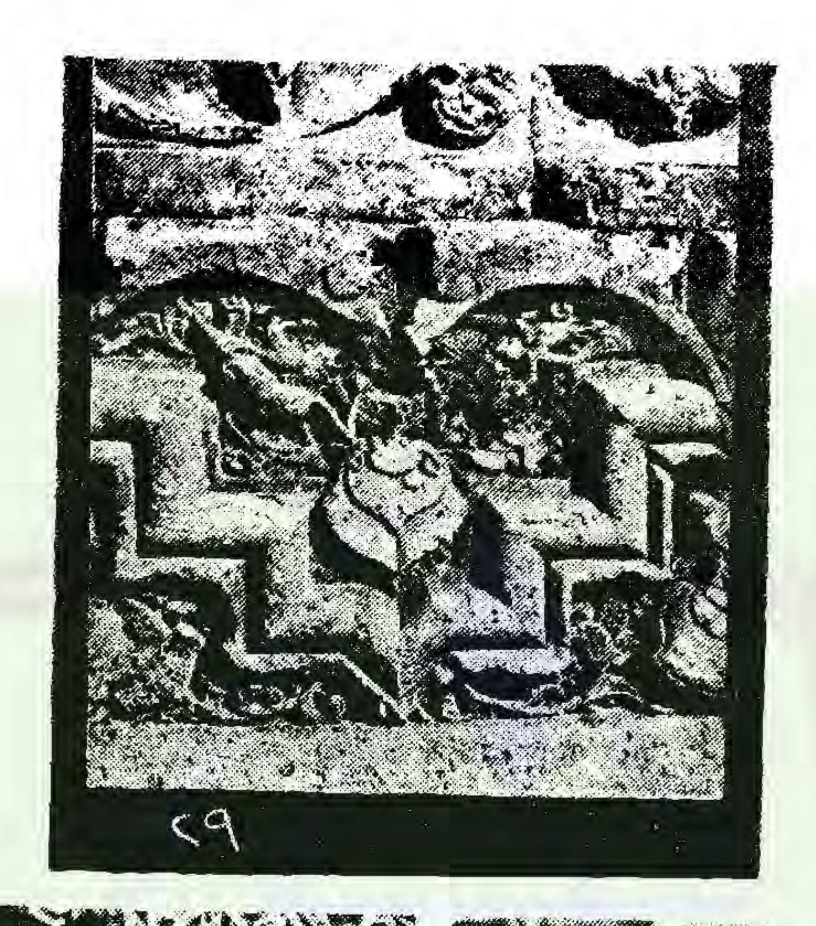


٢٣





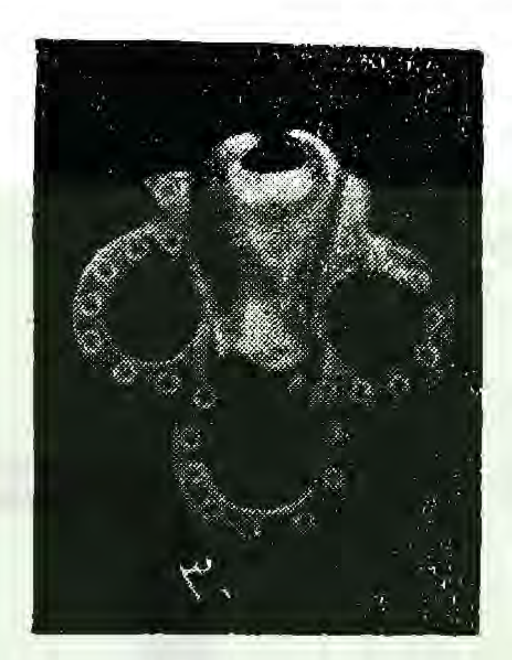




٢٩

٢٨





۳۲

٣٣

٣٤



٣٥



٣٦


٣٧


٣٨


٣٩

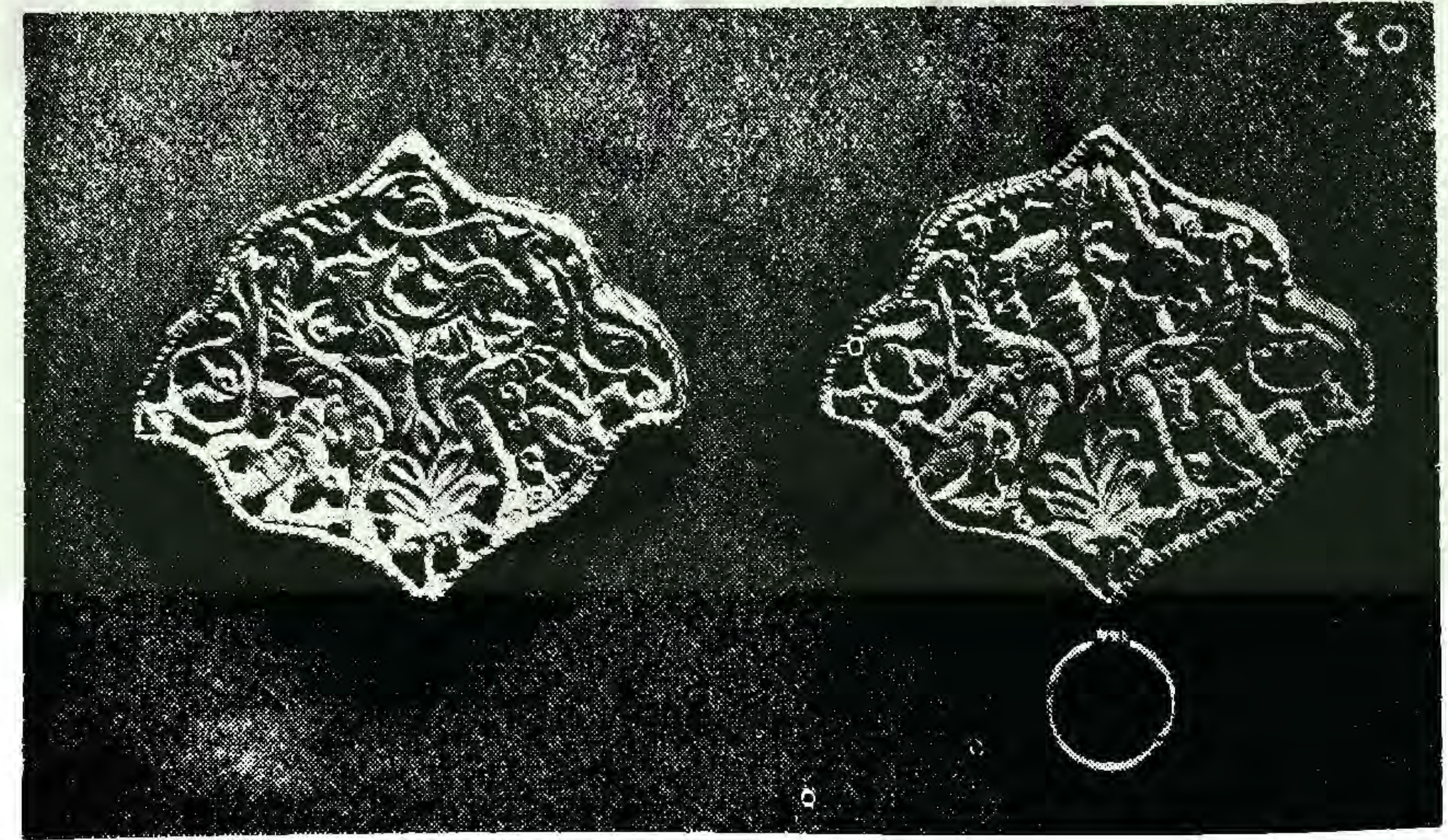

٤٠

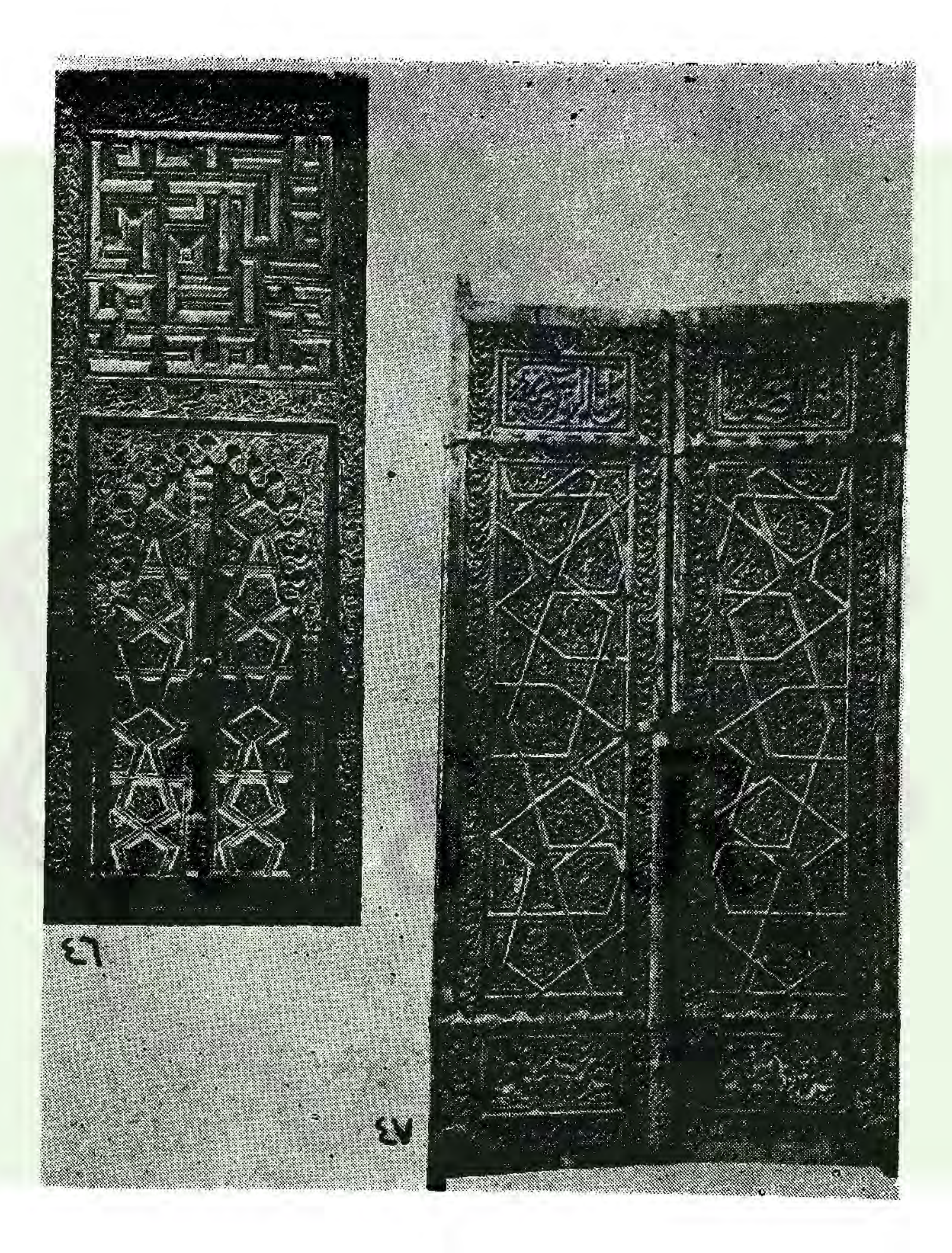


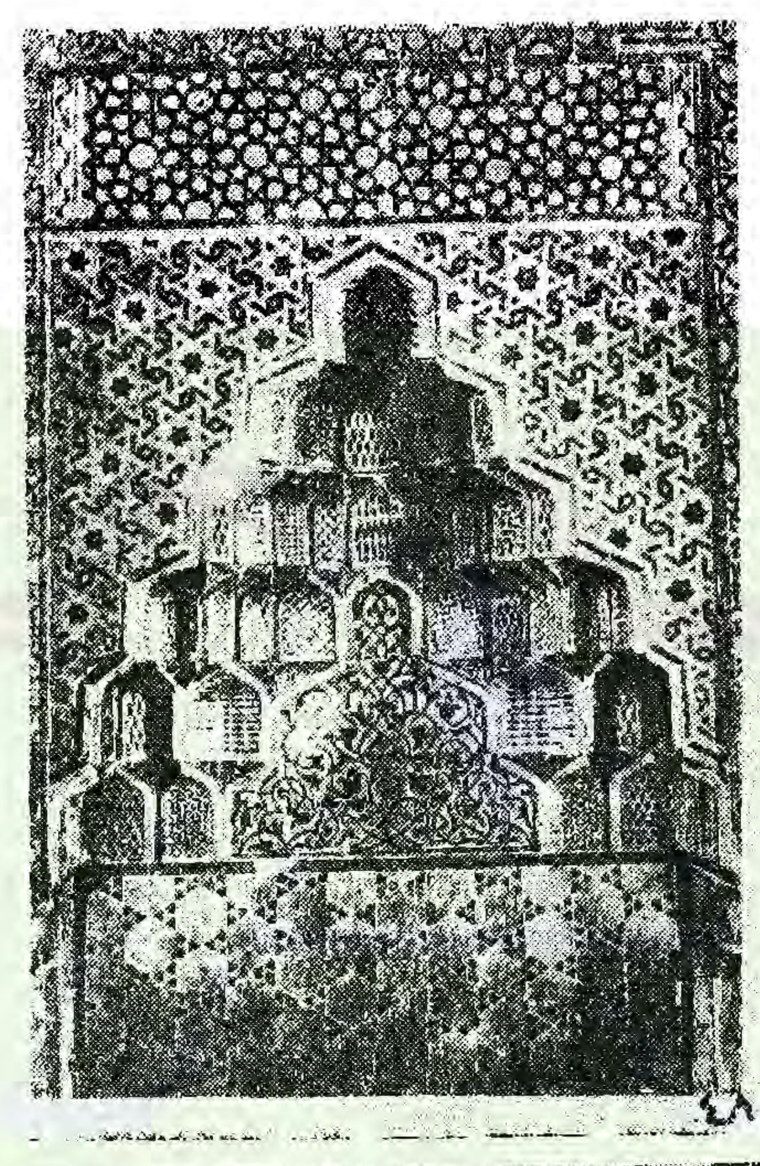



٤٣

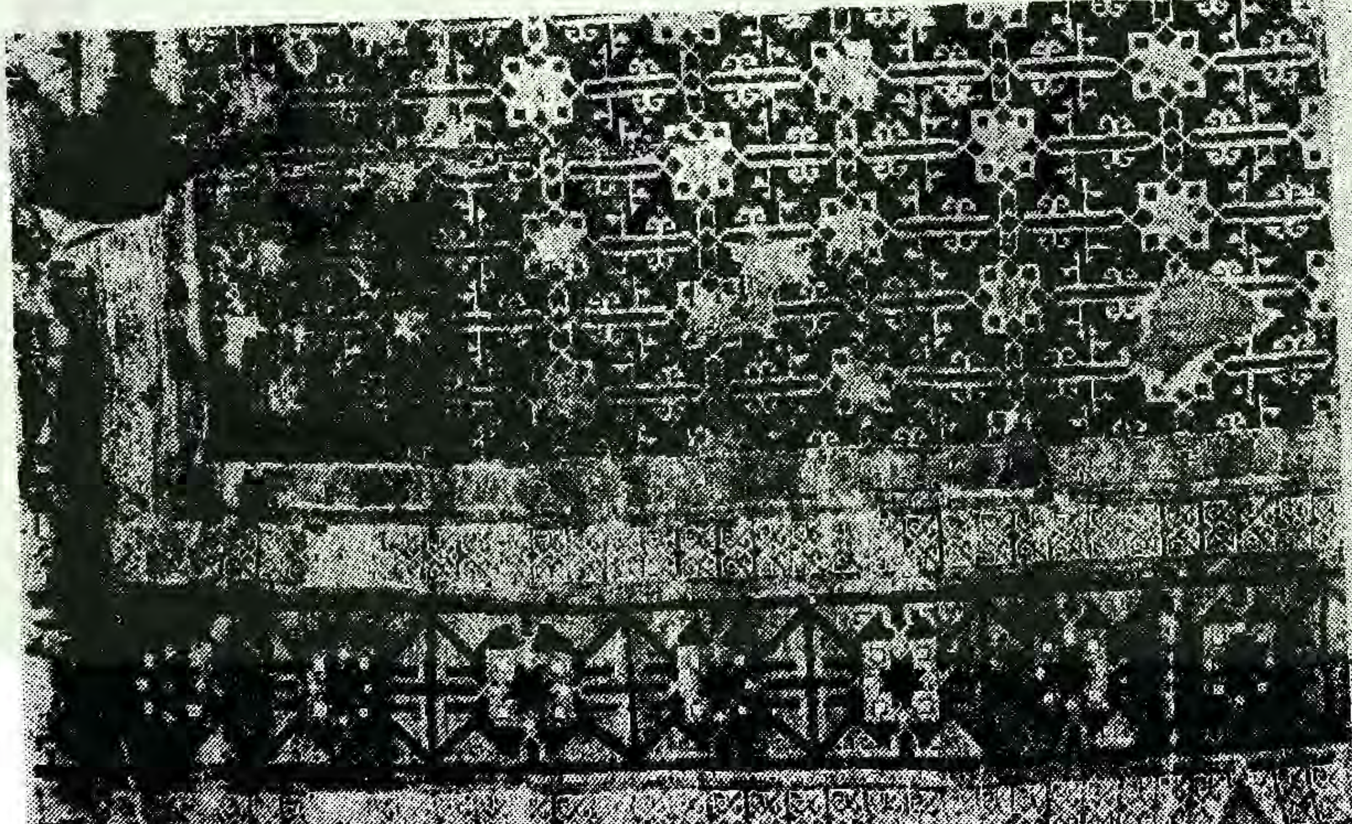
٤٤



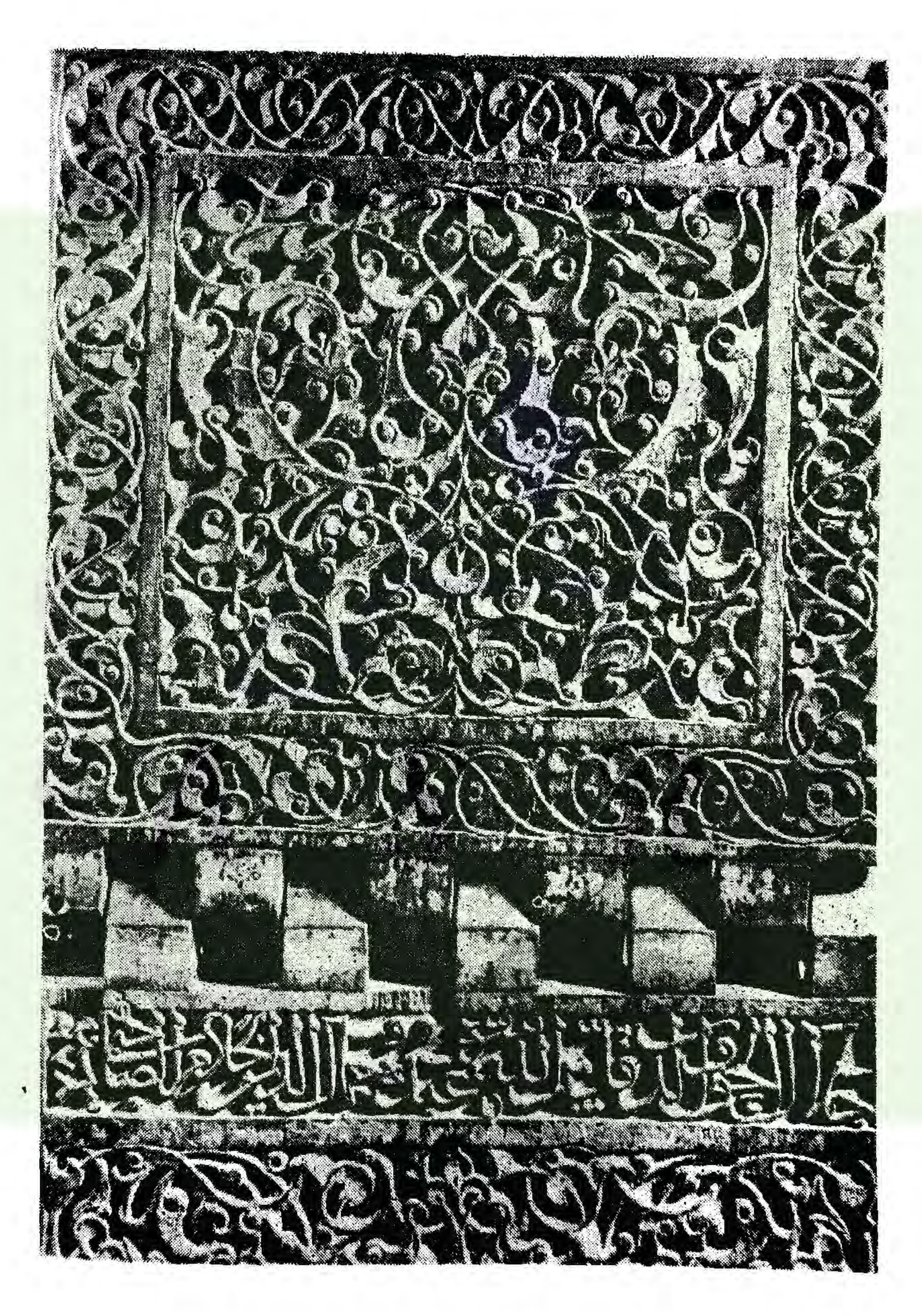

٤٦
٤٧



٤٨



٤٩



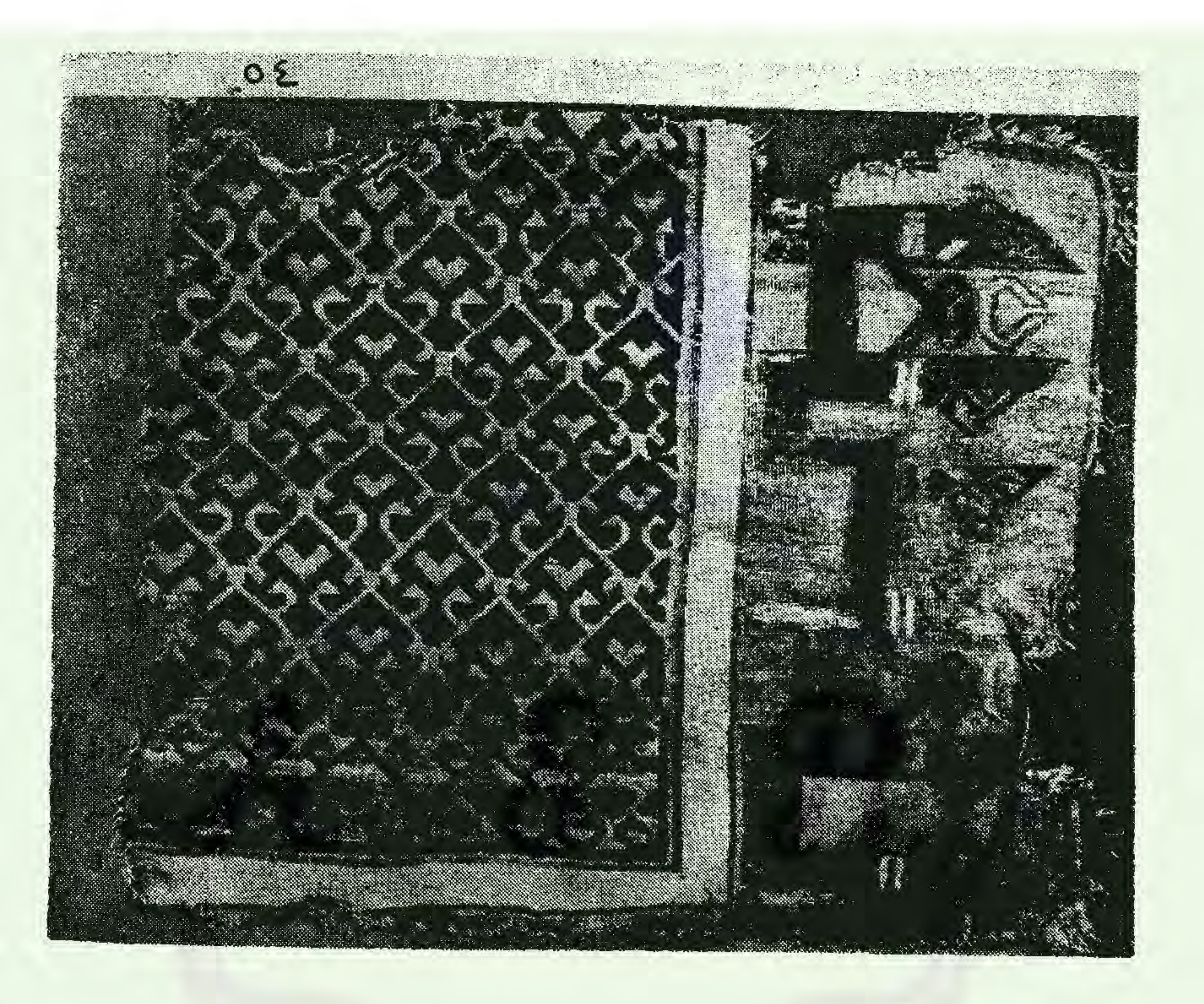
٥١

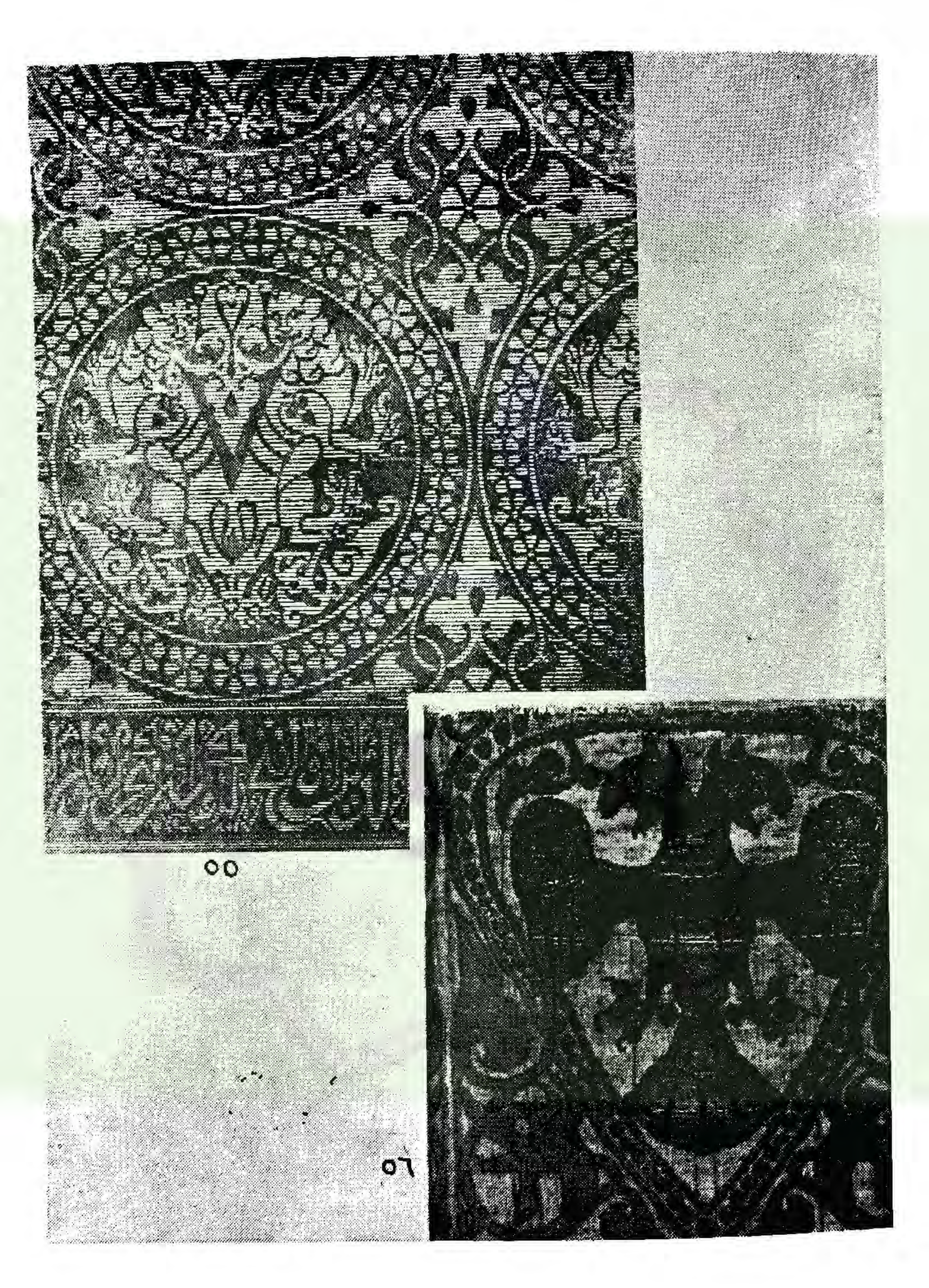


٥٢



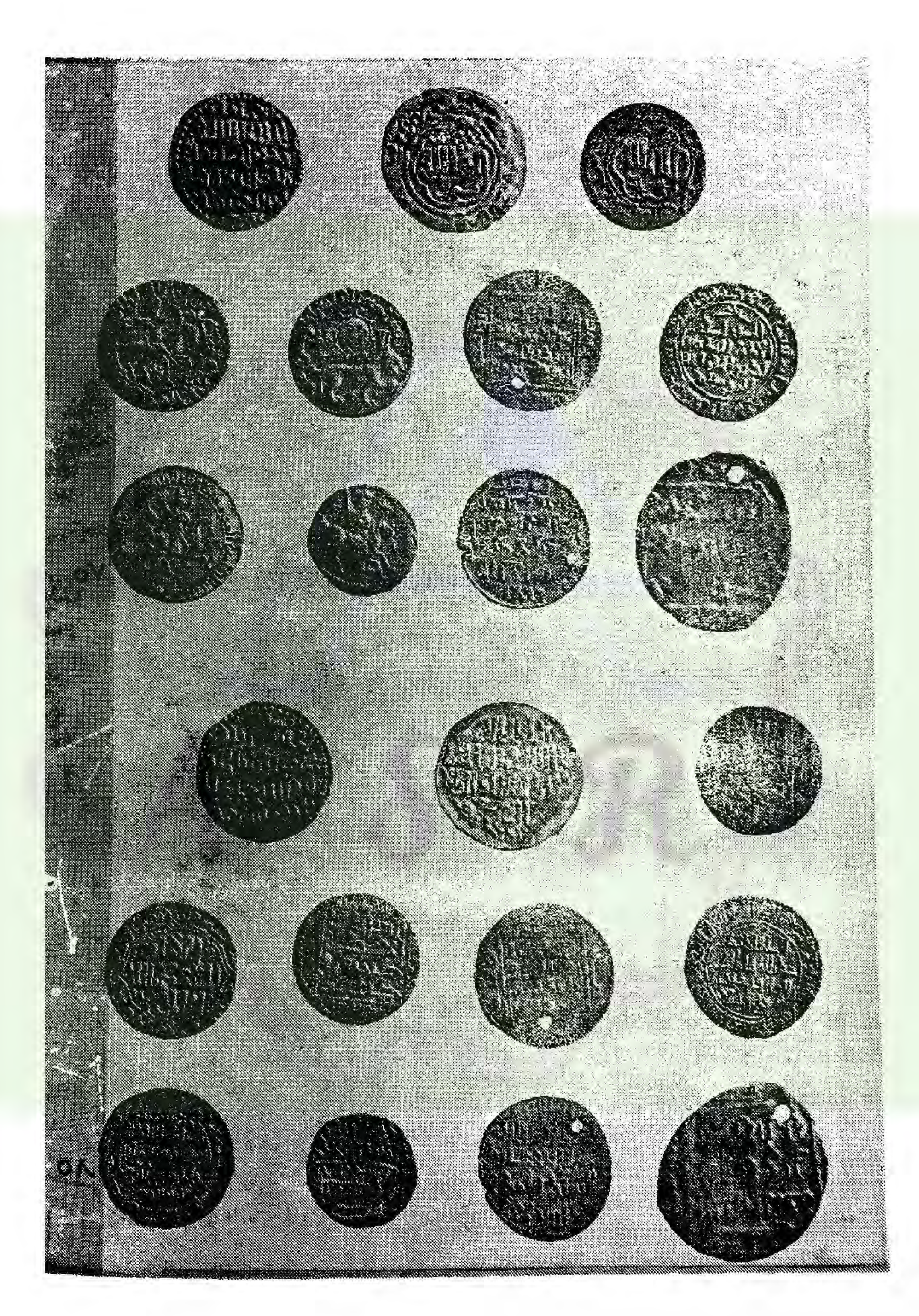
٥٣





٥٥

٥٦




A S R